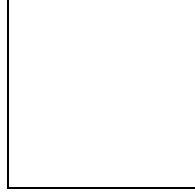


سحر الشرق



تأليف محمود مودى



بداخل ساحة القصر السلطاني الفسيح كان
السلطان المبروك يجلس على عرشه منتفخة
أوداجه ، تتدلى شفته السفلى وقد ملأت التجاعيد
وجهه بعدما تجاوز الثمانين من العمر .. يأبى أن
يتنازل عن العرش لابنه جلال المبروك الجالس
على يمينه غاضباً .. وكان لكبر سنه عاجزاً
عن إدارة شؤون حكم البلاد ، فآلت أحوال العباد
إلى ابنه جلال الذي ترأس ديوان التفويض ،
صاحب السلطة الكاملة في إدارة البلاد نيابةً عن
السلطان المبروك .. ومن بين يدي السلطان
وابنه جلس عددٌ من الوزراء المقربين ممن
يتحكمون في شؤون الخلق ومركب حياتهم من
تحت أيديهم يهيم .. كان نظام الحكم السلطاني
في البلاد يعتمد على نظام يُدعى (السبھلة)
وهو نظام حكم جديد وبديع .. يعتمد أن تترك
الأمرَ تجرى في أعنتها .. وحال البلاد والعباد

بالبركة يسير .. فأدى ذلك النظام إلى إنشطار
البلاد لقلّةٍ وغالبيةٍ .. قلّة تملك السلطة والمال
وكل شيء .. وغالبية لا تملك من ذلك شيء .. إنما
تقوم بالعمل لدى القلة الغنية مقابل حفنة من
الدنانير .. بالكاد على سطح الحياة يسبحون ..
بغريزة البقاء عن النجاة من الغرق في بحر
الموت يبحثون .. كسدت التجارة وانتشر الفقر
وساءت الأحوال .. بينما القلة الغنية من ذوى
السلطة والجاه والمال ينعمون .. وعلى الأرائك
الموسورة في قصورهم يجلسون .. والجاريات
الفاتنات هم يضاجعون .. والإماء بين أيديهم
بكوؤوس الخمر يدورون .. ومن الفاكهة ما لذ
وطاب هم يأكلون .. أولئك في البلاد هم
المكرمون .

بصوتٍ واهنٍ قال السلطان المبروك مخاطباً
الوزير حسيب بن العادل قائد الشرطة
- مسلوخة كانت الجثة .. ما معنى ذلك .. ذئب
أكلها ؟

هكذا قال السلطان وقد إكتسى وجهه بعلامات
عدم الفهم ، فرد الوزير حسيب قائلاً

- لو كان ذنباً لنهش الجثة ومزقها .. لكنها
سليمة .. جلدها مسلوخٌ منها والباقي سليم
صاح وريث العرش جلال محتداً لما أحس
بكلمات قائد الشرطة تجعل أبيه غيباً أمام
حاشيته

- وكيف تجرؤ يا قائد الشرطة على الجلوس
أمام السلطان قبل أن تأتي بمن فعل ذلك ؟
إبتسم حسيب بن العادل قائد الشرطة بوجهه
المثلث فى الشكل وقال

- وهل لى يا مولاي الأمير ألا أحضر حين
طلبنى السلطان .. أمد الله فى عمره وأبقاه
زخراً للمؤمنين

هدأت أوداج جلال بعد أمبولة النفاق التى حقنها
قائد الشرطة فى عضل أبيه بجملته الأخيرة ..
تدخل بشير بن الطرطاوى قائد الجند بوجهه
النحيف وعينيه الضيقة الغائرة يتصنع علمه
ببواطن الأمور

- قد يكون الفاعلُ يا مولاي السلطان بعضُ
جند بلاد البرامكة من الأعداء لبث الذعر
والخوف فى بلادنا الآمنة حفظها الله من كيد

الأعداء .. لذا أرسلتُ ساريةً من جيشنا

العرمرم تتقصى الأمر

لم يكن قائد الجند قد أرسل جندياً واحداً ولكنه

أراد أن يبين للسلطان مدى ما يبذله من

تضحيات فى سبيل البلاد .. قال جلال المبروك

وريت العرش والمتحكم الفعلى فى البلاد

- ألم تعرفوا بعد جثة من المسلوخة تلك يا

قائد الشرطة ؟

- سنعرف حتماً يا ولى العهد .. لقد إختفت

ملاحم الجثة السمينه بعد سلخها .. وكذلك

بقائها يومين ملقاه على أطراف المدينة .. إلا

أننا عثرنا على خاتمٍ صغير بأصبعها ..

وجائتنا شكوى عن إختفاء جارية بدينة

أفاق السلطان المبروك قليلاً من غفوته وقال

- ملك يمين من تلك الجارية ؟

- هارون الوكيل

هكذا صاح قائد الشرطة .. بينما قال ولى العهد

موجهاً كلامه للوزير بطريق بن الغالى

المسؤول عن بيت المال

- أليس ذلك الرجل هو هارون المدين لأغلب

رجال المدينة ؟

رد الوزير بطريق بن الغالى بوجهه المستدير
كالكرة وشفتيه المكتنزة وحاجبيه الكثين
- نعم هو يا مولاي الأمير .. وقد حصل على
قرضٍ من بيت المال لإنعاش تجارته وسداد
ديونه

ما إن سمع السلطان ذلك حتى صاح قائلاً
- ومن أذن لك أن تخرج قرضاً من بيت المال
؟

- إنه قرض يسير يا مولاي .. لم يستدعى
الأمر الإستئذان .. أدام الله عمر سلطان
البلاد وأبقاه ملجئاً للمدينين .. وسوف يدفع
عليه فوائدٌ مناسبة

قال بطريق بن الغالى جملته الأخيرة وعينيه
تلمع ببعض الخبث .. فتلك الفوائد سيعود نفعها
على القصر السلطاني حيث يُصرف منها على
إحتياجات القصر من النعم .. بخلاف ما
يستقطعه بطريق لنفسه .. ففي هذه البلاد
المباركة تتناثر الأموال فيها على الوزراء
والمسؤولين .. بها القصور يبنون .. والجوارى
يشترون .. ومن الذهب والفضة يكنزون .. يوم
يُحمى عليها ذوقوا هذا ما كنتم لأنفسكم

تكنزون .. بينما لا يصل من تلك الأموال
للعباد إلا الفتات القليل ، والتي هي أصلاً من
الجزية التي لهم يدفعون .. قال جلال المبروك
وولى العهد محققاً فى وجه شيخ بندرالتجار
- أليس هارون الوكيل زوج إبنتك يا شيخ
التجار

- نعم يا أمير .. لكنى لا أعلم أن لديه جارية
إختفت منذ يومين سوى من قائد الشرطة
الآن

طلب جلال من قائد الشرطة قائلاً
- إذهب يا قائد الشرطة وأطلب من هارون
الوكيل المثل بين أيدينا .. ثم تابع مع أهل
الجارية المختفية .. إعرض عليهم الخاتم
وأنظر ماذا هم فاعلون ؟
كان يمكن إرسال أحد الحراس لطلب هارون ..
ولكن جلال كان يريد أن يشعر قائد الشرطة
ببعض الإهانة .. عقاباً على تقصيره فى حماية
البلاد

فى أحد الليالى كان هارون الوكيل يسير بخطى
حذرة وسط ظلمة الليل ، عدا بعض سنايا القمر

الخافقة .. ينتعل مركوباً ذهبى اللون مدبباً من
الأمم أشبه بمركب بحرى ، دفع فيه الكثير من
الدنانير حينما إشتراه من بلاد الهند بعدما علم أنه
المركوب الذى كان ينتعله السندباد فى رحلاته ..
وعلى جسده عبائة مطرزة عتيقة خضراء دفع
فيها آلاف الدنانير حين إشتراها من بلاد السند
بعدما علم أنها العبائة التى كان يرتديها علاء
الدين ، وتمنى وقتها لو إستطاع شراء المصباح
.. وعلى رأسه عمامة زرقاء حريرية يتوسطها
من الأمم جوهرة نفيسة متدلّية على بداية جبهته
إشتراها من بلاد اليمن.

يملك هارون الوكيل بشرة قمحية اللون وعينان
عسليتان ، وإعتنى بلحيته المحفوفة وشاربه
الأنيق أفضل عناية .. قامة طويلة وجسد ممتلئ
دون سمنة .. لا تفارق حزامه قنينة عطرٍ فواح
فاخر .. أما عن شخصيته فتتلخص فى أنه لا هم
له فى هذه الحياة سوى إشباع رغباته وشهواته
دون أن يعبأ أو يكثر بشئٍ آخر.

كان يسير فى تلك اللية دافساً رأسه بين منكبيه ،
مسدلاًً عمامته يخفى جبهته العريضة حين شهق

فزعاً على إثر يد تقبض على كتفه من الخلف
وصوت يصيح من ورائه

- لقد أمسكت بك أيها الزنديق الملعون
- من ؟ .. ابن زيدون !! .. لقد أفرعتني يا
رجل

قالها هارون وهو يستدير للخلف مذعوراً يكاد
يقفز في الهواء .. وواصل ابن زيدون
- أنت لم ترى فزعاً بعد .. هيا معي إلى
القاضي وافزع هناك كما تشاء
تبدلت ملامح هارون وكست وجهه إبتسامة
متابعاً بصوت ودود

- وهل هُنت عليك يا صديقي .. والله إنني
لأفكر فيك ليل نهار .. كنت سأحضر
لزيارتك .. فقد أوحشتني

- دعك من هذا الكلام يا زنديق .. أين الدين
الذي عليك .. سأسجنك بصك الدين .. سر
أمامي إلى القاضي قبل أن أطيح برأسك
وأدنس سيفي بدمك

قالها ابن زيدون وهو يدفع هارون أمامه الذي
قال متودداً بابتسامة لا تتم عن المأزق الذي وقع
فيه

- ألم تسمع ما حدث لى يا صديقى لقد أغار على قافلتى قطاع الطريق ونهبها اللصوص .. إصبر عليّ بضعة أيام حين تصل قافلتى الثانية وأبيع بضاعتي وأربح .. عندها سأرد ديني ولا يبقى عليّ درهمٌ واحد لك أولغيرك - نعم لقد سمعت عن قافلتك واللصوص ولكنى لم أرى ذلك .. بينما سمعت أنك إشتريت داراً جديدةً على أطراف المدينة .. ولا تطلع عليك شمس يومٍ جديد إلا وتكون قد إشتريت جاريةً جديدة

- يا صديقى هذا هراء .. الناس هنا يطلقون علىّ الأكاذيب .. لم أشتري الدار .. إنما إستأجرته بضعة أيام أخلو فيه بنفسى بعيداً عن زوجتى القردة الشمطاء .. فأنا مهمومٌ وحزين لما حدث بقافلتى من اللصوص - أليست زوجتك هذه بنت شيخ بندر التجار .. وتزوجتها ليساعدك أبوها بماله على سداد ديونك

صاح هارون مقاطعاً

- لقد تزوجت تلك القردة لمالها ، فذهب المال وبقيت القردة على حالها .. أبوها البخيل كان

يساعدنى ببعض المال لكنه ضن علىّ وأقسم
ألا يعطينى درهماً
- لأنه رآك زنديق ملعون لا أمل فيك ولا
رجاء
- وما شأنه هو ؟ إنه مال القردة زوجتى ..
أليس لها نصيب فيه .. حتماً سيموت
وسترثه زوجتى وسأنعم أنا بالمال
- إسمع .. لقد فاض بىّ الكيل منك .. سأمهلك
أسبوعاً واحداً ، إن لم ترد لى مالى سأذهب
إلى القاضى .. ولا سلام عليك

هم ابن زيدون بالإنصراف ، فأستوقفه هارون
قائلاً

- إنتظر يا ابن زيدون .. لقد سمعت أنك
إشتريت جارية رومية صارت حديث رجال
المدينة .. دعنى أسهر معك الليلة وأراها يا
صديقى
- أجننت يا ملعون .. لا تنادينى بصديقى هذه
.. ولى عنى

قالها وهو يشيح بيده ويمضى فى طريقه ..
هرع هارون خلفه يسير جنباً إليه قائلاً
- أنا أعلم أنك تحب الضحك .. دعن أحكى لك
فكاهة جديدة عن الجاحظ إن أعجبتك ،
أسهر معك الليلة وإن لم تعجبك سأنصرف
لحالى

لم يرد ابن زيدون ماضياً فى طريقه وإلى
جواره يسير هارون الذى واصل
- جاء رجلٌ إلى الجاحظ و قال: أريدك أن تكتب
إلى صاحبك فلان كتاباً توصيه فيه أن يساعدنى
فى أمر أحتاجه منه.

فكتب الجاحظ رسالة إلى صاحبه، و ختمها و
أعطاها للرجل، حمل الرجل الرسالة، و لمّا
خرج من بيت الجاحظ، فضها و قرأها فإذا فيها:
"أرسل إليك هذا الكتاب مع شخص لا أعرفه ،
فإذا ساعدته لن أشكرك، و اذا لم تساعدته لن
ألومك."

فغضب الرجل و عاد إلى الجاحظ حانقاً، فقال
الجاحظ : كأنك فضضت الرسالة، و قرأت ما
فيها.

قال الرجل: نعم.

فقال الجاحظ: لا تغضب ، ما جاء في الرسالة
إنما هو علامة لي إذا أردت العناية بشخص.
قال الرجل: قطع الله يديك ورجليك و لعنك.
قال الجاحظ: ما هذا؟

قال الرجل: هذه علامة لي إذا اردت أن أشكر
شخصاً!!!.

ضحك ابن زيدون وبادره هارون قائلاً
- لقد أعجبتك .. سأحكي لك واحدةً أخرى
توقف ابن زيدون عن السير مترقباً ، وسمع
هارون يواصل كلماته

- كان الجاحظ واقفاً أمام بيته، فمرّت به امرأة
حسنة، فابتسمت له، وقالت: لي عندك حاجة.

فقال الجاحظ: و ما حاجتك؟
قالت: أريدك أن تذهب معي.
قال: إلى أين؟ قالت: اتبعني دون سؤال.
فتبعها الجاحظ إلى أن و صلا إلى دكان صائغ ،
وهناك قالت المرأة للصائغ.
مثل هذا! ثم انصرفت.

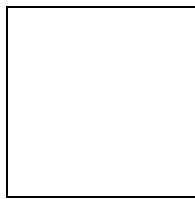
عندئذ سأل الجاحظ الصائغ عن معنى ما قالتها
المرأة ، فقال له: لا مؤاخذه يا سيدي! لقد أتنني
المرأة بخاتم، و طلبت مني أن أنقش عليه صورة

شيطان، قلت لها: ما رأيت شيطاناً في حياتي،
فأتت بك إلى هنا لظنها أنك تشبهه!!.

علت أصوات ضحكات ابن زيدون وهارون ،
ولم يتمكنوا من كبت جماح الضحكات اللاهثة ،
فسمعا صوتاً قادماً من أحد النوافذ يصيح
- أين العسس ؟ .. إمسكوا هذين الرجلين ..

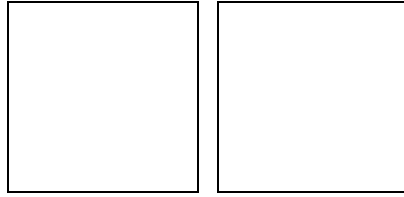
لصوص .. لصوص

- أسلم هارون وابن زيدون سيقانهما للريح ..
ولما ابتعدا وإنحرفا إلى أحد الطرقات ..
هدأت الخطوات والأنفاس وقال هارون
- لقد أعجتك يا صديقي .. إذن سأسهر عندك
الليلة .



بداخل قصر ابن زيدون كان هارون
يجلس إلى جواره فوق فُرْش من ريش النعام
على الأرضية الرخامية ، ومن أمامهم سلطانية
الفواكه .. تدور الجوارى بكؤوس الخمر ..
يحتسيان الخمر ويقضمان التفاح الأحمر والموز
والعنب .. أخرج هارون قنينة العطر من ثوبه ..

قنينة صغيرة بها سائل أصفر وعلى رأسها قطعة
معدنية صغيرة تتصل بخرطوم دقيق فى نهايته
كرة مطاطة.. يضغط هارون بأصابعه على
الكرة المطاطية فيتناثر العطر على وجهه وحول
رقبته .. يلتقط نفساً عميقاً ليشتم العطر هائماً
ويواصل تحديقه فى الخمسة جوارى اللاتى
ترقصن وتغنين على أنغام الموسيقى .. يرتدين
جميعاً نفس الثوب من الدانتيل الشفاف بألوان
مختلفة .. تبدو من خلف الأثواب الشفافة أجساد
الجاريات وهن يتراقصن ويتمايلن .



صاح هارون

- آه يا ابن زيدون .. من أين تأتى بالجوارى
الفاتنات تلك

- ماشاء الله لا قوة إلا بالله

- أنا لا أحسدك يا رجل

هكذا صاح هارون وهو لا يكف عن إتهام
الفاكهة وتجرع الخمر .. لاحظته ابن زيدون فقال
- كلوا وأشربوا ولا تسرفوا ..إن الله لا يحب
المسرفين

- وكأنه لم يسمع شيئاً عاود هارون التحديق
فى الجوارى اللاتى بدأن تخلعن ملابسهن
تدريجياً إلى أن أصبح الجميع عرايا
يرقصون ويغنون ، وبدأ المجون ..أخرج
هارون من حزامه قنينة العطر .. ضغطات
من أصابعه على الكرة المطاطية فاندفع
الهواء بالخرطوم الدقيق ومنه إلى القنينة
فتناثر العطر على وجهه .. إلّتقط نفساً
عميقاً هائماً يشتم العطر الذى فاح أريجـه
فى المكان ، فصاح ابن زيدون وهو يسعل
- ماهذه الرائحة الخانقة يا رجل .. لقد جعلتنى
أختنق

- خانقة ؟ .. أصمت .. أنت لا تفهم فى العطور
.. هذا عطرُ النفيسة ، يصنعونة من المسك
الممزوج بعرق النساء الفاتنات .. أجلبه من
بلاد الهند

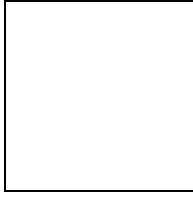
- نعم أنه رائحة عرق منتن
قال هارون وهو يهم بالإنصراف يتحسس وجهه
أجمل جارية من بين الموجودات
- تستحقين أيتها الجارية ما يقوله عنك رجال
المدينة

رد ابن زيدون بإشمتزاز من الرائحة التي فاحت
فى المكان

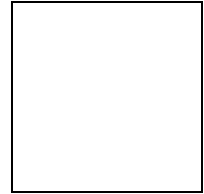
- ليست هى يا رجل .. إنها جارية عادية
- عادية ؟ .. وما تكون إذن تلك الرومية ؟ أين
هى ؟

- وما شأنك أنت ؟

قالها ابن زيدون فى الوقت الذى كانت تدلف فيه
جارية باسقة وقد تدثرت بثوب حريرى أبيض
أخفى جسدها تماماً .. إختفى وجهها خلف
النقاب الأبيض.. عدا عينيها الزرقاء اللامعة تشع



وميضاً يُسحر القلوب ويسلب الألباب



.. ورموشها السوداء الكحيلة الطويلة

تنغرز فتؤلم القلوب .. لم يدرى هارون بنفسه
وهو يندفع عائداً ليجلس على أريكته قائلاً

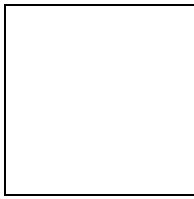
— سبحان من خلق هذه العيون .. لم أرى مثلاً
من قبل .. إكشفى عن وجهك

نظرت الجارية ترنو بطرف عينا لسيدها ابن
زيدون ، الذى أوماً لها أن تفعل .. أزاحت النقاب

عن وجهها الأبيض المثير ، الذى لا يسعك إلا
أن تحرق فيه مذهباً مأخوذاً .. الأنف الصغير
المتناسق مع وجهها المستدير كتفاحة ، وشفتاها
العامرة تنادى بهمس الشبق .. أزاحت عن
رأسها الطرحة الحريرية البيضاء فتجلى شعرها
الكستنائى مائلاً لبعض الحمرة .. هنا لم يتماك
هارون نفسه وهرع يخرج قنينة العطر ينثر منها
على وجهه صائحاً

- والله ما هذا الجمال إلا فى أساطير الأولين
أتاه صوت ابن زيدون يقول

- كف عن هذه الرائحة يا رجل .. إنى أختنق
بمنتهى الدلال بدأت الجارية الرومية فى تعرية
جسدها ساحبة ثوبها من أعلى لأسفل .. تبعث
نظراتها الشهوة فى الأجساد الباردة فتحيلها إلى



لهيبٍ متقد .. صارت عارية تماماً ..
نظرات هارون تتهاذى على جسدها وكأنها بجعة
تسبح على سطح الماء .. وجد هارون نفسه يسير
على أربع تجاهها ، مما جعل ابن زيدون يضحك
قائلاً

- والله يا ملعون هذه المِشية تناسبك .. لیتك لا
تمشى غیرها

لم یسمع هارون شیئاً مما قاله ابن زیدون فقد
كان فی عالمٍ آخر .. تنهد بعمق وعیناه لا
تطرف جاحظة على جسد الجارية وقال
- ما أنتِ ببشر .. أنتِ حورية من الحور العین
هبطت من الجنة

قالها فی الوقت الذی كان ابن زیدون یفرقع
بأصابعه .. فعلت أصوات الموسيقى تعزفها
الجاریات ، وبدأت الجارية الرومية ترقص
وتتمايل عارية مغنية .



قال هارون متمایلاً على الأنغام
- ما اسمك أيتها الحورية ؟
- نادية

- كم جميلٌ هذا الإسم

أخرج هارون قنينة العطر .. يرش ويشتم ما
تناثر على وجهه هائماً .. إنتهت الجارية الرومية
من الرقص والغناء .. إندفع هارون يمسك
بالجارية نادية ، وأرقدتها على الأرض ، وظل
يسكب العطر على جلدها ثم يعاود إلتقاطه فى
القنينة .. صاح ابن زيدون
- ماذا تفعل يا مخبول ؟
- أمزج العطر برائحة نادية .. فحتماً سيصير
عطراً من الجنة
ظل هارون يمزج العطر بأجزاء جسد نادية ..
ويرش ويشتم ويهيم.

صياحُ الديك وشقشقة العصافير تعلن عن قدوم
الصباح .. هدأت الأنفاث اللاهثة وقال ابن
زيدون

- علام تنتظر يا مخبول .. لقد ولى الليلُ
وأدبر .. هيا إنصرف ولا تنسى مالى بعد
أسبوع

دون أن ينطق هارون كان قد غادر القصر إلى
داره

- ٢ -

عاد هارون لبيته والصبح قد بدأ ينثر بنوره
على الأرض .. دلف متخفياً حتى لا تستيقظ
زوجته .. يترنح من سُكر الخمر وخدر ما بعد
المتعة خلع ملابسه ونام .. وقبل أن تغمض عيناه
سمع زوجته الراقدة على السرير تقول
- جنّت أيها الغراب .. ولماذا التبكير ؟
- أنا غراب يا بومة .. أيتها القردة الكسولة
- أنا كسولة يا شحاذ .. لا عمل لك سوى
إقتراض المال حتى صرحنا أضحوكة البلاد
- كفى عن نعيك هذا وإلا ؟
- ماذا تفعل بى يا صعلوك ؟ هه .. قم أرنى
قام هارون وذهب إلى غرفةٍ أخرى لينام .. ظل
يتقلب ذات اليمين وذات اليسار ينظر يميناً
فيرى الجارية الرومية نادية ويرنو يساراً

فيرى الجارية الرومية نادية .. لقد سلبت لبه
نادية .

إستيقظ هارون مغرب اليوم والصداع متملك^{٢٨}
من رأسه بعد حلمٍ جميل كان يجمعه بنادية ..
فكر أين يذهبُ هذا المساء .. ودَّ لو إستطاع أن
ينعم بليلة أخرى مع نادية .. ولكن ابن زيدون
حتماً سيرفض .. أخيراً عزم على الذهاب إليه
عله يرضى .. إرتدى ملابسه وتأنق ، ومن قنينة
العطر رشَّ .. أوهم نفسه بأن رائحة العطر
صارت أجمل بعد مزج العطر برائحة جسد
نادية .. ظل يلتقط الشهيق وراء الشهيق ويهيم ..
ما كاد يخرج حتى وجد إحدى جواريه تتسل
دالفة إليه قائلة بهمس

- مولاي .. نادية تنتظرك عند الباب الخلفي
فى حديقة الدار

- نادية من ؟

- نادية الجارية الرومية

هرع هارون يعدو حتى وصل إليها .. رآها
واقفة متخفيه خلف نقابٍ أسود و قد إختفى
جسدها وراء السواد وكأنها قطعة من الليل



.. لكن وميض عينيها

الزرقاء كان ينير المكان بشعاع جعل قلب
هارون يتأقفز خلف ضلوعه .. بادرت هي قائلة
- هارون .. لقد سلبت لُبِّي وعقلي مذ رأيتك ..
قلبي أحبك وروحي تعشقك .. خذ هذه إقرأها
جيداً ولا تجعل أحد يطلع عليها .. إحفظها
عندك .. سأنتظرك فجر الغد عند البئر
الناضبة على طرف المدينة

ما إن أنهت نادية كلماتها حتى إختفت من أمامه
وسط ظلمة الليل بملابسها السوداء .. بينما
هارون يحدق بذهول .. أفاق من ذهوله ليجد في
يده صندوقاً صغيراً من خشب الأبانوس ، الذى
كانت نادية ناولته له .. دلف مسرعاً إلى إحدى
غرف الدار .. أطفأ الشموع بالمصابيح المعلقة
وترك واحداً وجلس أسفله وسط الضوء الأصفر

المهتز الخافت حتى لا تشعر به القردة زوجته
إذا مرت ، فتُسمعه ما لا يحب .. فتح الصندوق
الصغير وأخرج منها سبعة لفائف من ورق
البردى مطوية بعناية .. كانت عيناه تتسع
ومقلتيه ترتعش وهو يطالع اللفائف .. إنهمك في
قراءة اللفافة الأولى وأتبعها بالثانية وهكذا حتى
إنتهى من السابعة ، ليجد جسده يرتعش .. أخرج
قنينة العطر ونثر بعضه على وجهه ورقبته ..
ظل يشتم الأريج هائماً ، فتذكر نادية .. ظل
عقله يموج و يموج في محيطٍ من الحيرة ..
يتسائل لماذا أنا الذى إختارتنى نادية ؟ .. وكيف
عثرت هى على تلك اللفائف ؟ .. وهل ما بها
حقيقى أم أسطورة .. هل فعلاً أحببتى وهامت
بى عشقاً .. لماذا إختارتنى لأكون ملكاً وسيداً
على الناس من حولى .. ظل عقله يعتمل بتلك
التساؤلات طوال الليل .. يتمنى لو أغمض عينيه
وفتحها ليجد اليوم قد مر ، ويقابل نادية ويفهم
منها .. كان وجهه يكتسى بإبتسامة بلهاء وتلمع
عينيه بسعادة طفوليه ، حين رسم له خياله مملكة
من الخيال ، ومن حوله الناس يتعبدون .. وفجأه
تتجمد ملامحه كقطعةٍ من الحطب ، فربما تكون

تلك اللفائف أسطورة قديمة ، لا نفع منها ولا
فائدة من ورائها .. التعبيرات المخيفة ظلت
ترتسم على وجهه تتبدل فى لحظات .. يرش
العطر بين الحين والآخر ويهيم .

غلبه النوم ليستيقظ على صراخ القرودة الكسولة
زوجته بعد العصر.. بعد الحوار المعتاد بينه
وبين زوجته من اللوم وتبادل الشتائم إنصرفت ،
بينما هو يخفى علبة اللفائف فى مكانٍ آمن.

أمضى باقى النهار وفى الليل ركب حصانه
وإنطلق .. وصل إلى البئر الناضبة فى الصحراء
نهاية المدينة .. ربط الحصان إلى البئر.. وأول
ما فعل هو أنه ضغط بأصابعه على الكرة
المطاطية فتناثر بعض العطر على وجهه.. إشتم
هائماً قبل أن يغرق فى بحر التساؤلات مجدداً
.. أفاق فزعاً على صهيل حصانه الذى رأى
فرسة سوداء تقترب .. بالكاد لمح هارون العفرة
المنبعثة من أقدام الفرسة .. نزلت نادية عن
الفرسة بنقابها ولباسها الأسود الذى يخفيها تماماً
وسط ظلمة الليل .. خلعت النقاب فأضاء وجهها

الأبيض المكان .. صوبت وميض عينيها
الزرقاء لعيون هارون .. وقبل أن تنطق بشئ ،
هوت على فم هارون تقبله .. ينتفض جسد
هارون ويلهث قلبه .. ضحكت بدلال وهمست
بأذن هارون

- قبلة واحدة تفعل بك هكذا يا مولاي
كان هارون مسحوراً بجمال وجهها .. أسيراً
تحت سطوة عيناها .. نطق متلعثماً يلهث
- أنت إنسية أم جنّيه .. ماذا فعلتِ بي مذ
رأيتك ؟



لم ترد نادية وخلعت عبائتها السوداء فصار
جسدها عارياً تحت ضوء القمر الخافت يلفح
جلدها نسيم الصحراء الوديعة فيدغدغ حواسها ..
فردت عبائتها على الرمال جوار البئر .. ورقدت

على ظهرها فوق العباءةِ المفروشة وتبعها
هارون يتمدد إلى جوارها .
ما أروع المشهد ، فى الصحراء وسط ظلام
الليل وتحت ضوء القمر الخافت ، وفوق عباءة
حريرية سوداء تحتها رمال الصحراء تنقر
جلدك .. يلفحك الهواء العليل وإنت على جنبك
تتمدد وإلى جوارك حورية ساحرة ، ترقد على
بطنها عارية .. ووجهها فى وجهك تبادلك
الشهيق والزفير .. بماذا تشعر ؟



هذا ماكان يشعر به هارون الوكيل المسحور
بنادية التى قالت بصوتٍ مبحوح
- كيف صار عطرك بعدما مزجته برائحة
جسدى يا هارون ؟

أسرع هارون يحضر العطر من طيات ملابسه
ورش بعضه على جسدها وجسده .. سحبت نادية
شهيقاً عميقاً وتنهدت قائلة
- لم أكن أعلم أن رائحتى بديعةً هكذا يا
هارون

- بل هى أبداع من كافة روائح الدنيا العطرة يا
ساحرة العيون

- ولكن أبداع ما فى الدنيا هو العطر الذى
سنصنعه كما اللفائف تقول

صاح هارون وكأنه تدارك فجأة

- من أين جئتى بهذه اللفائف الغريبة يا نادية ؟
.. أصحيح ما جاء فيها ؟

- هو الحقيقة بعينها .. لقد اخترتك أنت لأنك
تعرف وتدرى تأثير العطر فى النفوس ،
أحببتك وعشقتك حين رأيته تمزج العطر
برائحة جسد

صمتت تنظر فى وجه هارون بعينيها الزرقاء
البديعة المسيطرة ، ثم تابعت

- ستصير ذو شأنٍ عظيم يا هارون

كان هارون يستمع و على وجهه تعبيرات مخيفة
.. وفي عينيه نظرات مرعبة .. واصلت نادية
تقول بصوتٍ كالضحك

- إذهب فى نهار الغد إلى صاحب الدار الذى
إستأجرته منذ بضعة أيام .. وإطلب منه أن
يؤجر لك الدار دون الخدم والجوارى وإذا
رفض إبحث عن آخر .. وإستعد جيداً ..
عليك أن تبدأ بالأولى غداً

قالتها وهى تقوم وتجذب هارون واقفاً ، دون
أن تعبأ بسؤاله

- وكيف عرفتِ أننى أستأجرت داراً
نفضت عبائتها مما علق بها من رمال وإرتدتها
.. لبست النقاب و إمتطت الفرسة وقبل أن تذهب
عائدة ، إستدارت لهارون وقالت
- الأولى سهلة .. ستجدها حتماً
قالتها وولت مغادرة تاركة هارون فى عالم آخر.

كان هارون يحث الخطأ متجهاً لداره خشية أن
يراه أحد الدائنين خارجين من صلاة الفجر ..
وصل لداره وداخل الحجرة عاود الإمعان فى
خطيئة الأولى ومواصفاتها باللفافة الأولى .. ظل

يفكر من تكون ؟ .. إلتمعت عيناه بوميض مخيف
.. إنها هى تلك الشرهة ببدانتها المفرطة .. إحدى
جواريه .. الجارية رشيدة التى تشبه البقرة
الحنيزة شكلاً وموضوعاً .. لا تتوقف عن إلتهام
الطعام .. إستعاد مشاجرات زوجته معها لكثرة
أكلها وشرابها .. كاد أن يبيعها لولا دموعها
تستعطفه .. أبقاها بعدما وعدته بعدم الإسراف
فى الطعام والكف عن الشراهة .. أسرع تجاه
غرف الحريم .. ظل يفتح الأبواب فى هدوء
ينقب عنها بين الجاريات من بين النائمات
الكاسيات والعاريات .. وأخيراً وجدها .. لكزها
فى لحم كتفها المكتنز .. كادت تصرخ من
الخضة لولا أنه وضع يده على فمها .. هدأت
بعدما تبينت وجه سيدها فى الظلام وسارت
خلفة إلى الممر بين الغرف
- كيف حالك يا رشيدة ؟

- خير يا مولاي .. ماذا حدث ؟

- أريدك اليوم .. فأنا أريدك

سرت قشعريرة باردة فى جسد رشيدة حين
سمعت كلمة (أريدك) .. فهذه أول مرة تسمعها
من رجل .. بدانتها المفرطة وملامح وجهها التى

إختفت بداخل وجهها المستدير المكبّظ ، جعلت
الرجال تنفر منها .. بعفوية همت رشيدة تجذب
هارون تجاه إحدى الغرف .. فبادرها هارون
- ليس هنا يا رشيدة .. إنتظرينى فى الحديقة
خلف الدار بعد المغرب ولا تجعلى أحد
يراكِ أو يعلم شيئاً .. حتى لا تغار منكِ
القردة زوجتى إذا علمت
مضى هارون فى طريقه .. بينما رشيدة لا
تصدق

بدأ نور الصباح فى الظهور .. هرع هارون
إلى السوق



وإشترى ثلاثة غلمان صغار عاينهم جيداً ..
وجعلهم يخلعون ملابسهم وتفحصهم بعناية ،
ليتأكد أنهم بالمواصفات والقياسات المطلوبة ..

كذلك إبتاع جارية صغيرة ، ليتم الأمر على خير.



هكذا كان هارون واقف فى بيت المال أمام
الوزير بطريق بن الغالى المسئول عن بيت
المال فى البلاد المباركة .. إنهمك بطريق فى
تفحص الغلمان الثلاثة والجارية .. ثم أمر أحد
رجاله بإرسالهم إلى قصره .. هكذا كان
الطريق إلى قلب الوزير بطريق سهلاً
وميسوراً .. يمكن لأى أحد من البلاد أن
يذهب إليه برشوة ، فيحصل فى الحال على
قرضاً من بيت المال .. فالرشوة كانت تغنى
وتسمن عن الضمانات اللازمة لسداد القرض
.. وهكذا تعددت القروض وتتوعدت .. لتنفق

على القصور والجاريات والخمر .. وكان
أحب الرشاوى إلى قلب بطريق بن الغالى هو
الغلman الصغار ذوى الأجساد اللينة .. وأحب
الأشياء إلى قلب زوجته هو الجوارى
الصغيرة .. حصل هارون على القرض
الميمون .. بينما لم يطق الوزير بطريق صبراً
، فهرع إلى قصره وطلب الغلمان فى غرفته
الخاصة .. كان لسانه متدلّياً يلهث وهو
يتفحص الغلمان .. كان يحتضن ثلاثتهم
يحيطهم بزراعيه ، كغوريلا تحيط بأولادها
تحميهم من الخطر .. إرتعد فزعاً حين دخلت
عليه زوجته خيرا زانة وصاحت
- أأزلت على حالك يا لواط .. ألم تقل لى أنك
تركت تلك العادة المقيتة
- إنهم هدية مقابل تيسير حال قرض
أطاحت امرأة الوزير بطريق بالغلمان تركلهم
على مؤخراتهم .. فهرع الغلمان هاربين .. بينما
أمسكت هى برقبة بطريق صائحة
- ألم أقل لك ألا تقبل غلماناً من أحد .. فقط
تقبل المال والجواهر والجوارى الصغيرة يا
متعوس

ترك خيرا زانة رقبة زوجها وحدثت في
وجهه بنظرة امرأة تتابع
- إسمع أرسل من يبيع الغلمان حالاً ويأتيني
بثمنهم .. وسأحتفظ بالجارية الصغيرة
إمتثل بطريق للأمر وأرسل من يبيع الغلمان ..
بينما هي ذهبت تعالين جاريته الصغيرة



لم يكن الوزير بطريق رجلاً جشعاً .. كانت
مشكلته في حياته هي عشقه للغلمان الصغار ..
ورغم أنه تزوج من خيرا زانة ابنة أحد أكابر
الأعيان تلك المرأة باهرة الجمال ذات الجسد
المتناسق بوجهها القمحي الجميل والعيون
السوداء المسيطرة ، إلا أنه لم يستطع التوبة عن

الفاحشة ، بل صار أضل سبيلا .. وجد نفسه بعد سنوات من الزواج واقعاً هو وأولاده تحت سيطرة زوجته التي يزداد طمعها وجشعها للمال يوماً بعد يوم .. وإمتثالاً لرغباتها كان يحرص على جمع المال والجواهر من الرشاوى التي يتقاضاها من أجل إعطاء القروض للتجار دون ضمانات .. تعاظمت ثروته و تعددت قصوره ، ولكن إزداد طمع خيـرازانة زوجته .. صار فى مأزق كبير فى الآونة الأخيرة بعدما كثرت القروض التي أعطاها للتجار من بيت المال .. وتعثر معظمهم فى السداد .. ولو ألقى القبض عليهم سيقرون بأنه أعطاهم القروض مقابل الرشوة وفائدة خاصة لنفسه .. وسيدفع حينها رأسه ثمناً لذلك أمام السلطان المبروك .. لذا عهد إلى مهادنة التجار وحثهم على السداد .. فكان أغلبهم يسدد شهراً ويمتنع شهرين .

ظل هارون يدور كالنحلة فى أرجاء المدينة يسدد ما عليه من ديون لكافة الدائنين ، حتى لا يتعرض للعقاب والسجن عندما يلجأ الدائنون إلى القاضى .. إنتهى من السداد ولم يبق عليه

درهماً واحداً لأحد .. سوى بيت المال الذى لا يعلم حتى الآن كيف سيسدد القرض .. ذهب إلى السوق .. إشتري مرجلاً كبيراً وأوانى نحاسية كبيرة وعدد من القنينات الزجاجية وكذلك بعض الحطب والكثير من الملح ولم ينسى أن يشحذ خنجره جيداً .. ذهب إلى الدار الأجيرى التى خلت من العبيد والجاورى بعدما وافق صاحبها .. رتب محتوياتها ووضع ما إشتراه فى أماكنها .. بعد المغرب فى حديقة داره الخلفية كان هارون يكابد ويعانى من أجل أن يضع رشيدة البدينة على الحصان .. كلما حملها تسقط قبل أن تستقر على ظهر الحصان .. رفعها على ظهر الحصان فوقعت من الجهة الأخرى .. كاد هارون أن يلغى المهمة من فرط العناء .. لكن المحاولة الأخيرة نجحت وصارت رشيدة قابضة على الحصان الذى بدا أنه يصدر أنيناً من الجبل الذى وُضع فوقه .. إمتطى هارون حصانه وسحب حصان رشيدة ووصلا للدار الأجيرى .. دخل هارون وبصحبته رشيدة الهائمة فى عالم آخر .. تشعر بإحساس المغامرة وتبرق عينيها بدموع السعادة .. أخيراً .. تقبض بيديها على

صرة بها ثوب مثير سترتديه لسيدها .. قال
هارون

- هيا يا رشيدة إمتعيني يا جميلة
إرتعد جسد رشيدة حين سمعت سيدها يصفها
بالجميلة ، وقالت وفي عينيها الدموع تترقرق
- أنا جميلة يا مولاي
- بل جميلة الجميلات .. جسدك الممتلئ هذا
سلب عقلى

قالها هارون وهو يمسك بيديه كومتين من اللحم
على جانبي جسد رشيدة يهزهما ضاحكاً ..
هرعت رشيدة ترتدى ملابس الجاريات الفاتنة
فى مناسبات الليالى الماجنة .. كابد هارون كتم
ضحكاته من منظرها ، فالثوب منحشرٌ فيها
كبقرة ألبستها ثوب مُهرة .. تبظ كتل اللحم من
فتحات الثوب .. بدأت رشيدة فى التمايل
والإهتزاز فصاح هارون
- ماذا تفعلين ؟

- أرقص لك يا مولاي
تناول هارون أنية نحاسية وبمقبض خنجره بدأ
يطرق عليها مطبلاً فى نشار .. ورشيدة تتراقص
فرحه وسعيدة فى منظر يجعلك تتمزق ما بين

الضحك عليها وكتل لحمها تترجرج مع حركاتها
وبين الشفقة العارمة لحالها .. حين وصل
هارون لمرحلة لن يستطع عندها كبت ضحكاته
قام وأمسك بها وعراًها من ثوبها المنحشر فيها
.. أرقدها على الفرشة الناعمة .. وكما كانت
اللفائف تقول : لابد من جعل المرأة فى قمة
إثارتها وشهوتها .. تفنن هارون فى بث الشهوة
لجسد رشيدة ، ورشيدة تتأوه وهى فى قمة
السعادة .. لما أحس هارون أنها صارت جاهزة
.. فى الوقت الذى تشعر فيه رشيدة بأنها ترتوى
بعد العطش وتأكل بعد الجوع .. قام وإستل
خنجره من طيات ملابسه .. وعاد ويده ممسكة
بالخنجر وراء ظهره .. ووسط لهاث رشيدة
ودقات قلبها المتسارعة كان هارون يطبع قبلة
رقيقة على فمها .. قبلة الوداع .. وبطعنة مفاجئة
قوية كان هارون قد غرس خنجره فى قلبها
مباشرة وأدارة دورة واحدة .

لم يدري هارون لماذا شعر بالشفقة عليها ؟ ..
هل لأنها لم تصرخ وكأنها تريد ألا تزعج سيدها

بصرختها .. أم لتلك النظرة المستكينة الهادئة
التي كانت فى عينيها لحظة خبوت روحها .
قام هارون مسرعاً يحضر أدواته .. جرجر
الجثة الثقيلة لأحد الأركان وإنهمك فى سلخ
جلدها بنصل الخنجر .. وبعدما إستخلص الجلد
قام بكشط طبقة الدهون الرقيقة الملاصقة له وقام
بتجميعها فى مرجل .. لم يسمع هارون من شدة
إنهماكه فى العمل بوقع خطوات تتسلل من خلفه
.. كادت روحه أن تزهرق فزعاً حين شعر بيد
على كتفه وصوت يقول

- أحسنت يا هارون

إستدار هارون ليجد نادية أمامه متدثرة بعباءة
سوداء ووجهها مخفى تحت النقاب الأسود فقال
- كيف دخلتِ إلى هنا .. الباب موصد بإحكام
- دائماً أنا ورائك أحملك يا مولاي .. الباب
الخلفى لم يكن موصداً بإحكام

هكذا قالت نادية بهمس وهى تلقى بالنقاب ،
فتجلى وجهها الأبيض يبعث فى قلب هارون
بالهدوء .. وتجلس القرفصاء تعاون هارون فى
إشعال النار ووضع المرجل فوقه .. تمت إذابة
الدهون ثم قام هارون وأحضر قطعة قماش

رقيقة من النايون وفلتر الدهون الذائبة .. أعاد
الزيت المفلتر يغليه ثانيةً ، مع إضافة كمية من
الملح ، ثم فلتره مجدداً ليحصل فى النهاية على
زجاجة لا يتجاوز طولها أصبع اليد مملوءة
بالزيت الذى إستخلصه.

بدأت نادية مع هارون فى تنظيف المكان .. نزع
هارون الخنجر المغروس فى قلب رشيدة ووضع
مكانه قطعة قماش كبيرة يمنع الدم من التدفق ..
ولف الجثة جيداً .. إستبدل ملابسه وإتجه لحديقة
الدار يحفر .. دفن جلد رشيدة وكافة ملابسه وكذلك
ملابسه المتسخة بالدماء .. عاد هارون ليجد نادية
تهم بالمغادرة قائلة

- علىّ العودة قبل أن يكتشف من فى القصر
غيابى .. إذهب بالجثة يا هارون وألقها على
أطراف المدينة

فعل هارون ما أمرته به نادية وعاد لداره
يرتعش .. لم يغمض له جفن .

ممدداً سارحاً هارون يتذكر ما حدث .. حتى
دخلت القرودة الكسولة زوجته تصيح

- حان موعدك مع السجن يا غراب الدار ..
الدائنون يشتكوك للقاضى
- إصمتى أيتها القردة .. لقد سددت كل ديونى
وما على من درهمٍ لأحد
- إذن فلماذا يريدك الوزير حسيب بن العادل
قائد الشرطة ينتظرك بالباب
- هو قلب هارون بين أقدامه .. حتماً إنكشف
أمره .. هرع يرتدى ملابسه وقابل الوزير
حسيب فى غرفة الضيافة ينتظره وقال
- أهلا بالوزير .. حامى أمن البلاد وراعيها
من الأعداء
- بإقتضاب قال حسيب
- من تلك الجارية التى إختفت من عندك ؟
- جارية إختفت من عندى ؟ .. لا أعلم ذلك
- لم يكن هارون يحسب أن لرشيدة أقارب
سيهتمون لغيابها .
- وإتجه للقصر السلطانى كما أخبره الوزير
حسيب .. بحث الخطا يرتعد خوفاً .

حورية تلك الأميرة التى ساقها القدر لتكون فى
عالمٍ غير عالمها .. تماماً كالسمكة إذا جعلتها
تحيا على اليابسة بدلاً من الماء .. والطائر إذا
نزعت عنه أجنحته وجعلته على الأرض بدلاً
من السماء .. كذلك كان حال حورية بنت الأمير
غسان أحد أقرباء السلطان المبروك سلطان
البلاد .. كانت هائمة فى عالمٍ آخر غير العالم
الذى تحياه .. تقرأ الشعر وتكتبه .. تعيش بين
طيات الأوراق واللفائف فى ألف ليلة وليلة .. كم
تمنت لو كانت هناك .. وكم ودت لو عاشت فى
تلك الحياة المليئة بالسحر والجمال .. تعج
غرفتها فى قصر أبيها بمئات الكتب للشعراء
والفلاسفة .. تعيش مع ابن الرومى والبحترى
وأبو تمام .. تضحك من قلبها مع الجاحظ وابن
الضحّاك وأبى نواس .. ومن أبو بكر الرازى
والفارابى وابن رشد تتعلم الفلسفة والطب
والحساب .. وتغنى مع أبى الفرج الأصفهانى
أحلى الأغنيات .. وبالريشة والقلم الخشبى فى
المداد يتقطر ، ليخط على أوراقها أحلى وأعذب

الكلمات .. ودت لو قرأ الناس ما تكتبه ، فحتماً



ستصبح الحياة غير الحياة .
وجهها الملائكى البديع سبحان من سواه ..
وعيناها من العسل تجلى من صفاه .. جسدٌ تحلم
به كل الفتيات .. وبياضٌ يشعُ نوراً يبعث الهدوء
فى الأركان .. تفاحتين حمراوتين على وجنتيها
بالحمرة كستاه .. آه من هذه الحياة المملة .. أن
تأمر فئطاع .. ألا تكد وتتعب لتنال المراد
.. إختنتقت حورية من النعيم الذى تحيا فيه ..
وبؤست من الترف الذى تعيش فيه .. لماذا خلقها
الله هكذا ؟ .. كان هذا السؤال يعتمل فى عقلها
ليل نهار .. وحيدة وسط أخوة جميعهم من
الذكور .. تمنى لو كانت رجلاً فى هذا العصر :
عصر الجوارى والحريم .. تعبث بمقدرات
الجوارى وبالنساء تستهيم .

تجلس الآن تطالع لفافة ورقية أحضرتها لها
جارية .. تذيّلها اسم يوسف بن حسيب بن العادل
.. قرأت أبياتاً من الغزل بين الملموس
والمحسوس .. ضحكت .. أين ومتى رآها ؟
ليكتب لها ذلك ؟ ، وهى نادراً ما تذهب إلى
حفلات وعرس الأقارب والصاحبات .. تذكرت
حين كانت تجلس مع الحريم فى الجناح يحضرن
عرس لواحدٍ من أمراء البلاد .. والرجال
والشباب يتحجبون للدخول والخروج من حول
جناح الحريم .. وإذا بجاريةٍ تلقى إليها بلفافةٍ
مطوية .. فتحتها لتجدها خطاباً غرامياً ..
إبتسمت وتعجبت ، ألهذا الحد هى تعيشُ فى عالمٍ
لا يرى فى المرأةِ سوى جمالها وشكل جسدها
وفتحة ما بين فخذيهما .. ألا يهمه أن يعرف حتى
عقلها وتفكيرها .. رفضت الخطاب تباعاً ،
وصمدت أمام ضغوط والدها الأمير ، الذى كان
يمعن فى تدليلها وعلى هواء رغباتها يسير ..
ولما لا ؟ وهى البنت الوحيدة وسط ابنائه الذكور
.. وأمها تركت الدنيا منذ سنوات ، وظلت وحيدة
هكذا حتى بلغت العشرين وتأبى الزواج .

إنتهت من قراءة رسالة يوسف بن حسيب بن العادل .. مزقتها وألقت بها .. فكرت أن تردها له ليرسلها لأخرى ، فهناك الكثيرات ممن يحلمن ببعض هذا الكلام .. فبتأكيد ستفرح وتتجاوب معه .. ولكنها فضلت تجاهله .. كثيراً ما كان يداهما الأرق ، فتطلب من أم إبراهيم مربيتها السوداء .. أن تقرأ لها من ألف ليلة وليلة ، حتى تدخل في عالم الأحلام وتنام.

ذات مرة كانت تكتب بعض ما يدور في خاطرها .. وإذا بصوت إرتطام على شباك غرفتها يفرعها .. تتالى الصوت متكرراً .. أسرعت تفتح الشباك ، لتجد شاباً وسيماً على حصانه يتبخر تحت شرفتها .. رفع إليها زراعه ملوحاً .. تعجبت من الحراس يتركونه ويتغاضون عن وجوده .. أدركت أنه ابن قائد الشرطة ، فحتماً دفع لهم .. سمعت صوت طرقاتٍ على باب الغرفة .. دخلت جارية تناولها رسالة ، فقرأت (أنا أحبك .. أعشق جمالك .. أريد أن أتحدث معك .. أنتظر بك بالأسفل يا أميرتى) يوسف بن حسيب بن العادل .. نظرت هي إلى يوسف على

حصانه باسمه .. وأمسكت برسالته أمامه بيديها
ممزقة .. قذفتها تجاهه .. أغلقت الشباك وإختفت
من أمام ناظريه .. فكرت أن تخبر أبيها أو أحد
اخوتها .. إلا أنها وجدت الأمر مسلياً قد يبدد
لديها من الملل و بعضاً من ضجرها .. إشطاط
هو غضباً .. وإنتفخت أوداجه .. يتسائل ماذا
تظن نفسها هذه الفتاة ؟ ، ولماذا لا تكون مثل
باقي الفتيات ؟ .. إن كانت هي ابنة الأمير غسان
.. فهو ابن الوزير قائد الشرطة حامى أمن البلاد
، ومساعدته الأول فى ديوان الشرطة ، تحت
مظلة التوريث المنتشرة فى البلاد .. تذكر كم من
فتاة من أميرات وبنات أعيان خرجن معه إلى
الصحراء .. يرتشف منهن القبل والأحضان ،
وعلى نهودهن كان يضع رأسه وينام .. فما بال
هذه الفتاة .. أقسم بينه وبين نفسه ليجعلها تأتيه
راكعة ولو بعد حين ؟ .. كان على حصانه
يسابق الزمن عله يفجر غيظه .. إلى ديوان
الشرطة دلف وعلى مكتبه جلس ، لا يفكر سوى
فيها .. أصدر أوامره إلى رجاله فى الوصول
إلى جواربها ومعرفة أدق أسرارها .. كان

يوسف على شكيمةٍ قوية .. لا يعرف فى الحياة
اللين ومعانيه .. بل القوة كانت هى كل ما تكفيه .

أحمد بن مشارى بن زيدون ذلك الشاب الذى نشأ
وترعرع فى عز ابيه ابن زيدون .. إلا أنه كان
مختلفاً عن أقرانه .. جادٌ ومثابر فى عمله
دؤوب .. تولى أعمال ابيه التجارية ونمّاها .. فى
الوقت الذى تفرغ فيه ابوه للجاريات الفاتنات ،
يعبث ويلهو مع الجوارى فى حفلاته الماجنة ..
بينما أحمد لم يكن يفكر فى الجوارى والفتيات ..
فلم يقابل منهن من تستهويه .

ذات مرة كان فى السوق على بضاعته وتجارته
وكيل .. وإذا به يرى فتاة ليست بالفاتنة ، لكن
بوجهها علامات الكفاح شاهدة



.. ترى أحوال البلاد وكأنها
اجتمعت على علامات حُسنها .. شعر بقلبه
ينبض .. إقترب منها وسألها
- بماذا تعملين أيتها الفتاة ؟
- كما ترى أبيع اللبن أيها الشاب
- أهو لبنٌ سليمٌ أم مغشوش ؟
قالها أحمد مبتسماً مداعباً .. ففوجئ بعلامات
الجمود ترسم على وجهها وقالت محتدة
- إذا لم تكن تريد أن تبتاع منى اللبن ، فاذهب
عنى وإلا
- وإلا ماذا ؟ .. أنا لا أقصد شيئاً يهينك .. أنا
أمازحك يا فتاة
- وأنا لا أطيق مزاحك يا ابن الأعيان .. ابتعد
عنى

قالتها الفتاة وعينيها تتفحص أحمد الذى بدا من
مظهره أنه من الأعيان .. تابع هو متودداً

- ما اسمك يا فتاة ؟

- لا شأن لك

قالتها وهى تصرخ بعلو صوتها

- محمود .. محمود

هرع محمود صانع وبائع الجلود والذى كان
يجلس على فرشة فى السوق ، قريباً منها ..

وعندما وصل إليها قالت

- إسعفنى يا محمود

قالتها وهى تنتظر بطلها الهمام أن يهوى على
الشاب ويفتك به دفاعاً عنها .. إلا أنها فوجئت به
يبتسم ويقول

- أهلاً يا أحمد .. عساك بخير .. ما الذى جاء

بك إلى هنا ؟

- جئت أرى مدى رواج بضاعتى بالسوق

حتى أجلب المزيد

تصافحا وتعانقا كحميمين منذ زمن .. قال

محمود موجهاً كلامه للفتاة

- يا عبلة هذا أحمد بن مشارى بن زيدون ..
من أكبر أعيان البلاد وتجارها ، ولا يمكن
أن يصيبك بسوء

تابع أحمد مبتسماً فى وجه عبلة

- أريد أن أشتري كل ما معك من اللبن
قالها أحمد وهو يمد يده بصرة كبيرة من الدنانير
أخرجها من الحزام حول جلبابه .. حدقت الفتاة
فى الصرة المنتفخة وقالت محتدة
- يبدو أنك لا تحتاج اللبن .. لن أبيع لك شيئاً
.. إذهب بمالك عنى

- لماذا تعاملينى هكذا ؟

قالها أحمد بنبرة متوددة .. وتدخل محمود قائلاً
- على رسلك يا عبلة .. فأحمد يريد أن يشتري
كل ما لديك ، ويريحك من العناء اليوم
تنهدت عبلة وأعطت اللبن لأحمد ، وعندما
أعطها صرة الدنانير .. فتحتها مسرعة وأخذت
منها ثلاثة قطع فقط .. ثم قذفتها تجاه أحمد الذى
إلتقطها بردة فعل سريعة وهو يسمع صوت عبلة
يقول

- أنا لا آخذ إلا ثمن بضاعتي .. يمكن أن
توزع الباقي على الفقراء والمساكين ..
إذهب إلى نهاية السوق ستجد منهم الكثيرين
قالتها وهى تلم فرشتها وتذهب مغادرة دون أن
تتظر تجاههما .. بينما أحمد يحدق فيها وهى
تبتعد ، وقلبه منها يرتعد .. أفاق على صوت
محمود يقول

- هل ستحضر إجتماع القوم فى المساء
- طبعاً سأحضر
- إذن ألقاك هناك

قبل أن يتلقى محمود رداً .. كان أحمد قد إختفى
من أمامه ، يحث الخطا ليلحق بعبلة عله يسترد
قلبه الذى هوى .. تاركاً اللبن فى مكانه قد بقى .

محمود هو ذلك الشاب الذى إرتسمت على وجهه
ملامح الرجولة بكل معانيها .. ولد لأسرة فقيرة
مات أبوه وهو صغير ، وتكفل هو برعاية أمه
وأختين أكبر منه .. إشتغل وإحترف صنعة
الجلود ، تأتية مع القوافل القادمة من بلاد الهند
وبلاد الفرس .. ويعالجها هو بيديه المتمرسة
المحترفة فيصنع منها الأشكال الجميلة ..



والأنواع المتعددة

..
هناك الجلود السمكة الكبيرة من أجل الإفتراش
على الأرض .. وهناك ما يصلح للبس وهذا
النوع يقبل عليه الجنود .. وهناك النوع الرقيق
الناعم الذي يصلح للكتابة عليه ، والذي يُسمى
الرق حيث كان يُنقع في الماء المغلي عدة مرات
ويُغسل ويُنشر في الهواء الطلق على ألواح
ليجف ، وأحياناً يوضع في ماء الجير لتزول
منه المواد الدهنية . وبعد ذلك يجري دعه
بالحجر الخفان حتى يصبح ناعماً وبعد ذلك
يُحك بالطباشير فيصبح أبيضاً ، ومن ثم يُكتب
عليه .

حيث أمتاز الرق عن الورق البردي بأنه يُكتب
عليه على الوجهين ، ولقوته ومتانته وسهولة
تناوله وترتيبه على الرفوف .. ونظراً لصعوبة

هذا النوع من الجلود لم يكن محمود يصنع منه
إلا بالطلب .. يستخدم محمود الألوان والأصباغ
فيصنع جلوداً رائعة وباهرة الجمال .. جعلته
يحظى بشهرة فى المدينة بين الأعيان والأمراء
.. كثيراً ما يستدعونه لشراء الجلود التى
يصنعها من أفخر الأنواع .. إستطاع بذلك إلى
جانب بيعه لبضاعته فى السوق ، أن يحظى
بدخل جيد .. يكفى ما يحتاجه هو أمه وكذلك
يساعد أخته التى تزوجت من أزواج فقراء لكنهم
طيبين .

أحبته عبلة ، وإزداد حبها وعشقها له حين دفع
عنها رجلاً يغازلها وهى تبيع اللبن فى السوق ..
أحست به فارسها النبيل .. تتودد إليه وتتقرب ،
ولكنه منها شيئاً لا يريد .. أبوها وأمها كثيراً ما
يلمحون له ولأمه يطلبونه لها .. ألحت عليه أمه
أن يتزوج عبلة لكنه يسوف فى الأمر .. ليس
لأنه لا يحبها ، فمثل محمود من عاش فى حياةٍ
صلفة وشقية لا يعرف الحب .. أو بمعنى أدق لم
يجد الوقت ليتعلم الحب .. لم يكن مجذوباً لعبلة
ولكنه لم يكن يمانع فيها .

وعلى فرشته وسط الجلود تحيط به ، رأى
الجارية قادمة تقول

- هل أحضرت ما طلبته منك يا محمود ؟
- نعم وصل ما طلبتي
- إذن أحضر ما عندك .. وتعالى معي

ذهب محمود مع الجارية إلى قصر الأمير غسان
، يحمل على كتفيه جلود النمر الفاخرة .. وهناك
بداخل الحديقة وجد عدداً من النسوة يجلسن على
الخضرة .. وقف بينهن محمود يعرض ما معه



من جلود .

كانت حورية تقف في شرفة غرفتها المطلّة على
حديقة القصر تتابع .. نظرت خلفها في ركن
المنضدة فلم ترى رقوق .. ذهبت تتفحص الأمر
فوجدت الرق قد نفذ .. كانت حورية تفضل
الكتابة على الرق فيما يتعلق بخواطرها
وأشعارها .. فذلك يكسبه رونقاً خاصاً مختلفاً

عن الكتابة على ورق البردى أو أى أنواعٍ
أخرى .. لذا نزلت إلى الحديقة وسألت جاريتها
- أهذا من أحضرتِ من عنده ما جيئتنى به
من الرق المرة السابقة ؟

- نعم هو يا مولاتى

توجهت حورية إليه وسط النسوة وقالت

- أريد منك كثيراً من الرقوق

- لا يوجد عندى سوى القليل .. ولكنى سأبدأ

بالغد فى صنع المزيد

- إذن إذهب وأحضر لى ما عندك

- لن ينفع اليوم ، فالطريق طويل .. وعندى

موعد فى مساء اليوم أخاف أن أخلفه ..

سأحضر لك فى الغد

كانت حورية تحقق فى وجهه غير مصدقة ،

وكانها وقعت تحت تأثير ظاهرة كونية غريبة ..

ربما تكون هذه هى المرة الأولى التى تأمر ولا

تُطاع .. لم تدرى بنفسها حين قطبت حاجباها

وصاحت

- إذهب وأحضر ما عندك فأنا أريده الآن

- وأنا قلت لك سأحضره فى الغد .. أو يمكنك

أن ترسلنى معى أحداً من القصر ، أعطيه

الرقوق ويحضرها لكـ

لحظات من الصمت .. كانت حورية فيها تشعر

بإحساس غريب .. جديد .. مختلف .. هذا

الصعلوق الواقف أمامها يأبى أن يمتثل لأمرها

.. ولا يخاطبها بسيدتى ، مولاتى ، أميرتى ..

قالت بهمس وعيناها مثبتتان على عينيه

- بل ستذهب أنت وتحضر الرقوق

- أنا أرى أنك لا تريدن الرقوق .. لماذا

تريدن إذلالى ؟

هكذا قال محمود بكل هدوء قبل أن يتابع بلهجة

صارمة ونظرة حادة ساخطة فى عينيى حورية

- لن أبيعك الرقوق

وقبل أن يميل ليلتقط بضاعته وينصرف .. هوت

حورية بلطمة قوية على خده الأيسر .. لم تشعر

بالألم الذى إعتز كفها الرقيق ، ولكنها شعرت

بألم آخر على خدها الأيسر إثر لطمة محمود

على وجهها .. الذى لم تكن لطمته سوى رد فعل

تلقائى .. فلم يكن هو من الممكن أن يسمح لنفسه

بلطم إمراة حتى ولو كانت هى من لطمته على
وجهه أولاً .. وإستباحت كبرياء رجولته .
أفاق على آيادى الحراس اللذين هرعوا على
صرخات النساء والجوارى فى الحديقة ،
ومقابض سيوفهم تنهال عليه من كل حذبٍ
وإتجاه ، وهو يحاول المقاومة وكأنه أشبه بقطة
وقعت وسط مجموعة من الكلاب تنهشها ..
يجرجه الحراس إلى زنزانة القصر والدم يسيل
من جسده .. فى الوقت الذى هرعت حورية إلى
غرفتها تبكى غير مصدقة ما حدث لها .. وجدت
نفسها تنظر فى المرآه .. وتتفحص مكان اللطمة
، فرأت الأصابع الحمراء مرسومة على خدها
الأبيض بعناية .. توقف بكاؤها ووجدت نفسها
تبتسم .. كلما أمعنت النظر فى الأصابع الحمراء
وإحساس الألم الذى يعترى خدها ، كلما تسلل
إليها تياراً من السعادة يسرى فى نفسها .. حدثت
فى المرآه كالمأخوذة .. رأت الكحل الذى لوث ما
حول عينيها بسبب الدموع .. ضحكت بسعادة ..
عشرون عاماً تأمر فتُطاع .. عشرون عاماً لا
تسمع سوى سيدتى ، مولاتى ، أميرتى ..
عشرون عاماً لم يصيح أحد فى وجهها حتى

أبوها وأخوتها .. عشرون عاماً يتسابق الجميع
من أجل إرضائها وتلبية رغباتها .. وجاء اليوم
الذى تبكى فيه إثر لكمة عنيفة على وجهها ..
ممن ؟ .. ممن يسميهم أبوها بالصعاليق .. يا له
من إحساسٍ جميل .. جديد .. مختلف .. غريب
.. لأول مرة منذ زمن لا تشعر بالملل من حياتها
فى تلك اللحظة .. تماماً هى مغامرة جميلة
كالتى تقرأها فى ألف ليلة وليلة .. ظلت تضحك
وتضحك .. تشعر أنها جُنت .. أفاقت لتدرك أنه
الآن فى الجحيم .. ربما يكون قد صار مقطوع
الرأس على الحميم .. مسحت وجهها بمنديل ..
هرعت تنزل إلى الزنزانة تصيح فى الحراس
- إتركوه .. إتركوه .. كفوا عنه
إمتثل الحراس تحت وطأة صياحها .. وكفوا عن
محمود الذى كان يفرفر كالطائر المذبوح ..
نظرت إليه بشفقة وقالت للحراس
- أطلقوا سراحه
صمتت تتأمل وجوه الحراس وأشارت لواحدٍ
بينهم ، لم تكن على وجهه علامات الغلظة كما
الباقيين وقالت له
- أعلم منه مكان داره وإذهب به هناك .. هيا

قاطعها كبير الحراس قائلاً

- لابد أن يعلم مولاي بما حدث ويقرر هو

- إن لم تفعل ما أمرك به لأجعلن مولاك

يذبحك

هكذا صاحت حورية بنبرة صارمة جعلت كبير

الحراس يحدق مرتعداً ، إندهشت هي نفسها

كيف فعلت ذلك .. بينما أدارت هي ظهرها مولية

تقول

- لا تخبرن أحداً بما حدث

قالتها وهي تنطلق صاعدة إلى غرفتها تنتظر

أبيها وإخوتها اللذين حتماً سيعلمون ويحضرون

لم يمضى الكثير من الوقت حتى كان أبوها

وأخوتها الرجال على عجلٍ من أمرهم فالأمر

جلل .. قال الأب بهدوء

- ماذا حدث يا حورية ؟

- لا شئ يا أبى

تدخل الأخ الأكبر بشير صائحاً

- صعلوقٌ يلطمك على وجهك وتقولين لا شئ

حدث .. ماذا دهاك يا أختاه ؟

- لم يلطمني أحد على وجهي .. هو مجرد بائع
جلود ، إغتظت منه لأنه لم يحضر لي
الرقوق .. صفعته على وجهه فإختل توازنه
وطاحت زراعاه وإصتدمت إحداهما
بوجهي.. ظننت الجوارى أنه لطمني
فصرخن يطلبن الحراس
صمتت حورية تلتقط أنفاسها وتابعت
- أرجوك يا أبى لا أريد أن أشعر بالذنب من
أجله .. دعهم يطلقون سراحه ، فهو مظلوم
مال أخوها الأكبر بشير ممسكاً برأسها يديره
قائلاً

- طاحت زراعاه فتركت أصابعه على خدك
ذلك الأثر
- جلدى حساس .. أى شئ يلامسه يترك أثراً
عليه
- لابد أن تُقطع رأسه أمام أعين الناس
هكذا صاح أحد إخوتها .. وصاح بشير
- لن تطلع شمس الغد.. إلا وتكون البلاد كلها
قد علمت .. أن ابنة الأمير غسان قد لطمها
صعلوقٌ بائع جلودٍ على وجهها .. لن يكفى
الإطاحة برأسه .. لابد أن نعذبه ونمزقه إربا

وننثر أجزاء جسده فى أرجاء المدينة .. حتى
يكون عبرةً لأمثاله من الصعاليق .. فلا
يقربون أسيادهم
شرعت حورية تبكى وتقول
- إنه مظلوم .. لم يصفعنى .. إصطدمت
زرأعه بوجهى
قالتها وأمعنت فى البكاء وتابعت موجهه كلامها
لأبيها

- أستحلفك بالله يا أبى .. أستحلفك برحمة أمى
الغالية أن تطلقوا سراحه وتتركوه .. أمعقول
أن أطلب العفو له إذا كان قد صفعنى
صاح أخوها الأكبر قائلاً
- ولماذا تبكين هكذا ؟
ردت حورية بصيحة تقول
- لأنكم تقتلون مظلوم
جعلت صيحتها أخيها الأكبر يحدق فيها مندهشاً
.. وهو لا يصدق ما تقول .. نظر إلى أبيه الذى
تنهد وقال
- هيا بنا

نزلوا إلى الزنزانة وإتجه بشير إلى جسد محمود
المسجى على الأرض يتلوى من الألم .. داس

بقدمه على وجهه يقلبها يمينا ويسارا كمن يقلب
وجه كلبٍ ميت بحذائه وقال
- ماذا أنت فاعلٌ به يا أبى ؟
نظر الأب إلى الحراس وقال
- ضمدوا جراحه وإرسلوه إلى داره

فى المساء كان القوم يجتمعون .. يتحاورون
ويتناقشون .. وفى أحوال البلاد يتمعنون .. تلك
الشرذمة هى مزيجٌ من الأعيان والشيوخ الكبار
فى البلاد .. إلّتحق بهم عددٌ ليس بالقليل من
الشباب .. كان هدفهم هو إنقاذ سفينة البلاد
المباركة من الغرق .. وإصلاح أحوال البلاد ،
أو هكذا يقولون وهم على دربهم يسرون ..
حتماً فى الخفاء يعملون .. ولكن العباد بهم
يعلمون .. تركهم السلطان المبروك وابنه حتى
يظهر أمام الرعية بمظهر السلطان العادل ..
ولمن يعارضه قابل .. بينما هو وحاشيته قد أحكم
قبضته عليهم كفئران فى مصيدةٍ يلعبون .. إذا فر

فأرّ منهم من المصيدة كان رجاله له بالمرصاد
قائمون .. يشدون ذيله فيصدر نميته متألماً ، ثم
يعيدونه للمصيدة يلهو مع أقرانه عله لا يكون لها
مكرراً .. من بينهم فى أفكارهم وأرائهم يختلفون
.. منهم من يرى نفسه ومن تبعه فى حزب فكره
من الناس هو الأحق والأجدر بالبيعة .. ومنهم
من لا يرى فرقاً .. فقط يريد سلطاناً عادلاً ..
ومنهم من ينادى بالبيعة للعمرو بن موسى ،
ويرون أنه الوحيد فى البلاد الذى يمكن أن يجابه
الأمير جلال المبروك الوريث المنتظر .. كان
العمرو بن موسى وزيراً لشئون البلاد الخارجية
، وحظى بتأييد كبير بين العباد والأعيان ،
فأزاحه السلطان المبروك من منصبه وجعله
مسئولاً عن ديوان العرب .. ذلك الديكور البديع
الذى هدفه توحيد بلاد العرب ولم شرّاز مهم
الممزقة .. إلا أنه صار كميت فى القبر لا رجاء
منه ولا فائدة .. بينما آخرون يرون أن العمرو
بن موسى قد صار مترهلاً ولا يصلح للبيعة
بعدما تجاوز السبعون من العمر .
جلس الجمع فى قصر أحدهم .. ورغم أنه ليس
بينهم زعيم .. إلا أن ابراهيم بن عيسى بجسده

السمين ووجهه المتكور هو أكثرهم كلاماً ..
يصغون اليه من موافقين ومعارضين .. كان
ابراهيم صاحب خفة دم فطرية ، وقدرة على
لفت الانتباه .. متأثرٌ بشدة بعصر الخلفاء
الراشدين .. فلم يكن هناك للسلطة توريث .. بل
البيعة لصاحب الأمر تأتي من العباد .. رغم أنه
لم يعلن من يكون من يستحق البيعة .. يرى
البلاد تنهار ، وثرواتها تُنهب من أهلها إلى
الأمراء وحاشيتهم من الأعيان .. له آراء فلسفية
مثيرة للجدل في بعض الأحيان عن الصحابة
والتابعين ومن والاهم من الأتباع .. منذ بضعة
أيام سرت في المسجد الهمهمات ، حين كان
إبراهيم يخطب الجمعة على المنبر منتصباً ..
وقال أن الجنة ليست على المسلمين مختصة ..
ولماذا لا يدخلها سوى المسلمون ؟ .. وساق من
الأحاديث والآيات ما لرأيه يؤيدون .. إن الدين
عند الله الإسلام ، ولكن ذلك في الآخرة وليس
في الدنيا .. فماذا يضيرك أيها المسلم إن دخل
الجنة الآخرون .. إعمل أنت لكي تدخلها ولا
شأن لك بالآخرين .. هكذا قال ابراهيم بن عيسى
.. ورغم ما ثار في المدينة من جدال على ما قال

.. إلا أن أكثر شئٍ يتذكره به الناس .. هو حين
مرض السلطان المبروك .. ونشط إبراهيم يحث
أتباعه ، بعدما تأكد من الخبر من حاشية القصر
وجواريه .. إلا أن السلطان المبروك تعافى من
المرض وقام .. وأمام العباد ظهر وبان .. وتم
القبض على إبراهيم .. وفي السجن كان من
المنزلين.

ومن بين الجمع كان هناك الوائل بن الأبراشي ..
بقامته النحيلة ووجه النحيف ، تشعر من عينيه
أنه ناعساً وللنوم طالباً .. أحياناً ما يختلف مع
إبراهيم .. إلا أنه على شاكلته يسير .
وكذلك عبد الله بن السعيد ، ذلك الشيخ الكبير ،
على درب إبراهيم ووائل يسير .. إلا أنه يكن
بغضاً وكرهاً لأتباع الدين الملتزمين .. وهم
الإخوان في الإسلام متأخين .. يرى أن الدين
ليس له مجالٌ في السياسة إنما هو للحياة في
الآخرين .

والمصطفى بن البكري الأسمر الجميل بصوته
الجهورى على الناس مخيف .. دائماً على
إصلاح البلاد متحمساً لكنه لبعض الأمراء
موالياً .. ومن وراءه أخوه في ذيله مكين .

وأمجد بن يونس الجلاب بجسده الطويل النحيل
جالساً .. وعلى ووجهه المسحوب كان شاربه
لنصف وجهه مغطياً .. يجلس إلى القوم هنا لا
يؤيد ولا يعارض .. ويذهب إلى الحاشية
السلطانية هناك فلا يؤيد ولا يعارض .. كان
لجماعة عدم الإنحياز مناصراً .. فإذا حدث هذا
ربح ، وإذا صار ذلك فلاح .

أما فاكهة الجمع .. ومن كثرة الضحك تسيل
عيناك بالدمع .. فهو طالع بن الأسياد .. الأسمر
المتألق .. وبشاربه المحفوف متأنق .. ولحاجبيه
ناتف ومتبرق .. أكثر المعارضين في البلاد
هجوماً على السلطان .. هو من سلالة سبق لها
حكم البلاد .. لكنه ليس معارضاً من أجل
إصلاح البلاد .. بل يسعى إلى الشهرة بين العباد
.. لا يطرح حلولاً للإصلاح .. بل يلقي بالنكات
للإضحاك .. ذاع صيته في البلاد وكما النار في
الهشيم إنتشر .. حين خلع حذائه وفي وجه أحمد
بن العز تاجر الحجارة للبناء ، فاحش الثراء كان
قد وقف .. وسط ديوان التفويض يناقشون أحول
العباد بتهريج .. تقمص الدور وهاجم السلطان
فكان مصيره إلى السجن قد صار .. خرج بعدها

ليفعل العجب العجاب .. أحضر أسدين أحدهما
كبير والآخر صغير .. ومشى فى دروب المدينة
متبختراً .. ومن على يمينه الأسد الكبير زائراً ..
وعلى يساره كان الأسد الصغير مع حفيده
حاضناً .. ولما لا ؟ .. وهو يرى نفسه الأسد
الهمام .. إضحك ، فأنت فى البلاد المباركة .
أما من الشباب فكان بلال بن الفضل لا يزال
صغيراً يطرق على الباب .. وإلى جواره أحمد
بن مشارى بن زيدون .

بعد ما قيل ودائماً ما يقال .. إنفض الجمع
مغادرين .. والعجيب والطريف .. أن سفينة
البلاد مازالت على حالها المائل .. والفقر لا زال
أمام العباد ماثلاً .. لا إنصلحت التجارة .. ولا
صارى للعدل فى البلاد بشارة .. إن كانوا
لإصلاح البلاد يسعون .. فلا بد أن يرى منهم
العباد ما يجعلهم لهم يصدقون .. كما اجتمع
الجمع إنفض .. وكما كانوا داخليين ولوّ مدبرين .

لك الله أيتها البلاد

المباركة

قبل أن ينصرف كل الوجودين صاح إبراهيم
- مالى لا أرى محمود ؟

رد أحمد بن زيدون

- قابلته فى الصباح بالسوق .. وكان يحثنى

على الحضور

أرسل إبراهيم من يستعلم .. وبعد إنتظار ليس
بالقليل جاءه الخبر .. هرع إبراهيم مع بعض
الجمع يسبقهم أحمد إلى دار محمود .. وهناك
كانوا يلتفون من حول السرير .. ناظرين إلى
وجهه الذى إختفت ملامحه وسط الإنتفاخات ..
لا يقدر على الكلام .. وإلى جواره والدته
وإخوته البنات منهمكين فى عمل الكمادات ..
إنصرفوا وتركوه مندهشين يريدون أن يعلموا
ماذا حدث له ؟ ..

كانت حورية هائمة فى غرفتها تتمشى مشبكة
كفيها خلف ظهرها .. حاولت النوم فلم تستطع ..
كلما تذكرت ما حدث شعرت بسعادة وأسف ..

السعادة أنها وجدت شيئاً جديداً يبدد بعض
الملل الذى تملك من حياتها .. والأسف على ما
حدث لذلك الشاب .. فهى المخطئة التى صفعته
على وجهه أولاً .. هى من أرادت إذلاله من
أجل كبريائها .. لم يفعل هو سوى أن دافع عن
رجولته أمامها .. حتماً هو الآن يتألم .. تمنى لو
كانت بجواره توأسيه مشفقة .. تنهدت تحاول أن
يهدأ بالها .. نادى أم إبراهيم مربيتها السمراء
لتساعدها على النوم .. فقالت أم إبراهيم

- أعلم ما تشعرين به يا ابنتى

- أحاول النوم

- ولماذا يجافيك النوم ؟

- لا أدرى

- بل تدري .. تعالى معى

ساقتها أم إبراهيم إلى الحمام ، حممتها ودلكت
جسدها بالماء الدافئ ، فهدأت أوصالها



وإسترخت
إلى غرفتها وأرقدتها على الفراش .. قرأت لها
من ألف ليلة وليلة .. كانت حورية تصغى
بإهتمام .. فقد كان للقصص اليوم مذاق مختلف
.. ومعانى جديدة .. تغزو لأول مرة قلب وعقل
حورية ، التى راحت فى سبات عميق .



بداخل القصر السلطاني أمضى هارون قرابة
الساعة مع السلطان المبروك وولى عهده جلال
والوزراء وكبار الأعيان .. يتحدثون غاضبين
عما حدث .. حتى دخل الوزير حسيب بن العادل
قائد الشرطة صائحاً

- لقد عرفنا من تكون القتيلة يا مولاي
السلطان

كاد هارون أن يُغشى عليه .. وقال ولى العهد
جلال المبروك

- جارية هارون الوكيل

- فراسةٌ تحسد عليها مولاي الأمير

إنفرت أسارى جلال بكلمات الوزير حسيب
الذى تابع

- اسمها رشيدة تعرف عليها أهلها من بدانة

جسدها والخاتم الذى كان فى أصبعها

- ما رأيك يا هارون ؟

هكذا قال ولى العهد ، فرد هارون

- كما قلت يا مولاي الأمير .. هى مجرد

جارية لا تكف عن إتهام الطعام .. وكدت

أبعيها لولا بكاؤها وإسترحامها لى

قاطعه قائد الشرطة قائلاً

- لم يخبرنا أهلها أو جوارى هارون ممن
كانوا يعيشون معها أن لها عدواً أو أى أحد
له مآرب فى قتلها
صاح ولى العهد

- أتخبرنا نحن بذلك يا قائد الشرطة .. أدرك
أنت هذا الكلام وأبحث عن القاتل وأتى به
إلينا .. هيا

قالها وهو يشير لقائد الشرطة بالإنصراف .. ثم
تابع قائلاً لهارون

- إذهب أنت يا هارون .. وإذا علمت شيئاً
جديداً أخبر به قائد الشرطة

هكذا لم يصدق هارون نفسه أنه خرج من
القصر السلطانى بأمان .. وعزم على ألا يكرر
ذلك ثانية .. فحياته الآن صارت فى خطر ..
عندما دنا من منزله وجد تلك الجارية المتسللة
فى طريقه تعترضه قائلة

- نادية ستنتظرك عند البئر فى الفجر
وقبل أن تتلقى رداً كانت قد إختفت من أمامه ..
ظل هارون يتقلب فى الفراش .. بالكاد سرق من
الزمن سويعات معدودة نام فيها تنازعه
الكوابيس .. وعند البئر فى الفجر كان هارون

يربط حصانه إلى سور البئر ويجلس مترقباً
مصغياً .. حتى سمع وقع خطوات فرسة نادية ..
بقفزة رشيقة كانت نادية تستقر من على ظهر
الفرسة إلى الأرض تغوص قدميها في رمال
الصحراء .. قال هارون بصوت مرتعش
- أعلمتِ ما حدث

لم ترد نادية .. وخلعت العباءة السوداء والنقاب
لتصير عارية .. فرشت العباءة فوق الرمال
ورقدت عليها ممددة ، تستنشق هواء الصحراء
النقى بتلذذ مثير مغمضة العينين ، وسط دهشة
هارون الذي رقد على ظهره بجوارها وقال
- يبدو أنكِ لا تعلمين ما حدث و....
بتر كلماته إثر إنقضاظ نادية بفمها تقبله .. باعد
رأسه وقال

- ..

قاطعتة نادية

- وما الجديد يا هارون ؟
- حياتنا أصبحت في خطر
بتر جملته فجأة ثم تدارك قائلاً
- حياتي في خطر .. يبحثون عن قاتل رشيدة
- لن يصلوا إلى قاتل رشيدة

- هكذا قالت نادية بهدوء وهى تقوم من رقدتها
تتمشى متهادية حول البئر ، فتابع هارون
- كان من الأولى أن أدفن الجثة فى الرمال
بدلاً من إلقائها
- لن يكن يجدى فى شئ
- ماذا تقصدين ؟
- لا يزال أمامنا جثث أخرى .. والشرطة
ستسعى لمعرفة أين اختفوا ؟ .. لنجعلهم
يحصلون على الجثث .. لكنهم لن يحصلوا
على القاتل أبداً
- وما أدراك ؟
- فقط افعل ما أقوله لك .. ستظل فى أمان



إرتدت نادية عبائتها ونقابها وإستعدت للذهاب
وقالت وهى تمتطى فرستها

- إسترح الليلة وفى مساء الغد عليك بالثانية ..
الثانية سهلة
قاطعها هارون
- ليس الآن .. علينا أن ننتظر حتى تهدأ
الأمر فى البلاد
- إذا إنتظرت .. سيفتضح أمرى .. صاحب
بالين كذاب .. عليك أن تعطيهـم جثة أخرى
ليتشتت عليهم الأمر
قالتها وهى تجذب لجام الفرسة مغادرة قائلة
- خذ هذه ستعينك على الثانية
قالتها وهى تلقى بحبة صغيرة .. إلتقطها هارون
وأمسكها بين أصبعيه محققاً .

عاد هارون إلى داره وفى غرفته الخاصة أخرج
الصندوق الصغير .. ظل يتفحص اللفافة الثانية
ويتسائل من تكون الثانية ؟ .. قرأ اللفافة مرات
عديدة .. خطيئة الرغبة .. إلتمعت عينيه ووجد
الإسم يتقافز أمام عينيه .. حتماً هى وردة تلك
العاهرة .

فى المساء كان هارون ىمتطى حصانه متسللاً
بين الدروب والطرقاى متجهاً إلى دار ورءة .

كانى ورءة إمراة جمىلة وءذابة أسىشهد زوؤها
وابنها وأبوها وأخوها فى معركة السىناء منذ
سنوات .. حىث كان جيش البلاد العرمرم ىحرر
الأرض من جيش البرامكة الذى إحتله .. لا
ىتنسى يوم أن ءل عليها الجنوء الباسلون
وخطفوا زوؤها وابنها من جوارها فى سكون
اللىل وكذلك فعلوا مع أخيها ، وحقى أبىها الكبىر
لم ىتركوه .. كانوا ىجمعون رجال عامة العباء
من الفقراء للجىش .. بىنما الأغنىاء وأبنائهم ومن
والاهم فى قصورهم ىتتعمون .. هكذا وءءى
نفسها وحدىة على الأرض ىتسول قوى يومها
من أقاربها اللذىن ضنوا عليها .. فوءءى نفسها
تسىر فى طرىق البغاء .. ووضعت على سطح
دارها الراىة السوداء .. ىطلب الرجال مقابلى
المال .. إحقرفت الأمر وصارت أضحوكة
المءىنة .. ىتندرون عليها وهم بحالها لا ىعلمون
..كثىراً ما ىرواءها حلمٌ غرىب ، حىث ترى
نفسها وقءى وقفت على خشبة مرءفة أمام حشد

كبير من الناس .. يصرخون مطالبين بقتلها ..
ولا تعلم هي لماذا ؟ .. لكنها تشعر وكأنها السبب
فى كل مصائب الدنيا .. وإلا فلماذا يفعلوا بها
ذلك ؟ .. وإلى جوارها تقف أمها وأختها صغاراً
كأنهم لم يكبروا يوماً ، وظلوا أطفالاً أبرياء



شاردة الذهن وحيدة وتعيسة حين دق الباب
هارون .. فتحت لتجد رجلاً ملثماً .. إبتسمت
وقالت

- إتفضل
- لا .. جئت آخذكِ عندى
- ألسـت طالبـ متعة ؟
- نعم كذلك
- إذن تعالى .. أنا لا أذهب عند أحد

- أنا هارون الوكيل .. تاجر .. سمعت عنك
فجئت أطلبك .. لا أستطيع أن أكون على
راحتي في دارٍ غريبة .. هذا طبعي .. تعالى
معي إلى داري .. لا أحد هناك
قالها هارون وهو يمد يده إلى وردة بزمردة
صغيرة .. أخذتها تتأملها وأدركت أن ثمنها
الكثير .. دستها في صدرها وقالت
- إنتظر

إرتدت عباءة سوداء للخروج .. ساعدها جسدها
الرشيق الممشوق في إمتطاء الحصان .. كاد
هارون يضحك حين ذكّره ذلك برشيده وهو
يكابد وضعها فوق الحصان .. من خلفها كان
هارون يجذب اللجام وينطلق بعدما لثم وجهه
بطرف عمامته .

بداخل الدار الموعودة شهقت وردة من الفرع
حينما رأت جسداً ممداً .. تدارك هارون وسط
إندهاشه فلم يتوقع أن يجد نادية بانتظاره .. وقد
أحضرت بعض الخمر والفاكهة وقال
- هذه نادية إحدى جوارِي
ردت وردة

- يبدو أنك رومية أيتها الجارية .. فما لنساء
العرب بهذا الجمال
ضحك هارون وقال (هى كذلك) .. وواصلت
وردة كلماتها
- لماذا جئت بى إذن ؟ ولديك هذه الجارية ألا
تكفيك ؟
- أنا أعشق النساء على كل شكلٍ ولون

تبادل هارون ونادية على إعداد وردة .. فكما
تنص اللفائف على المرأة أن تصل إلى قمة
المتعة حتى تتركز العناصر فى دمها وتتخزن
تحت جلدها .. إعتلى هارون وردة و شعر بيد
نادية تناوله الخنجر من الخلف أثناء إتيان وردة
شهوتها من تحته .. قبض على الخنجر ومد
زراعته يهوى ليغرزها فى قلب وردة .. إلا أنها
رأته و أمسكت بيده بزراعيها تمنع نصل الخنجر
من الوصول إلى صدرها .. تعجب هارون من
قوة قبضتها وقبل أن تتدخل نادية .. تبدلت
ملامح وردة فجأة وإنطلقت منها ضحكة خافتة
أتبعتها بتهيدة تاركة يد هارون الممسكة
بالخنجر وقالت

- هيا إفعّلها .. لا أحد لى فى هذه الحياة ..
علام أبقى فيها ؟

قالتها وقد إكتسى وجهها بإبتسامة شاحبة يائسة ..
وإمتلأت عيناها بوميض خافت عجيب .. وكان
هارون قد شلت يده .. لم يتحرك بل شعر بقلبة
ينبض شفقة .. أدار رأسه تجاه نادبة فرأى فى
عينها نظرة أمرة مخيفة ، وكأنها تحولت إلى
شيطان تحولت زرقة عينها إلى الإحمرار .. لم
يدرى هارون بنفسه حين غرز الخنجر فى قلب
وردة ، التى أشاحت بوجهها بعيداً وأغمضت
عينها قبل أن يهوى الخنجر فى قلبها .. رأت
نادبة وجه هارون الذى شحب وعينه التى خبا
نورها .. قامت تجذبه من فوق وردة وشرعا
الإثنان يسلخان جلد وردة ويقومان بما قاما به
مع رشيدة ، يتجاذبان أطراف الحديث .. قالت
نادبة

- أنت تمضى فى طريقك يا هارون

- أخشى ألا أكون كذلك يا نادبة

- سترى بنفسك يا هارون

إنتهى هارون مع نادبة من تنظيف كل شئ ..
ودفن الجلد والملابس المتسخة بالدماء ..

وتحصلا على قنينة الزيت الصغيرة التى لا تزيد
على أصبع اليد طولا .. إنصرفت نادية عائدة
وسط الليل إلى قصر ابن زيدون .. بينما ذهب
هارون لإلقاء الجثة على أطراف المدينة .. ولم
ينسى أن يستعيد الزمردة .. ليبدأ بعدها بيومين
فى الثالثة التى كانت مهمتها أحب إلى قلبه من
كل الأشياء .. امرأة خطيئة الكسل زوجته ..
القردة الكسولة ميمونة .

دخل هارون فى المساء على زوجته ميمونة
لتبادره قائلة

- ولماذا لا يقتلك السفاحُ القاتل ويريحنى منك
؟

- أهنت عليك هكذا ميمونة ؟

بُهِتت ميمونة حين سمعت زوجها يناديها بإسمها
بدلاً من القردة أو البومة كما اعتادت أن يناديها
.. وكذلك الإبتسامة الصافية على وجهه وقالت
- مالى أراك سعيداً .. ألا تدرى ما يحدث فى
البلاد ؟

- بلى أدرى ولكن ما شأنى أنا .. الحمد لله
سددت ديونى كلها وستصل قافلتى من الشام
وأزاول تجارتى وأربح

- كيف لا يعنيك ما يحدث والهرج والمرج
يسود البلاد بحثاً عن القاتل
- ميمونة زوجتى وحبيبتى دعك من هذا
الحديث .. لقد مر عامٌ ونصف على زواجنا
ولم يرزقنا الله بالولد
- قالت ميمونة بهمس كال مسحورة حين سمعته
يناديهـا (بزوجتى حبيبتى)
- أنا حبيبـتك ؟
- ومن تكون حبيبتى غيرك ؟
- صحيحٌ ما تقول يا هارون
- ولماذا لا تصدقين ؟
- لأنك دائماً تهيننى .. ولقد تزوجتنى طمعاً
فى المال
- من الذى قال لك ذلك ؟
- لم ترد ميمونة التى تسارعت دقات قلبها ،
تشعر أنها أنثى وزوجة لرجلٍ يحبها .. فتابع
هارون
- الليلة ليلةٌ إكتمال القمرِ بدراً .. وكما
يقولون إذا ضاجع الرجل امرأته فى تلك
الليلة .. صار الحبل وجاء الولد .. ما رأيك ؟

وسط الذهول الذى كسى وجه ميمونة تتردد كلمة
(ضاجع) بصدى مدوى فى أذنيها .. فزوجها لم
يضاجعها منذ زواجهما سوى ثلاث مرات فى
عامٍ ونصف .. قالت بصوتٍ مبجوح وعينيها
محدقة فى الفراغ
- سأترين لك

قالتها وهى تقوم تتجه إلى المرأة فسمعت صوت
هارون يقول

- ليس هنا يا ميمونة .. أعدى نفسك كما
تشائين .. فأنا قد أعددت لك مفاجئة ستسر
قلبك

كانت ميمونة تحقق فى المرأة بوجهها الدميم
الذى يذكر هارون كلما رآها بوجه القردة



.. لكنها رأت نفسها فى هذه اللحظة
أجمل نساء الأرض .

كانت ميمونة على ظهر الحصان خلف زوجها
هارون تحيط وسطه بزراعيها .. ليس خشية أن
تقع من على الحصان ولكن خشية أن يطير

هارون من بين يديها ومعه السعادة التي ملأت
قلبها والغبطة التي سرت في روحها في هذه
الأثناء .. ولما وصلا إلى الدار حملها هارون
على زراعيه ودلف بها .. صاعداً إلى سطح
الدار .. رأت ميمونة ما لا تصدقه عيناها ..
فرشة موثرة على سطح المنزل بأحد الأركان
متخفية ومن فوقها الفاكهة وزجاجة الخمر ، قال
هارون

- ما رأيك في هذه الجلسة الشاعرية هنا تحت
البدر المنير يا ميمونة

لم ترد ميمونة التي غرقت في بحر السعادة
وواصل هارون بعد أن جلسا على الفرشة
يناولها تفاحة حمراء ملساء

- أنظري إلى البدر يا ميمونة .. كم هو بديع
ويشبه وجهك الجميل ؟

قالها وهو يسخر في سره من منظر وجهها الذي
رقعته المساحيق الملونة ، والكحل المنسال حول
عينيها .. كانت ميمونة مأخوذة تسبح في عالم



آخر مع البدر .. بالكاد

تمكنت ميمونة أن تنطق بصوت مبوح قائلة
- ما الذى غيرك هكذا يا هارون ؟
- سنظل سوياً هكذا يا ميمونة .. أدعى الله أن
يرزقنا بالولد لتكتمل سعادتنا .. لماذا لا
تأكلين ؟ .. أأكلى أأكلى
بدأت ميمونة تقضم التفاح فى الوقت الذى كان
هارون يصب كأساً ويناولها فقالت
- أنا لا أشرب الخمر .. وليتك لا تشربها يا
هارون
- هذه ليست خمر .. إنها نبيذ .. عصير من
العنب .. إشربى
شربت ميمونة وبدأت بعد كأس أخرى تتخدر ..
وسط سعادة وفرحة طفولية لم تحظى بها منذ

جاءت إلى هذه الدنيا .. جذبها هارون تجاهه
يقبلها ففالت هامسة

- هيا ننزل للدار يا هارون

- لا .. أريدك هنا

- أتريد أن تتكحني هنا فى العراء .. أنا امرأة
حرة ولست جارية

- أين هذا العراء يا ميمونة .. نحن فوق سطح
دارنا ولا أحد يرانا .. ثم أنه هنا تحت البدر
يحصل الحبّ ويأتى الولد

غاص عقل ميمونة تتخيل نفسها حُبلى وقد
تمددت بطنها أمامها .. ورأت نفسها مع هارون
والأطفال فى حديقةٍ غنّاء وسعداء



، وأفافت لتجد

نفسها عارية بعدما نزع هارون عنها ملابسها ..
طفقت تخصف على عورتها من ثوبها ولكنها
سمعت هارون يقول

— دعى نفسك لى يا ميمونة .. ستعتادين الأمر
إستسلمت ميمونة لما يفعله بها هارون ثم قالت
- ماذا تفعلُ بى يا هارون ؟ .. لا أشعر
بجسدى .. رأسى ثقيلةً

- أتركى نفسك لى يا ميمونة
باتت ميمونة .. لا تفهم .. لا تعى .. لا تصدق
..متأوهة تلهث ..فى شبه إغماءة دخلت .. مد
هارون زراعته إلى طيات ملابسه وقبض بيده
على مقبض الخنجر وإستله .. وفى قلب ميمونة
كان قد غرسه .. لم تشهق .. لم تصرخ .. لم
تجحظ عيناها .. فقط بهدوء غريب قطبت
حاجباها وقالت بهمس (هارون .. هارون)
قالتها بنبرة متوسلة مستغيثة وكأنها لا تعى أنه
هو من طعنها .. أدار هارون الخنجر فى قلبها
لتموت .. لكنه وجدها ترنو إليه مبتسمة ثم
ضحكت بخفوت .. تضحك كالأطفال كانت
ميمونة .. وخرج الدمُ من فمها سائلاً .. مالت
رأسها تهمس (هارون .. هارون) قبل أن
تفارقها روحها وتموت .. لكن عينيها ظلت
مفتوحة على نفس النظرة الحية وكأنها لم تمت .

لف هارون جثة ميمونة بملابسها ولمّ الفرشة في
بؤجة .. حمل ميمونة على كتفه وأمسك البؤجة
بيده نازلاً يتسائل بينه وبين نفسه (لماذا ينظرن
لى هكذا وهن يموتنّ أمامى ؟)

لم يدر هارون بأن الثلاثة التى قتلهن كان الموت
أفضل لهن من الحياة .. بل أنه بقتلهن أحسن
إليهن صنعا .. فرشيدة تلك البدينة المترهلة
عاشت عمرها مثار ضحكات الرجال والنساء
بل حتى زميلات الجاريات ، يتتدرن عليها
ويضحكن عند إهتزاز لحمها مع حركاتها .. لم
تجد رجلاً سيداً كان أم عبداً سعى إليها كباقي
الجاريات .. كم نامت من ليالٍ تسحق دموعها
المنهمرة صدرها .. كم تمنّت لو نامت ولم
تستيقظ .

ووردة تلك الوحيدة التى سرقوا منها حياتها حين
جنّدوا أهلها وأستشهدوا فى الجيش .. حاولت أن
تنتحر لكنها فشلت .. وجدت نفسها عاهرة تبحث
عن لقمة العيش وسط الذئاب تنهش لحمها ..
صارت مصدر فكاهات الرجال .. تمنّت لو

ماتت .. ففى العالم الآخر قد يكون هناك من
يرحمها .

وميمونة الدميمة زوجة هارون .. أدركت منذ
نعومة أظافرها أنها قبيحة الوجه .. ومن حولها
الجماليات من سيداتٍ وجاريات .. قبلت هارون
المديون رغم أنها تعلم أنه يريد لها مالها .. لكنها
أرادت أن تتزوج بدلاً من أن تجلس عانسة
وتلحق بمن تزوجوا من زميلاتهن وقريباتها ..
تمنت لو لم تكن قد تزوجته وظلت عانسة حين
رأت الإشمئزاز على وجه يوم فض بكرها ..
وكانها هي المذنبه هي من خلقت وسوت وجهها
بدمامة منقّرة .. كانت تتمنى أن تموت .. فهذه
الدنيا مخصصة للجماليات وليس لمثلها .

هكذا ساق القدر لهارون الثلاثة يرى على
وجوههن وفى عينهن ما يُحزنه .. وجد هارون
نفسه وقد إنتهى .. سلخ الجلد وأذاب الدهن
وفلتره .. حتى صار معه قنينة الزيت الصغيرة
.. دارت فى رأسه الأفكار حين دخل الفجر ولم

تحضر نادية .. تسائل هل إفتضح أمرها فى
قصر ابن زيدون؟ .. أم أنها لم تستطع منه متسللة
.. قبل أن يطلع النهار كان قد حمل جثة ميمونة
زوجته .. ألقاها على طرف المدينة .. عاد تعتمل
الهواجس بصدرة حين لم تقابله الجارية المتسللة
تخبره بالموعد المعلوم .. ذهب مع شيخ بندر
التجار والد ميمونة ، و أبلغ قائد الشرطة عن
إختفاء زوجته .. سرعان ما عثروا على جثتها
المسلوخة وسط بكاء التماسيح الذى تقمصه
هارون .

بعد يوم هرع إلى البئر الناضبة وانتظر هناك ..
رغم أنه لا يعلم ما حدث لنادية .. لكنه أحس أنها
قد تحضر وصدق إحساسه ، وعلى فرسها كانت
نادية تتبختر .. نزلت وتعرت وعلى الرمال كما
المعتاد كان جسدها يتمدد



.. وإلى جوارها

هارون يسأل ويتسائل

- لم أستطع التسلل من القصر .. كان ابن

زيدون يقيم حفلاته ليومين

هكذا قالت نادية تحت البدر الناقص قليلاً

والهواء الثائر علياً يدفع برمال الصحراء على

جسديهما وقالت نادية

- علينا بالرابعة .. ليست سهلة

هكذا قالت نادية مصوبة عينيها الزرقاء على

عيون هارون الزائغة .. وتسائل من هي .. ردت

نادية قائلة (الحسودة) .. (ومن تكون ؟) .. قالها

هارون .. (لن تصل إليها لذا سأخبرك).

أخبرت نادية هارون بالرابعة .. وشرحت له

كيف يفعل ؟

ثم إنطلقت على مهرتها مغادرة .. بينما هارون
متعجباً

-٥-

تتجول حورية متهادية بين أركان حجرتها ،
مشبكة يديها خلف ظهرها .. تستنشق الهواء
وكانه رحيقٌ مختوم .. ترنوا بعيناها فى الفراغ
وتغمضها بسكون .. الحبُ قد يُولد بكلمة ..
لكنه معها كان مختلفاً ، فقد وُلد بلطمة ..
جرجرتها من عالمها الكئيب الممل إلى عالمٍ
ليس له مثيل .. نادى على مربيتها أم إبراهيم
وقالت

- أنا أريد أن أخرج .. أريد أن أذهب إلى
السوق .. عند بائع الجلود
- لا يا ابنتى .. البلاد مضطربة .. والشرطة
على العباد منقضة .. لا تستطيعين الخروج
فليس فى البلاد الآن أمان .. طالما كان قاتل
النساء طليق السراح
- سأتدبر أمري وأخرج
هكذا قالت حورية وقد إتخذت القرار

وما الحبُ إلا جنون
هنا تبدأ القصة



كان محمود جالساً على فرشته فى السوق .. يبيع
الجلود ولا تزال الندبات وأثار الجروح على
وجهه تظهر فى خفوت .. رأى أمامه أحمد بن
زيدون ، وإلى جواره إبراهيم بن عيسى .. قال
إبراهيم

- كيف حالك يا محمود .. جئت أطمئن عليك ؟

- بخير

قالها محمود بإقتضاب ، فتابع إبراهيم قائلاً

- لماذا لا تحضر الاجتماعات يا محمود

تنهد محمود باسماء وقال

- لم تعد تفيد .. سيظل الملوك ملوك ..

والصعاليق صعاليق

صاح إبراهيم قائلاً

- أعلم ماحدث لك يا محمود .. لكن لا تجعل

ذلك ينال من عزيمتك .. فأنت وأحمد

والشباب الآخرون تمثلون مستقبل البلاد ..

فنحن إذا لم نصل لإصلاح البلاد .. أنتم منا

للراية مستلمون

قال محمود وهو يرتب الجلود من أمامه بنبرة

ساخرة

- نعم سنستلم منكم راية الكلام والصياح

تسائل إبراهيم

- وماذا نفعل يا محمود ؟

- السيف هو الحل !

قالها محمود بنبرة مخيفة .. جعلت إبراهيم يحدق

فيه قائلاً

- السيف ؟ ماذا تقصد ؟

- إذا كنا نريد إسترداد بلادنا ممن إغتصبوها

من الظالمين .. علينا أن نقاتلهم بالسيف ..

والعين بالعين .. لا بد أن نجاهد فى سبيل

حياتنا وكرامتنا بدلاً من الذل والهوان

- أنت تقول ذلك لأنك لازلت متأثراً بما حدث
لك

قاطعه محمود محتداً

- وأنت لا تقبل ذلك لأنك مثلهم .. ممن يملكون
المال والقصور .. لا تكذب ولا تتعب مثلي أنا
العبد المقهور

لم يرد إبراهيم بل قال موجهاً كلامه لأحمد بن
زيدون

- لا تترك محمود يا أحمد .. فهو يحتاج من
يقف إلى جواره .. وعندما يهدأ .. سيعود
محمود الذى نعرفه

وهم مغادراً وهو يقول لمحمود

- أنت ترى ما يحدث فى البلاد .. ثلاثة قتيلات
مسلوخت .. ولم يعد هناك أمان .. الهرج
والمرج يسود أحوال العباد .. وهنا دورنا
تجاه بلادنا

قالها وإنصرف بينما قال ابن زيدون

- أنت تحتاج بعض الوقت لتنسى ما حدث يا
محمود .. سأزورك فى المساء



إنصرف أحمد متجهاً بضع خطواتٍ حتى
وصل إلى عبة الجالسة على فرشتها في السوق
تبيع اللبن .. تمعن في وجهها الذي أسر قلبه ..
ونظر في عينيها السوداء فشعر وكأنه يهيم في
الليل الهادئ .. رآته أمامها فلم يبدو على وجهها
شيء .. بادرها قائلاً

- كيف حالك يا عبة ؟

- ماذا تريد يا ابن الأعيان ؟

- أريدك يا عب..

بتر عبارته فجأة وتدارك قائلاً

- أنا اسمي أحمد ابن زي..

قاطعته هي قائلة

- أعلم ذلك .. ماذا تريد ؟

- لماذا تعامليني هكذا ؟ .. هل أسأت إليك في

شيء ؟

قالها أحمد متودداً .. بينما ردت هي بغضب

- لا أحد يقدر على الإساءة لي

- وأنا أطيح برقبة من يسئ إليك
هكذا صاح أحمد وقطع كلامه ، حين جاءت
إمرأة وإشترت بعض اللبن ومضت لحال سبيلها
.. فواصل أحمد بصوتٍ لاهث مبحوح
- أريد أن أتزوجك يا عبلة
قالها فى الوقت الذى كانت فيه أم عبلة قد
حضرت تقول

- هل بعتِ يا عبلة كل اللبن اليوم ؟
صمتت أم عبلة وحدثت فى الشاب الوسيم
الواقف أمامها بعدما سمعته يطلب عبلة للزواج
.. بينما عبلة مندهشة وقد زاغت عيناها .. تتقافز
بصدرها أحاسيس أنثى مرغوبة .. وقالت أم
عبلة

- ومن أنت أيها الشاب ؟
- أنا أحمد بن مشارى بن زيدون
- ومالك أنت بصهر الفقراء من أمثالنا
- لقد رأيت عبلة وأحببتها وأريد أن أتزوج بها
قالها أحمد محمر الوجه خجلاً .. فردت أم عبلة
ضاحكة غير مصدقة
- وهل أهلك يرضون ببائعة لبن فى السوق ؟
- لا شأن لأهلى بى

تعالى ضحكات أم عبلة تقول
- كنت أظنك شاباً .. ولكن الآن إما أن تكون
صبياً لم يبلغ الحلم .. أو سيداً يريد أن يلهو
مع مثلنا يتسلى .. إذهب .. إذهب
قالتها أم عبلة وعلى وجهها علامات جامدة
وتبرق عينيها بوميض يكاد يفتك به .. فوجد
أحمد نفسه يفرع خائفاً ويستدير منصرفاً يجر
أذيال الخيبة .

فى الوقت الذى كان محمود قد باع قطعة كبيرة
من الجلد غالى الثمن .. وسعد بما رزقه الله ،
كان جالسا على فرشته وعيناه على الأرض
يطوى جلوده المفرودة .. فإذا بعينه تقع على
حذاء مذهب برقبة طويلة .. صعدت عيناه لأعلى
تتهادى حتى ثبتت عيناه على وجه ملثم خلف
الطرحة الشفافة .. زاغت عيناه حول عينيها التى

كانت ترنو له بحنانٍ بالغٍ .. وسمع الصوت



الرفيق يهمس

- كيف حالك يا محمود ؟

قالتها تاركة طرف طرحتها يهوى .. فإنكشف
نور وجهها كالبدر في طلعتة ، جعل محمود
يتلفت حوله .. يترقب الحراس القادمين ينهالون
عليه .. إلا أنه رآها تجلس أمامه على طرف
الفرشة الرثة البالية .. تثبت عينيها في عينية
الجامدة وتقول

- سامحنى يا محمود .. أنا التى أخطأت

قالتها وهى تمد يدها تمرر أناملها على وجهه ..
تتلمس آثار جروحه المندملة وعلى وجهها
علامات من يرى مخلوقاً غريباً أمامه لم يرى
مثله من قبل وقالت

- ألهذا الحد تسببت فى إيدائك

لم يرد محمود الذى شعر بوجهه وقد تخدر من
أناملها فلم يعد يشعر به .. أمسك كفها بيده
فارتعش وباعده عن وجهه .. ينظر حوله خشية
أن يرى من حوله ينظرون .. بالكاد إبتلع ريقه
ونطق

- أنا أعتذر لك .. فلم أكن أدري كيف صفعتك
حتى ولو كنت أنتِ البادية .. ما كان يجب أن
أفعل ذلك أيتها الأميرة

قضبت هى حاجباها وقالت مقتضبة
- لا تنادينى بالأميرة .. إسمى حورية
صمتت قليلاً فى الوقت الذى أدرك فيه محمود
بوجود امرأة أخرى سوداء جلست بجوار حورية
، وقالت حورية

- هذه أم إبراهيم .. مربيتى منذ أن ماتت أمى
إبتسم محمود فى وجه أم إبراهيم ثم قال لحورية
- دارى ليست بعيدة عن هنا سأذهب لإحضر
لك ما عندى من رقوق

- لا ليس الآن .. أريدك أن تصحبنى فى جولة
فى السوق .. فهذه أول مرة أرى فيها سوقاً
أدارت رأسها لأم إبراهيم وقالت

- أحرصى يا أم إبراهيم بضاعة محمود حتى
نعود

قالتها وهى تقوم واقفة .. جعل الموقف كله
محمود فى حالة غريبة بين الدهشة والفضول ..
فقام معها ماضياً فى السوق .

كانت حورية تتأمل وجوه الناس المكفرة .. لم
ترى من قبل مثل هذه الوجوه .. إعتادت على
رؤية وجوه الأمراء والأعيان المنعمة .. شعرت
وكأنها إنتقلت إلى عالم غير العالم .. ودنيا غير
الدنيا .. مشدوهة تنظر إلى جميع ما حولها ..
ترقب البيع والشراء .. وتستمع إلى صياح الباعة
ينادون على بضاعتهم .. وزعيق فصال من
يشترى مع من يبيع .. كانت تبتسم سعيدة بما

ترى .. ورددت بينها وبين نفسها



- كم هي جميلة تلك الحياة
- أفاقت من شرودها على صوت محمود يقول
- لماذا جئت إلى هنا ؟ .. وماذا تريدني ؟
- لم تجب على السؤال .. وقالت ما لم يخطر
- لمحمود على بال
- أتعلم يا محمود أنك حين صفعتني ..
- أسعدتني وبددت علىّ حزنى وضيقى
- ضحك محمود وقال
- غريبٌ أملك أيتها الأميرة
- أرجوك يا محمود .. لا تخاطبني بالأميرة ..
- قل لي يا حورية
- حكّت حورية لمحمود وهما يتمشيان في السوق
- عن حياتها الكئيبة المملة .. وكيف أنها تتمنى

أن تعيش مع الناس البسطاء .. زهدت في حياة
النعيم والقصور .. تريد أن تجعل لحياتها معنى
.. قال محمود

- كنت أظن أن حياة العز والنعيم والقصور
والخدم والجواري .. هي السعادة
- لا يا محمود .. السعادة شئٌ آخر .. لا علاقة
له بالعز والجاه والسلطة والمال

هكذا إندهش منها محمود .. وزاد تعجبه حين
وجدها تتجه إلى أحد الباعة في السوق وتتناول
ثوباً بسيط الحال ورقيق .. كان محمود فاغراً
فاه وهو يسمعها تفاصل مع البائع على ثمنه كما
الفقراء .. بينما البائع بادياً على وجهه الغضب
من فصالتها الشديد والذي لا يتناسب مع مظهرها
الثري الأنيق .. إشتريت الثوب ولفته تحتضنه
على صدرها كأنه عزيز .. تضحك بشدة وتعلو
ضحكاتها البريئة العذبة .. لم يجد محمود بداً
سوى الضحك لضحكاتها وقال

- علام تضحكين يا حورية
سعدت هي حين سمعته ينطق بإسمها مجرداً ..
وقالت

- لم أكن أعلم أنني أستطيع أن أفعل ذلك

- تفعلين ماذا ؟

هكذا سأل محمود .. أجابت حورية

- أشتري ثوباً بعدما أفاصل مع البائع وأخذه

بثمن زهيد

- أنا لا أصدق أنك أول مرة تنزلين السوق

وتشتريين

لم ترد حورية التي تسمرت مكانها على مشهد ..

لم تكن حتى من الممكن أن ترى مثله في

أحلامها .

كانت ترقب نخاساً يعرض جاريته للبيع أمام

ثلاثة رجالٍ يتفحصونها .. وأشار النخاس

للجارية الجميلة بأصبعه .. فقامت بخلع ثوبها

الذى لم يكن تحته شئ و صارت عارية إلا من

عقدٍ رقيق زين رقبتها .. ووقفت الجارية تميل

رأسها على كتفها فى دلال .. بينما ثنت إحدى

ركبتيها فصارت وقفها فى غاية الإثارة .. تمنع

الشارى فى معاينة جسدها ويتحسس بأنامله



نعومة جلدها

تتسائل حورية بينها وبين نفسها
- ترى بماذا تشعر تلك الجارية الآن ؟ .. حتما

شعور غريب

تمنت لو كانت مكان الجارية ، ياله من شئٍ
سيكون جميل .. أفاقت على صوت محمود

بجوارها يقول

- ألم ترى جاريةً تُباع من قبل

- لا

أجابت وهى تواصل السير مع محمود يتهامسان

بالكلمات .. مرا على دار محمود الذى دلف

يحضر منها الرقوق .. كانت حورية تنظر إلى

الدار مبهوتة .. طين منصوب وفوقه جزوع
النخيل معروش ، وبابه من خشبٍ متهالك لو
دفعته بقوة لصار هشيماً .. وتسائلت أياصلح ذلك
المكان ليحيا في إنسان ؟ خرج من الدار محمود
ومعه مجموعة من الرقوق .. تناولتها وأخرجت
صرةً كبيرة من الدنانير قائلة

- خذ يا محمود .. هذه ثمن الرقوق وكذلك
تعويض عن تركك لعمالك وتجولك معي في
السوق

نظر إليها محمود باسماءً .. ودون أن ينطق بشي
أمسك بكفها الرقيقة الممدودة بالدنانير وأحاطها
براحتيه الخشنة يدفعها بلطف تجاهها رافضاً
صرة الدنانير .. سرت في يدها قشعريرة باردة
من خشونة يده التي لم تحس مثلها في الأيادي
الناعمة لإخوتها الرجال .. ردت على إبتسامته
بإبتسامة واسعة جعلته يشعر بالدنيا تفتح
زراعيها له .. عادا إلى مكان فرشاة محمود ..
وقالت حورية

- على العودة قبل أن يدرك أحد غيابي
إنصرفت مع أم إبراهيم بينما محمود وجد نفسه
يعيش في العالم النقيض .. من الكره والنقمة

والرغبة فى القتل .. إلى الحب والود والرغبة
فى السلام .

سارحاً كان محمود يلم فرشته وبضاعته .. فلم
يسمع صوت عيلة يقول من خلفه
- من هذه التى كانت تتجول معك بأرجاء
السوق ؟

بالفعل لم يكن قد سمعها .. ومضى عائداً إلى
داره .

- عادت حورية إلى القصر .. لا تشعر بالزمن
من حولها .. وكأنها صارت روحاً هائمة
خارج حدود الزمان والمكان .. كل هذا لأنها
فتحت القفص الذى تتنفس فيه مختنقة ..
وطارت إلى عالم شعرت بالحياة تدب فيه ..
دلفت إلى غرفتها وإختلت بنفسها .. إرتدت
الثوب الذى إشتريته من السوق .. وغمست
ريشتها فى مدادها .. وبدأت تكتب على الرق
الخالى أمامها .. تخط الكلمات بإحساس
جديد .. وترسم الحروف بمعنى مختلف .

كان أحمد ابن زيدون على فراشه الوثير يتقلب ..
كالسمكة تُشوى على صفيح النار يتأجج ..
يتسائل أهو صبي لم يبلغ الحلم بعد كما قالت أم
عبلة .. أم رجل بين الرجال له طلة .. تنهد وتنهد
وفكر وإسترسل .

رغم النعيم الذى يعيش فيه أحمد إلا أنه شاباً
مختلفاً عن أقرانه من أبناء الأعيان .. والسبب
فى ذلك يرجع إلى أمه التى ألحقته منذ صغره
بالمسجد .. يتعلم من الشيخ الدين والحياة ..
إختلط بعامة الناس فلم يرى نفسه مختلفاً .. نشأ
حيياً بوجهه الأبيض المحمر دائماً خجلاً ..
كان أقرب فى شخصيته من أمه التى ربه .. لا
يمت لأبيه اللاهى العابث فى صفة .. لماذا جذبت
إذن عبلة ؟ .. رغم ما حوله من بنات الأمراء
والأعيان .. السبب أنها رجل .. رجل مختفى
خلف أنثى .. لم يرى فيها ضعف الإناث .. بل
رأى قوة الرجال .. أشعره ذلك بأنها تكمل ما
عنده من نقص .. فهو ذكر إختفى وراء طبيعة
أنثوية ، وهى أنثى إختفت وراء طبيعة ذكرية ..
هكذا جعلتهما ظروف حياتهما .. أفاق من
شروده على صوت أمه يقول

- أراك شاردًا مهمومًا يا أحمد
كعادته لا يخفى عن أمه شيء .. إسترسل أحمد
فى الحكاية ولما إنتهى .. قالت والدته
- ألا ترى أن بائعة لبن لا تصلح لحياة
القصور

- ولما لا ؟

لم ترد الأم وقالت

- إهدأ أنت الآن ولا تعطى للأمر بال ..
سأفتح أبيتك فى الموضوع .. رغم أنى أعلم
مسبقاً ما سيقول

مسحت بحنان على وجه أحمد وإنصرفت .. لكن
أحمد لم يهدأ .. تذكر محمود .. فقام مسرعاً
يرتدى ملابسه .

وفى دار محمود المتواضعة كان أحمد يجلس
سائلاً

- أرى وجهك مشرق عكس الصباح .. ماذا
حدث ؟

- لا شيء

- أستعاهد حضور الاجتماعات

- سأفعل إن شاء الله

- أريد أن أسألك يا محمود عن عيلة

- ماذا تريد منها ؟

حكى أحمد بتلقائيته لمحمود ما حدث اليوم مع
عبلة وأمها .. وكيف حكى لأمه .. فرد محمود

- لا تصلح لك عبلة يا أحمد .. ليست من

طينتك .. إبحث عن فتاةٍ أخرى

كان هذا الكلام يزيد أحمد إصراراً على المضى
قدماً فى طريق عبلة .. فقال محتداً

- وهل يجب علىّ أن أكون فقيراً معدماً

مثلها .. حتى أكون أهلاً للزواج بها

- أهلك لن يوافقون يا قيس .. وهى ليست لىلى

هكذا قال محمود .. بينما تنهد أحمد قائلاً

- محمود .. أريدك أن تسأل عبلة فى أمرى

وتخبرنى

- لا أريد أن تقمّنّى فى هذا الأمر يا أحمد

- أنت صديقى يا محمود .. وعليك أن

تساعدنى

تنهد محمود وقال

- ليفعل الله ما يريد

هكذا إنتهت زيارة أحمد لمحمود

وفى الصباح كان محمود يحادث عبلة قائلاً

- مارأيك يا عبلة فيما قاله لك أحمد بالأمس
وكان سهماً أصاب رأسها .. كانت عبلة تحرق
فى محمود بجمود .. إستحضرت قوتها الكامنة
وقالت

- وما رأيك أنت يا محمود ؟

- أرى أن الخلاف بينكما كبير

قالها محمود ، وشعرت عبلة ببعض السعادة
تسرى فى قلبها .. ظنت أن محمود سيبحثها على
رفض أحمد لأنه يريد لها لنفسه ، لكن جاءت
كلماته

- إذا استطاع أحمد إقناع أبيه بالزواج بك ..
فأنا أرى أحمد رجلاً ليس من الأعيان كما
نعرفهم .. بل هو مثلاً

ترقرقت الدموع فى عيني عبلة .. وقبل أن
يلحظها محمود ، إستدار على يد فوق كتفه ليرى
من الطارق .. فإذا بها حورية تبتسم بإبتسامة
عذبة صافية .. جعلت محمود ينسى وجود عبلة
وسار مع حورية قائلاً

- يبدو أنك تريد أن تعيشين هنا فى السوق
.. ما رأيك أن أصنع لك خيمةً هنا تقيمين
فيها ؟

قالها ضاحكاً فى الوقت الذى كانت عبلة
كالتمثال واقفة لا يتحرك فيها شئ سوى دموعها
النازفة .

- بائعة لبنٍ تقول .. أجننت فى عقلك ؟
هكذا صاح ابن زيدون فى وجه ابنه أحمد الذى
قال

- أبتى .. يقول الرسول (ص) تُنكح المرأة
لأربع

قاطعة ابن زيدون صائحاً

- إصمت .. إصمت .. سأبحث أنا لك عن
عروسٍ تليق بك

- أنا لا أريد غير عبلة

- وإذا لم أجعلك تتزوج بائعة اللبن هذه ؟

قالها مشارى محدقاً فى وجه أحمد الذى كابد
للتخلص من خجله .. ورسم على وجهه علامات
الرجال قائلًا

- سأترك القصر .. وإشتغل وحدى .. أتزوجها
وأحيا معها حياة الفقراء

بُهِتَ مِشَارَى بْنُ زَيْدُونَ فَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَنْ يَتَجَرَّأَ ابْنُهُ
هَكَذَا وَقَالَ

- يَبْدُو أَنَّهُ الْحُبُّ كَمَا يَقُولُونَ
قَالَهَا وَهُوَ يَسْتَدِيرُ مَطَرَقَ الرَّأْسِ ، مَشْبِكاً كَفِيهِ
خَلْفَ ظَهْرِهِ يَدُورُ حَوْلَ ابْنِهِ مَمْعِناً التَّفَكِيرَ يَرُدُّ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ((يَبْدُو أَنَّ الْفَتَى مَسْحُورٌ بِبَائِعَةِ
الْلبَنِ .. وَإِذَا لَمْ أَزُوجْهَا لَهُ سَيَتْرَكُ تِجَارَتِي وَلَا
أَجِدُ مَنْ يَتَابِعُهَا)) .. كَانَ ابْنُ زَيْدُونَ لَا هَمَّ لَهُ
سِوَى الْجَوَارِي الْفَاتِنَاتِ وَالْحَفَلَاتِ الْمَاجِنَةِ ..
مَعْتَمِداً عَلَى ابْنِهِ فِي إِدَارَةِ شُؤْنِ التِّجَارَةِ .. فَإِذَا
تَرَكَهُ ابْنُهُ سَيَصِيرُ الْحَالُ غَيْرَ الْحَالِ .. لِذَا إِتَّخَذَ
قَرَارَهُ وَقَالَ

- أَنْتِ تَحِبُّهَا يَا أَحْمَدُ تِلْكَ بَائِعَةُ الْ...
بِئْسَ عِبَارَتُهُ ثُمَّ تَدَارِكُ قَائِلاً مَبْتَسِماً
- قُلْتُ لِي مَا اسْمُهَا ؟
- عِبْلَةُ

هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ مَتْلَهْفاً .. حِينَ رَأَى تَعْبِيرَاتِ
وَجْهِ أَبِيهِ تَنَمُّ عَنْ تَغْيِيرِ الْحَالِ .. بَيْنَمَا تَابِعَ ابْنُ
زَيْدُونَ

- طَالَمَا تَحُبُّ عِبْلَةَ لِهَذَا الْحَدِّ .. إِذْنِ لَتَتَزَوَّجْهَا
وَتَسْعِدَ بِحَيَاتِكَ يَا بُنَى

- صحيحٌ يا أبى ؟

هكذا صاح أحمد غير مصدقاً .. فرد ابن زيدون
صارماً

- أعلمنى بالموعد الذى تريده لأذهب معك إلى
أبيها نخطبها

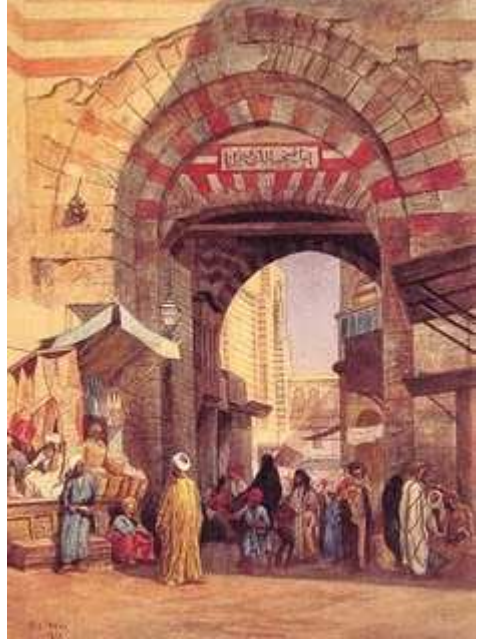
لم يرد أحمد الذى إنطلق يعدو خارجاً .. تتقافز
خطاه فى الدروب والطرق إلى عبلة فى
السوق ذاهباً .. وصل إليها فوجدها مع أمها
على فرشتها فى السوق جالسة .. قال سعيداً
موجهاً كلامه لأم عبلة متسارعاً
- أم عبلة .. أريد أن أحضر مع أبى لأطلب
عبلة من أبيها

بينما ابن زيدون على أريكته وسط الجوارى
جالساً يفكر .. رسم بمخيلته مستقبل ابنه مع
بائعة اللبن .. واثقاً أن تلك الزيجة لن تفلح ..
فليدعه يتزوجها ويلهو بها قليلاً .. وبعدما يشبع
ويمل يطلقها ويتزوج ممن تكون أهلاً له .. هكذا
كان يفكر ابن زيدون فى شأن ابنه أحمد مع بائعة
اللبن .

فى دار عبلة كان الأب كعاداته صامتاً يعبأ اللبن
المحلوب من الغنم والماعز بينما أم عبلة تصيح
- أيتها المتعوسة .. علام ترفضين العز
والنعيم .. إن كنت تنتظرين محمود الفقير ..
فإعلمى أنه منك شيئاً لا يريد .. تحدثت مع
أمه كثيراً حتى صرت كالتى تعرض سلعة
بائرة

- أنا لا أريد ابن الأعيان ولا أريد محمود
- أتريدى أن تظلى هكذا بلا ونيس .. يا بنيتى
، لقد جائتك حياة العز والقصور تحت قدميك
.. فلماذا ترفضينها ؟ .. أتودى أن تظلى فقيرة
؟

هكذا إستمر حوار عبلة مع أمها .. حتى وافقت
على قبول أحمد زوجاً لها .. بينما قلبها لا يزال
فى مكانٍ آخر.



ظلت حورية مع محمود فى السوق تتجول ..
فرحة وسعيدة ترقب الناس من حولها .. وقال
محمود

- لا أستطيع أن أفهمك .. ماذا تريدین ؟
- لا تفسد عليّ سعادتي يا محمود .. أنا لا أفكر
فى ساعتى المقبلة .. بل أسعى لأعيش
ساعتى الحالية
- أنتِ أميرة .. فما شأنك بحياة عامة الناس
والعباد
تنهدت حورية وقالت والكلمات تسرى منها
ببطء

- أنا لا أحب أن أكون أميرة .. بل وجدت
نفسى فى كتب الفلاسفة والحكماء والشعراء

أسيرة .. وجدت هنا هذا العالم الذى كنت
أقرأه .. فصرت الآن أحياء
صمتت قليلاً ثم تابعت وهى تمد يدها لمحمود
بلفافة رق

- على العودة الآن .. خذ هذه وأقربها
- ما هذه؟

قالها محمود وهو يفتح اللفافة .. تطالع عيناه
السطور فقال

- أشعر هذا أم نثر ؟
- مزيج بين هذا وذاك
- ولماذا تكتبينى هذا يا مولاتى .. أنا صعلوق^{٢٤}
وأنت أميرة
تنهدت حورية وقالت

- وجدت نفسى أفكر فيك .. وأردت أن أكتب
هذا لك فكتبته .. هذا كل شئ
قالت جملتها الأخيرة ببراءة الأطفال .. مما جعل
محمود جامداً مذهولاً .. بينما تابعت هى بهمس
- ليتك تكون مثلى يا محمود
- لا يمكن للصعلوق أن يكون أميراً
هكذا صاح محمود .. فردت حورية

- لا .. أقصد ألا تفكر فى ساعتك القادمة .. بل
تحيا ساعتك الحالية .. مثلما أفعل أنا
أعطت ظهرها لمحمود مولية تقول
- أراك على خير
بينما محمود كان كالمسحور .



تسير فى الدروب والطرقات كانت حورية إلى
قصرها عائدة .. وفجأة وجدت جسداً يعترض
طريقها .. نظرت فرأته أمامها واقفاً .. والجلد
الأسود يغطى نصفه العلوى .. والخوزة الفضية
على رأسه قابعة .. قابضاً بيده على مقبض
السيف فى غمده .. كان يوسف بن حسيب بن
العادل ابن قائد الشرطة والمساعد الأول فى
ديوان الشرطة يحدق فى وجه حورية وقال

- حينما علمت أنك جئت إلى السوق في المرة الأولى عند بائع الجلود لم أصدق .. ولكن الآن ماذا تقولين ؟

- لا شأن لك .. أنتجسس على .. حسابك سيكون عند أبي عسير

قالتها حورية بغضبٍ عارم وهمت تمضي في طريقها .. إلا أن يوسف نزع يده من على مقبض السيف .. وأمسك بزراعها يشدها .. ووقف أمامها وتعانقت زراعاه على صدره قائلاً

- نعم أعلم الحساب العسير .. حين يعلم أبوك الأمير أنك خرجت من القصر متسللة .. إلى بائع الجلود الذي لطمك على وجهك في حديقة القصر .. وجنودى رأوك فساروا ورائك يحموك من قاتل النساء الذى نبحت عنه

صمت وقال بنبرة مخيفة

- هكذا سيكون الحساب العسير ولكن لمن ؟ .. عليك أنت أن تدركين

تبدلت ملامح حورية وهمت بالإنصراف من أمامه فاستوقفها قائلاً

- أنا أحبك يا حورية .. وأنتِ أغضبتيني
حين مزقتي رسالتى وألقيتها أمامى ..
سأسامحك .. لكن إفتحى لى قلبك
إنصرفت حورية من أمامه لكنه لم يستوقفها هذه
المرّة .

جلس محمود بعدما عاد من السوق يقرأ اللفافة
التي أعطتها إياه حورية فقرأ

عندما يأتي المساء وتحتويني ترانيم القصيد
عندما تغيب الشمس وتحتضن أمواج البحر
الدافئة

وعندما يسكن الهدوء زوايا غرفتي الصغيرة
ويختبئ النوم تحت جفوني كطفلٍ بريئٍ
وأعود لأوراقى لأسكب عليها مداد حبري
الدافئ

وتنتحر حروف كلماتي على حافة السطور
أحاول لملمتها وجمع شتاتها ، ولكن عبثاً
أحاول فأنا:

والحزن ننام علي وسادةٍ وكأنا حبيبان لا
نفترق

إن ودعته يبكي ، وأن نسينا بعضنا نحترق
أخلقت من أجله ، أم كلانا في طريق عليه
نتفق

وأعود لأوراق من جديد ، فلا احد يفهمني
غيرها

وقلمي الصامت الذي يبكي كلما بكيت
وسطور لا تبوح الا بما يكتب عليها فأنا:
أعبث بالأوراق وتعبث بي ، ولا أدري الي أين
المصير

أفكر ، أسرح ، أسترسل فيها ، حتي تأخذني
الي ذاك العبير

حديقة بلا زهور ، بلا شجر حبيبي كان هناك
يسير

أمد يدي لأكتب عليها ، فتكتبني قصيدة
وتتركني أسير

لهوي قديم وعشق جديد أن ينساة قلبي يأتيني
عبر الأثير

فتمزق أحرفها دموعي وتبقي الأوراق لا تعرف
بأي شعور تسير

ظل محمود يقرأ الرسالة مرات ومرات ..
إختلجت في قلبه مشاعر عديدة وأحاسيس كثيرة
.. وجد عيناه تدمع متمنياً أن يكون أميراً .. لم
يتغلب على نيران صدره المشتعلة وأمواج
سريرته الهائجة .. إلا عندما سمع صوت حورية
الرقيق يهمس (لا تفكر في ساعتك المقبلة .. بل
إحيا في ساعتك الحالية) .. هكذا ظل الصوت
يردد في أذنيه حتى هداً وبدأ يعيش ساعته
الحالية .. ينبض قلبه سعيداً ويلتقط أنفاسه فرحاً
.. كذلك مضت الساعة الحالية ، وبدأت الساعة
القادمة ، التي كانت على محمود قاسية .. حيث
سمع صوت طرقاتٍ مفزعة على الباب .. وقبل
أن يفتح إنفتح الباب من شدة الطرقات .. وجد
ثلاثة جنود يمسكونه بتلابيبه.

بداخل ديوان الشرطة كان محمود يقف أمام
يوسف بن حسيب الذي قال ناظراً في عيني
محمود

- ما حكاية الأميرة مع بائع الجلود ؟ .. حتماً
هي حكاية مثيرة أود أن أسمعها
رد محمود لاهتاً

- كانت تبتاع منى الرقوق
- رقوق !! .. يالها من رقوق !! .. تلك التى
تجعل الأميرة تتمشى مع صانع الجلود فى
السوق

ابتلع محمود ريقه وقال
- طلبت منى أن أصحابها فى جولة .. لأنها
أول مرة ترى فيها السوق
- اممممممم .. جميل جميل .. ولما أعجبها
السوق جاءت ثانيةً اليوم
صمت يوسف وقد ضاقت عيناه محدقاً فى
محمود وتابع
- لكنها أعطتك لفافة صغيرة من الرقوق
تنهد محمود وقال

- هى قطعةٍ من نوعٍ خاصٍ من الرقوق
يمكنك الكتابة عليها بسهولة .. أحضرتها لى
لأصنع لها مثلها
- إمممممم .. يا ترى ما سر تعلق الأميرة
بالرقوق
- تقول انها تكتب عليه
- وماذا تكتب ؟
- لا أعلم

تنهد يوسف ومد يده يداعب لحيته وقال
- يبدوا أنك أذكى مما كنت أتصور
لحظات من الصمت تمر ثم يتابع يوسف
- كلامك منطقي .. لكنى لا أصدقه .. إذهب
أنت يا محمود
قالها وهو يشير إلى محمود بالإنصراف ثم
أردف
- وأعلم إنا لما تفعله ناظرون
خرج محمود من ديوان الشرطة لا يعلم ماذا
يحدث .. لكنه شعر أن الحدث كبير.

-٦-

أم مرمر تلك النخاسة التى تتاجر فى الجوارى ..
لكن ليست أية جوارى .. فقط الجوارى الفاتنات
باهرى الجسد والجمال .. روميات وفارسيات
وحتى برمكيات .. لا تعرض جوارىها فى سوق
الجوارى والعبيد .. إنما يحجُ إليها الأمراء
والأميرات والأعيان من كبراء البلاد من كل
حذب وإتجاه .. رغم بعد دارها المتواضع القاطن
فى ضاحية فى آخر المدينة يستغرق الوصول

إليه نصف نهار بالفرس الرهوان .. يمتلأ دارها
بالحمام الزاجل يرفرف بأجنحته في أركان الدار
.. ترسل به ذويها في بلاد الفرس والروم وبلاد
المغرب والبرامكة ، تستجلب الجاريات الفاتنات
النادرآت من راقصات ومغنيات .



تبيعهن للأمرأء والأعيان بأضعاف ما دفعت
فيهن من مال .. كذلك ترتب بعض الحفلات
الخاصة لزبائنها مقابل الكثير من الدنانير أو

الجواهر .. ترقص الجاريات وتغنى عارية



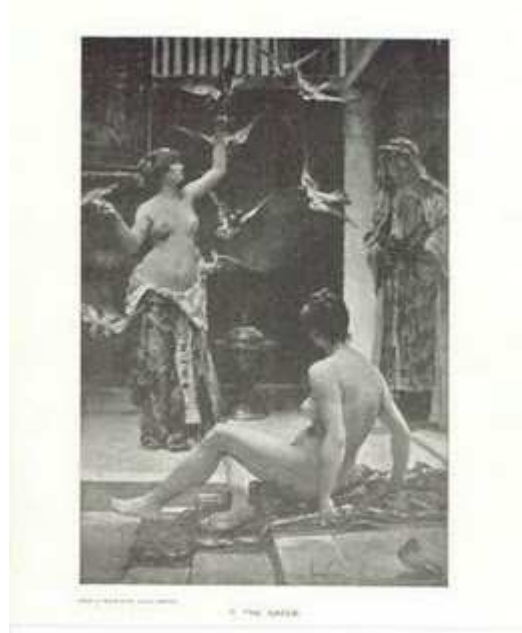
ويسود المجون .

كانت أم مرمر معروفة في ما جاورها من قريب
أو بعيد أنها حسودة وبخيلة رغم ما يتدفق عليها
من أموال .. كثيراً ما تجلس ساعة العصرية
فوق سطح منزلها ومعها نسوة من الجيران
ينهمكون في الغيبة والنميمة والحسد ..



لديها ابنة وحيدة إسمها مرمر تساعدنا فى العمل
.. توفى زوجها النحاس صغيراً فورثت الكار
ونما على يديها .. ربت مرمر التى لم تتزوج بعد
، فمن من شباب الضاحية يتزوج من ابنة
النخاسة صاحبة الحفلات الماجنة .. تحرص أم
مرمر على إخفاء مالها الوفير والمجوهرات
الثرينة التى تتحصل عليها من بيع الجوارى فى
صندوق كبير مدفون تحت الأرض أسفل
سريرها .. تنفق ببخلها قدر حاجتها الضرورية
وتدخر الكثير .. حتى صار الصندوق كنزاً
مختفى لا يعلم أحد عنه شيئاً حتى ابنتها مرمر..
عدا واحدة .. فى الشكل كانت أم مرمر مليحة
الوجة ممتلئ رغم سنها .. إلا أن لها جسد غريب
وعجيب .. جسد مشطور إلى شطرين .. النصف

العلوى رفيع صغير الثديين صغير البطن ورفيع
الأزرع ..أما النصف السفلى فهو سمين و غليظ
من الأرداف العريضة والأفخاذ السمينة ، وحتى
سمانة الرجل الكبيرة .



ذات نهار سمعت طرقات القدر على بابها ..
فتحت تطل برأسها بينما جسدها متوارى خلف
الباب، لتجد رجلاً ملثماً ..قال
- أنا بشار بن سنا .. جئتك من عند ابن زيدون
.. والأمارة الجارية الرومية نادية التي
إشترأها منك منذ بضعة أيام
- تفضل
هكذا قالت أم مرمر التي لا تجعل غريباً يعبر
عتبة بابها .. ولما تلقت الأمارة من هارون

سمحت له بالدخول..تتطاير الحمام الزاجل من
حولهم يحلق بأجنحته فى سقف الدار

قامت مرمر وإنصرفت خارج الدار قائلة
- أنا ذاهبة للسوق

- لا تنسى أن تحضرى ما طلبته منك
خرجت مرمر تاركة أمها مع هارون الذى فك
لثامه وقال

- لقد طار عقلى حين رأيت نادية .. تلك
الجارية التى إشتراها منك ابن زيدون ..
أريد أن أشتري مثلها وبأى ثمن
- ألم يخبرك ابن زيدون أنها كانت آخر جارية
عندى .. ومن بعدها لم أستطع أن أجلب
أخرى
- لما ؟

هكذا صاح هارون .. فأجابت أم مرمر
- ألا تدرى ما يحدث فى البلاد يا رجل .. إنهم
صاروا كالمجانين يبحثون عن قاتل النساء
.. حاصروا المدينة .. وذبحوا حمامى
الزاجل الذى أرسله للبلاد البعيدة لأجلب
الجوارى .. وأتوا هنا ومنعونى من إرسال

الحمام .. هم يظنون أن القاتل من الأعداء

فى بلاد البرامكة .. يخشون أن أكون

أراسلهم بالحمام

- إذن وما الحل ؟

- عليك أن تنتظر .. فقبلما يحدث ما حدث

كنت قد أرسلت رسائل كثيرة ، وعسى أن

تكون هناك جارياتٌ فى الطريق .. أخبرنى

أين دارك وإذا وصلنى شئ سأرسل لك

- سأنتظر أن ترسلنى لى .. لكن أريدك أن ترى

دارى بنفسك

قالها هارون وردت أم مرمر

- صف لى أين تقطن ؟ .. فأنا أعلم كل دروب

وطرقات البلاد

- أنا أريدك الليلة .. فمذ رأيت جسدك الجميل

، والبلبل على بيضتيه يطير

ضحكت أم مرمر بميوعة وصاحت

- إستحى يا رجل فقد مر الدهر علىَّ وهرب ،

وما للرجال فىَّ من مأرب

أخرج هارون من حزامه زمردة وناولها لأم

ممرمر قائلاً

- هذه هديتى .. عسى ألا تمانعين وتعطينى

رغبتي

تأملت أم مرمر الزمردة النفيسة ودستها فى

صدرها وقالت

بنبرة دلال

- هيا يا بشار .. عساك ظمانٌ يريد أن يرتوى

قاطعها هارون

- لا .. ليس هنا .. بل فى دارى .. لا أكون

على راحتى فى دارٍ غريبة ، هذا طبعى ..

تعالى معى وسأعيدك فى الصباح قبل أن

يبدأ الرباح

- أنا لا أغادر دارى .. إذا أردتتى فليكن هنا

- سأعطيك ألف دينار .. ماذا تقولين ؟

حدقت أم مرمر ساهمة من العرض السخى دون

أن تنطق فباردها هارون قائلاً

- ألفين دينار .. هيا

هنا لن تستطع أم مرمر أن تقاوم العرض السخى

.. فقطعاً سيزيد ذلك من كنزها المصون ،

وقالت

- ننتظر حتى تعود مرمر لأخبرها

رد هارون

- سنترك لها رسالة .. قد تتأخر هي .. ونحن
بالكاد نصل الى دارى فى المساء ، حتى
أعيدك فى الصباح
- هي لا تعرف القراءة
صمت هارون مفكراً ، وجاء الحل من أم مرمر
حين قالت
- سأذهب لأخبر جارتى وأجعلها تبينُ معها
الليلة

- حسناً تفعلين .. هيا يا أم مرمر
أخبرت أم مرمر جارتها أن ترعى ابنتها مرمر
ولا تتركها وحدها فى هذه الليلة ، وأعلمتها أنها
ذاهبة مع رجلٍ يُدعى بشار بن سنا لجلب جارية
من المدينة .. أغلقت أم مرمر باب دارها وركبت
على الحصان خلف هارون الذى لثم وجهه
وإنطلق بها ، دون أن تعلم أم مرمر بنادية التى
دلفت إلى دارها متسللة حين كانت تخبر الجارة
.. هكذا تم نصف المهمة الأول الصعب ، وتبقى
السهل الذى يحفظه هارون عن ظهر قلب .
دخلت أم مرمر بصحبة هارون إلى الدار ..
ليجدا نادية ممدة ، وقالت أم مرمر
- كيف حالك يا نادية ؟

- بخير يا مُعلمتى

تسائل هارون

- وماذا علمتك أم مرمر يا نادية ؟

- هى من علمتنى كيف أكون جارية عند
العرب

بدأت نادية و هارون فى إعداد أم مرمر كما
اللفائف تقول ..مر الوقت وإنقضى الوطر ،
ووسط إرتعاشات أم مرمر وتقلص جسدها ..
شهقت وجحظت بعدما صار الخنجر فى قلبها ..
لم يسعى هارون لإدارة الخنجر فى قلبها .. فقد
ماتت على الفور وتوقف قلبها .. كان هارون
سعيداً لأنه لم يرى تعبيرات غريبة على وجهها
كسابقاتها .. قام هارون مع نادية يكرران نفس
الخطوات .. من سلخ جلد أم مرمر وكشط طبقة
الدهون العالقة بالجلد وإذابته وفلتره الزيت حتى
حصلا على قنينة الزيت الصغيرة .. وسأل
هارون

- متى سنمزج الزيوت جميعاً .. أنا متشوق
لمعرفة النتيجة

- حين ننتهى من الأمر .. سنفعل

قالتها نادية وهى تستعد للمغادرة ثم تابعت
- سأتدبر أنا أمر الخامسة .. أما أنت
صمتت تسحب شهيقاً عميقاً جعل وجهها يبدو
كمخلوقٍ عجيب ثم أردفت
- إجعل المدينة كلها تعلم أن قافلتك ستصل بعد
أسبوع
- قافلتى ؟

قالها هارون متعجباً ثم واصل
- ليس لى قوافل قادمة
- بل هى قادمة .. فقط أفعل ما اقله لك
- متى تدبرت أمر القافلة وكيف ؟
لم يظهر على وجه نادية تعبيرات تدل على أنها
سمعتة .. وواصلت

- خذ هذه الجواهر وبيعها فى الخفاء .. وأحفظ
المال عندك .. وعندما تصل القافلة وتنتشر
البضاعة فى الأسواق .. سد ما عليك لبیت
المال .. وإشترى قصراً وجوارى وخدم
وعبيد .. وعندما ينفد المال سأعطيك المزيد

قبل أن يطلق هارون أسئلته مستفسراً .. كانت
نادية قد إختفت من أمامه .. بينما فتح هو
الصندوق الصغير ليجد فيه من الجواهر ما يُقدَّر
بثروة والتي كانت بعض من كنز أم مرمر الذى
صار لنادية .. أفاق من شروده يبتلع ريقه .. أكمل
العمل حيث دفن الجلد والملابس المُدماه ..
ونظف المكان .. دثر الجثة بالقماش .. حملها
وعلى حصانه إستكان .. وسار بالجثة فى وسط
الليل .. ولما كانت الحراسة مشددة من الجنود
على الدروب والطرقات .. لمح أحد الجنود
وصاح

- قف عندك يا رجل .. أين أنت ذاهبٌ بالليل
لم يكن أمام هارون على الحصان والجثة بين
يديه .. إلا أن يضرب بطن الحصان بقدميه
وينطلق هارباً .. ومن وراءه الجندى بحصانه
ملاحقاً .. خرج هارون من دروب المدينة
وإبتعد .. حتى وصل إلى الصحراء .. ولم يجد
بدأ سوى الوقوف ومواجهة الجندى الذى يلاحقه
.. نزل عن حصانه وترك الجثة على الرمال تقع
.. وبقدميه التى تغوص فى الرمال هرع .. لحق

به الجندى على حصانه رفع السيف وهوى به
على ظهر هارون .

بداخل القصر السلطانى .. كان السلطان
الثمانينى تائهاً لا يستوعب ما يحدث حوله ..
حيث ابنه ووريث عرشه جلال فى قمة غضبه
وسط الوزراء والأمراء وكبار المشايخ والأعيان
.. يصيح بعلو صوته

- أربع جثث .. ويستدرج جندى ويقتله .. أنه
يعبث بنا ويسخر منا .. بل يسخر من
السلطان نفسه

هنا أفاق السلطان المبروك قليلاً بعدما سمع
الجملة الأخيرة قائلاً

- من الذى يسخر من السلطان ؟

صاح قائد الجند

- حاش لله .. حفظ الله سلطان البلاد المعظم ..

وأدام خيره على العباد

تكررت الجملة تباعاً بنفس المعنى لكن بكلمات
مختلفة من الوزراء والأمراء والأعيان .. وهكذا

عاد السلطان المبروك ينعم بغفوته .. فى حين
قال قائد الشرطة الجالس وإلى جواره ابنه
يوسف مساعده الأول

- هو لم يستدرج الجندى يا مولاي يا ولى
العهد .. بل رآه الجندى فهرع خلفه .. لقد
سمعه أحد زملائه يطلب من رجلٍ الوقوف
مكانه .. قبل أن يجرى ورائه
إقترب ولى العهد من الوزير حسيب ودنا برأسه
مشبكاً يديه خلف ظهره وقال

- لم أكن أعلم أن جنود الشرطة لدينا بواسلٌ
أشاويسٌ مغاوير .. رأى الجندى القاتل
فإنطلق ورائه .. ولم يستدرجه القاتل .. ياله
من جندى شجاعٌ عظيم .. لو كان حياً
لجعلته قائداً للشرطة بدلاً منك

إنطلقت الضحكات الخافتة من الجمع على
سخرية وريث العرش من قائد الشرطة على هذا
النحو .. ولما أدار ولى العهد عيونه المحدقة
على الجمع .. صار الجميع لضحكاتهم كاتمين ..
بينما حسيب يكتم غضبه ويقول فى هدوء ..
- القاتل ليس رجلاً عادياً يا مولاي الأمير ..
ربما مجموعةٍ من الرجال أو ..

قاطعه جلال محتداً

- سواء أكان رجلاً أو مجموعة رجال ..

أمامك أسبوعٌ واحد إن لم تأتيني بالقاتل

صمت يداعب لحيته بأطراف أصابعه ونطق

- أنت تعلم ما يحدث

إبتلع قائد الشرطة ريقه بصعوبة بعد هذا التهديد

العلني .. وقام ينصرف مع ابنه قائلاً

- سمعاً وطاعةً مولاي وريث العرش

وفي المسجد بعد صلاة العشاء كان الجمع من

المعارضين للسلطان .. يتناقشون .. يتجادلون

.. يتحاورن .. وكان بينهم أحمد ومحمود ..

تسمع عبارات .. (البلد لم يعد فيها أمان) .. (

طغى الظلم والطغيان) .. (فسدت أحوال

الناس والعباد) .. (لو كان العدل قائماً لما

كان هناك قاتلاً) .. وكالعادة كما اجتمع

الجمع إنفض ولا جديد .. سوى ضحكات

محمود ساخرًا وهو يسير فى الطريق مع



أحمد عائداً لو قال

- أشعر أن هؤلاء القوم قد صاروا مضحكين

.. أريد أن أفهم هل ما يقولونه ذلك أصلح

شئ ؟ .. فلماذا يستمرون ؟

- وماذا عسانا نفعل يا محمود ؟

هكذا قال أحمد ثم تابع

- أعلمت أن عبلة وافقت على الزواج بى

- نعم علمت

- سأجعل العرس بعد أسبوع

- بارك الله لكما يا أحمد .. عبلة فتاة طيبة

فى الصباح فى داخل ديوان الشرطة .. كان

حسيب وابنه يوسف يجلسان مع الوزير بطريق

بن الغالى والوزير البشير بن الطرطاوى قائد

الجيش .. يتباحثون ، وقال الوزير بطريق

مسئول بيت المال

- لن تنطلى تلك الخطة على جلال

بينما تنهد قائد الجيش قائلاً

- ليس هناك حلٌ آخر .. إفعلها ونرى النتيجة

.. لكن

بتر البشير كلماته .. سحب نفساً عميقاً ثم تابع

- عليك أن تهتم بكل التفاصيل ولا تترك شيئاً

أوماً قائد الجند برأسه وقال

- سأفعل

بعد يومين كان المُنَادى الذى يرتدى جلباباً

مخطط بالطول .. وفى يده اليسرى طبله صغيرة

، بينما يده اليمنى تقبض على قطعة خشب

صغيرة .. يسحب من خلفه حماراً فوقه رجل

يرتدى جلباباً مهلهلاً وقد تم تقييد يديه خلف

ظهره بإحكام وعلى ما يبدو أنه رجلٌ خطير

..لما أحاط بالحمار عددٌ من الجنود غفير.. يطبل

المنادى ، طم ططمطم طم .. ويصيح مُغنياً

- يا أهل البلادِ المباركة .. لقد تم القبض على

قاتل النساءِ ومروع العباد.. طم ططمطم

طم.. الأهل بن بهلول..يا أيها العباد ..
أخرجوا من مساكنكم فى أمان .. لقد قد تم
القبض على القاتل السفاح .. عبيط البلاد ..
الأهل بن بهلول .. طم ططمطم طم يا أيها
الناس ادعو للسلطان المبروك .. بالعمر
الممدود .. فقد أمّن البلاد من أشر الناس ..
قاتل الأبرياء .. العبيط المخبول .. الأهل
بن بهلول

هكذا كان يمضى الموكب فى الطرقات والدروب
.. بينما عبيط البلاد بهلول فوق الحمار مسرور
.. يبتسم تارةً ويضحك تارةً .. يدفعك الأمر
للضحك حين تراه بشعره الطويل المجعد الذى لم
يُصفف منذ سنوات .. ووجهه المتسخ بالطين
والتراب .. سعيداً فرحاً فى قمة الغبطة
والسرور بينما من العباد من يشاهد مصدقاً أو



مدهوش .

كانت هذه هى الخطة الجهنمية التى إهتدى إليها
الوزير حسيب بن العادل قائد الشرطة .. فطالما
لا يستطيع القبض على القاتل .. فلماذا لا يصنع
هو القاتل ثم يقبض عليه .. فكرة بسيطة وبديعة
.. لا ترى مثلها فى أى بلادٍ خلقها الله عدا البلاد
المباركة .. إختار قائد الشرطة بهلول وأنعم عليه
بأن جعله القاتل المهول .. لأنه عبيط مختل عقليا
.. يجوب بالنهار أنحاء المدينة يتقافز حافياً ،
يلتقط كسرة خبزٍ من على الأرض ناشفة ، أو
يتصدق عليه أحد بثمره ناضجة .. وفى المساء
بأحد الدروب والطرقات تجده نائماً .. ظل
حسيب على مدار يومين يدرّب الأهطل بن
بهلول بنفسه على ما يقوله .. جعله يحفظ الكلام
ويردده كالبعغان .. إعترف والإعتراف سيد
الأدلة .. أنه يتبع النساء بالليل فى الطرقات ..
يطعنهن بالخنجر .. ويحمل الجثة على كتفه ..
إلى طرف المدينة .. يسلخ الجلد ويدفنه فى
الرمال .. وعندما يسأله أحد لماذا تفعل ذلك ؟ ..
يجيبك بمنتهى العقل والمنطق

- هىىىىىىىىىىىى .. ههههههههههههه

وهكذا .. فهو مختل عقلياً

كان الوزير حسيب يجتمع بوريث العرش
الجالس إلى جوار صديقه ابن العز ، زراعه
الأيمن فى إدارة شئون ديوان التفويض الحاكم
للبلاد .. وداخل الديوان خلصت المناقشات
والمداولات .. إلى الجملة التى قالها جلال
- سادع الأمور تجرى هكذا .. ولكن إذا
ظهرت جثث أخرى ، فمعنى ذلك أنك لم
تقبض على القاتل .. وساعتها ستكون رأسك
هى الثمن على ما سيحدث فى البلاد من
سخريةٍ علينا

مضى الوزير حسيب يتحسس رقبتة بين الفينة
والأخرى .. بالكاد استطاع أن ينام .. ولكنه
إستيقظ على صياح أحد الجنود
- عثرنا على جثةٍ خامسة
أطبق الوزير حسيب يديه على رقبتة لاهثاً ..
يحميها يديه من السيف
- لا لا لا تقطعوا رأسى
ظل الصوت يتردد حتى إستيقظ من النوم
مفزوعاً يردد

- أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .. أَعُوذُ بِاللّٰهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْقَوْمُ مِنَ الْمَعَارِضِينَ
لِلْإِسْلَامِ، مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَالْوَأَلِ وَأَبْنِ الْأَسْيَادِ ..
يَنْشَطُونَ دِفَاعاً عَنْ الْمَسْكِينِ بِهَلُولٍ .. وَقَدْ بَذَلُوا
كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِمْ مِنْ جُهْدٍ .. أَلَا وَهِيَ .. إِطْلَاقُ
النَّكَاتِ وَالْأَضَاحِيكِ عَلَى قَائِدِ الشَّرْطَةِ ..
يَشْجِبُونَ وَيَسْتَنْكِرُونَ وَلَا يَصْدَقُونَ أَنَّ الْقَاتِلَ هُوَ
الْأَهْلُ بْنُ بَهْلُولٍ .. وَهَكَذَا تَمَّ الْقَبْضُ عَلَى الْقَاتِلِ
السَّفَاحِ .. وَعَلَى النَّاسِ وَالْعِبَادِ أَنْ تَحْيَا فِي أَمَانٍ
.

كَانَتْ خَيْرَازَانَةُ امْرَأَةً بِطَرِيقِ جَشْعَةِ الْمَالِ ، وَلَمَّا
تَزَوَّجَتْ مِنْ بِطَرِيقٍ .. أَدْرَكَتْ بَعْدَ أَنْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ
وَلَدَيْنِ أَنَّهُ لَوَاطٍ .. وَمَضَتْ السَّنَوَاتُ لَتَجَدَّ نَفْسُهَا
عَاشِقَةً لِلْجَارِيَّاتِ وَذَاعَ صَيْتُهَا فِي الْمَدِينَةِ ،
وَكَذَلِكَ إِزْدَادَ جَشْعُهَا وَطَمَعُهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَحْتَ

زوجها لجلب المزيد من المال الحرام من
الرشاوى ودنانير بيت المال .

كانت راقدة عارية على رخام الحمام .. وقد
تركت نفسها لجاريتين يعبثون بها .. إقتربت منها



إحدى الجاريات وقالت

- مولاتى .. هناك جارية تُدعى نادية ملك

يمين ابن زيدون.. تعشق النساء وتريد أن

تكون جارية عندك

- عندى الكثير .. إن كانت فتاة صغيرة ، فلا

مانع

قاطعتها الجارية

- ليست صغيرة .. لكنها باهرة الجسد والجمال

قامت امرأة بطريق تغادر الحمام قائلة

- دعيها تحضر لأراها

فى الغد كانت خىرازانة تجلس فى قصرها وسط



الجوارى

حىن دخلت عىلها نادية وإنحنت أمامها لتسمعها
تقول

- لم أرى جمالاً كجمالك من قبل.. من أين
أنتِ أيتها الجارية ؟

- من بلاد الروم يا مولاتى

- من اليوم أنتِ جارىتى

قالتها خىرازانة وعىنيها لا تنزل عن نادية .

لم يمشى الكثير من الوقت حتى كان الوزير
بطريق بنفسه فى قصر ابن زيدون يطلب نادية
.. ولم يكن أمام ابن زيدون سوى الموافقة على
بيعها .. فالذى يطلبها هو مسئول بيت المال ،

الذى طالما منحه ويمنحه القروض بلا حساب ..
أصرَّ ابن زيدون على ألا يتقاضى درهماً ثمناً
لها .. وهكذا أصبحت نادية جارية عند امرأة
الوزير بطريق خيـرازانة .. تعد العدة للخامسة .

-٧-

فى غرفتها فى المساء كانت حورية تتمشى .. وقلبها
عاد بالحزن يتأوه .. مرت أيامٌ وأيامٌ كالعصفورة
حبيسةٌ فى القفص عادت .. وللخروج من القصر لم
تعد تقدر .. فيوسف ابن قائد الشرطة حتماً لها
بالمرصاد .. تتسائل هى لماذا تخشاه ؟ .. فكرت
مراراً وتكراراً أن تخبر أبـيها ، أنها ذهبت تشتري
الرقوق وأرادت أن ترى السوق .. فوجدت ابن قائد
الشرطة يتجسس عليها ويسعى وراءها .. لكنها
تراجعت .. من الممكن أن يغضب أبوها .. بل حتماً
سيغضب .. وسيمنعها من الخروج .. ويكون هو لها
بدلاً من يوسف موجود .. تجلس وتقوم .. تروح
وتجئ .. هائمة على وجهها بين أرجاء القصر كانت
.. حتى إلتمعت عينيها كنيوتن لقانون الجاذبية

إكتشف .. نادت على أم إبراهيم وأخبرتها ..
وللطلبات منها سألتها .. ردت أم إبراهيم
- لا يا حورية .. لن أدعكِ تفعلين ذلك .. فما أنت
كالرجال كذلك
- بل سأفعل .. هيا

ذهبت أم إبراهيم .. وإختارت جارية موثوقاً بها ..
وأرسلتها إلى محمود بالرسالة .. أحضرت الملابس
المطلوبة .. وتدبر الأمر .

إرتدت حورية الملابس .. نظرت فى المراه
فضحكت وضحكت وقالت

- ما رأيك يا أم إبراهيم ؟ .. لقد صرت الآن جندياً
لم ترد أم إبراهيم سوى بالضحك .. ظلت حورية
نفسها تتأمل .. وقد توارى جسدها الأنثوى خلف زى
الجنود .. لمت شعرها وغطته ووضعت الخوذة على
رأسها .. أحكمت تثبيت السيف على وسطها .. كانت
سعيدة ومسرورة .. وقلبها بالغبطة مغموراً ..
تجربة جديدة جعلتها مشدوهة .. تماماً كحكايات
ألف ليلة وليلة التى تعشقها .. تضحك قائلة
- ينقصنى شارب ولحية

قالتها فى الوقت التى كانت تدلف فيه الجارية إلى
الغرفة وتقول

- لقد أعطيت الرسالة لمحمود .. وهو فى المكان
والميعاد سيكون

تسارعت دقات قلب حورية .. ليس لأنها ستقابل
محمود فقط .. بل لأنها ستحظى بتجربة ومغامرة
مثيرة .. سمعت صوت أم إبراهيم يقول

- قلبى ليس مطمئن يا ابنتى
- وماذا سيحدث ؟

- إذا رآك العسس سـ
قاطعتها حورية قائلة

- سيقبضون علىّ وبى إلى القصر هنا سيعودون ..
لا تخافى يا أم إبراهيم .. بعدما قبضوا على القاتل
.. لم يعد فى الطرقات الكثير من العسس والجنود

قالتها حورية وهى تخرج من غرفتها إلى حديقة
القصر متسللة .. بثوب رقيق كانت يداها ممسكة ..
فى ركنٍ مظلم بالحديقة كانت الخطة تسير على ما
يرام .. حيث كان الجواد الأسود مربوطاً فى شجرة
فى الجوار .. شرعت حورية تفك اللجام وكأمريرة
فارسة إمتطت الجواد .. وبهدوء خرجت إلى

الطرقات .. ملثمة الوجه تبدو كأحد الجنود يحرس
الطرقات .. هكذا إبتعدت وإبتعدت وعند طرف
المدينة .. لكزت الحصان بقدميها فأطلق صهيله
عالياً .. وإنطلق الرهوان إلى الصحراء تجاه البئر



الناضبة .

عند منتصف الليل كان محمود يجلس على الرمال
مستنداً بظهره على سور البئر .. فزع على صوت
الصهيل .. ورأى الجندي على حصانه يقترب .. فكر
في العدو هرباً ، لكنه أدرك أنه في الصحراء .. هب
واقفاً منتصباً يترقب المصير .. توقف الحصان
أمامه وتطايرت الرمال على وجهه من العفرة
المثارة تحت أقدام الجواد .. نزلت حورية الملثمة ..
وإستلت السيف من غمده .. وعلى رقبة محمود كانت
قد وضعت نصله .. ترقب لهاته وفزعه .. لم تستطع
كتم الضحكات التي علت في سكون الصحراء ..

بينما محمود مندهشاً من الصوت الأنثوى الرقيق
للجندى خلف اللثام .. زالت دهشته حين رأى وجهها
بعدما أزاحت اللثام عن وجهها .. التقط شهيقاً عميقاً
سعل على إثره .. بينما حورية بوجهها الملائكى
وسط الضحكات تتلأأ والسيف يترنح فى يديها على
الرمال .. قال محمود

- لقد أفرعتنى يا مولاتى

خلعت حورية الخوذة عن رأسها .. رجرت رأسها
كالقطة خرجت من الماء تنثر عن رأسها الببل ،
فتناثر شعر حورية الكستنائى حول رأسها .. فكان
على رأسها تاجاً من الدلال .. رفعت السيف وجعلت
نصله على قلب محمود وقالت

- ألم أقل لك لا تنادنى مولاتى ؟ .. إسمى حورية

- أنتِ أميرة مجنونة

هكذا قال محمود وحين وجدها قد تجهمت .. هم
يعتذر .. وقبل أن ينطق بشئ ، وجدها تضحك وتلقى
بالسيف قائلة

- فقط شعرت أننى أريد أن أفعل شيئاً ففعلته .. هذا



كل شئ

- ظننتك جندياً حقاً

قالها محمود وقد بدأ يهدأ من الفزع .. وسمعها تقول

- سأجعلك لا تفزع حين ترانى .. دير وجهك

ظل محمود مكانه مندهشاً .. فصاحت فى وجهه

أمره

- دير وجهك قلت لك

فعل محمود .. بينما إتجهت هى إلى الحصان

وأحضرت الثوب الرقيق .. وفى العراء وسط

الهواء العليل .. وضوء النجوم الخافت .. خلعت

ملابس الجنود التى كانت ترتديها ، ثم أتبعها بما

تحتها ، لتشعر بدغدغة نسمات الهواء على
جسدها .. إرتدت الثوب الرقيق .. كانت تشعر
أنها عصفورةٌ حرة بلا قيود .. قالت بدلال
- دير وجهك يا محمود

رأها محمود فلم يصدق عيناه .. القدر يجمعه مع
حورية .. حورية من الجنة .. كان الثوب الذى
ترتديه هو الثوب الذى إشتريته من السوق ، حين
كانت تتجول مع محمود .. كانت تبدو كفتاه من عامة
الناس فى ذلك الثوب .. وهكذا قالت هى
- هل أبدو كواحدة من عامة الناس ؟
- لا

قالها محمود ثم واصل
- النعيمُ على وجهك يقول أنك أميرة ولستِ من
عامة الناس
ضحكت حورية ومالت على الرمال تلتقط حفنة من
الرمل .. فركتها بين كفيها .. ثم أغمضت عينيها ..
وظلت تمسح بما علق بكفيها من رمال على وجهها
سعيدة .. وقالت

- ها .. كيف أبدو الآن ؟
ضحك محمود كثيراً وقال
- أنتِ الآن واحدة من عامة الناس

سعدت حورية وكأنها سمعت إطراءاً عظيماً ..
تمددت على الرمال تستنشق رائحة الصحراء ..
بينما محمود جلس بجوارها قائلاً

- لا يستطيع عقلى أن يفهم حكاية الأميرة التى تتمنى -
أن تكون واحدة من الصعاليق كما يسميهم الأمراء
.. لماذا أنتِ هكذا يا حورية ؟

تنهدت حورية ممعنة النظر فى النجوم وسط السماء
وقالت

- عشت عمرى أميرة .. الجميع من حولى يتسابقون
لتلبية رغباتى وتنفيذ أوامرى .. لم أكن سعيدة ..
بل أشعر بالحزن والملل .. كنت أذهب إلى
الأقارب والصاحبات من الأميرات والسيدات ..
ولكنى لم أجد لديهن ما يسر قلبى .. وجدت نفسى
أعشق القراءة .. أقرأ الشعر والنثر وكتب العلم
والتراث .. إستهوانى ذلك العالم فصرت له أسيرة
.. سجينه فى زنزانه خيالى أعيش فى ألف ليلة
وليلة .. ولكن القدر أرسلك لى

قالت حورية جملتها الأخيرة وهى تثبت عينيها
المشعة بنور الحب على عينيى محمود وتابعت
- كانت لطمتك على خدى قد هوت بى إلى عالمٍ آخر
.. عالم لم أحياء من قبل .. بل كنت لا أدرك أنه

موجودٌ في الأساس .. وجدت نفسي سعيدة .. زال
عني الحزن والملل .. وجدت ما يدفعني إلى المجئ
إليك .. رأيت الناس في السوق فشعرت أن الحياة
التي كنت أتخيلها بين طيات كتبى قد صارت واقعا
.. وبعدها علمت أن ابن قائد الشرطة يراقبني
لأنني أرفضه ولا أطيق مغازلاته لي ، وكذلك
قبضهم عليك .. إمتنعت عن الخروج .. مرت على
الأيام الماضية كالجحيم .. وأخيراً إهتديت
للخروج بهذه الطريقة .. هذا كل شئ .



أغضت عيناها وسحبت شهيقاً عميقاً ثم تابعت
- وأنت يا محمود .. ما حكايتك ؟

كان محمود شاردأ فيما قالتة حوريه .. بالكاد نطق
بصوتٍ خفيضٍ وسط موجةٍ هواءٍ لفحت وجهه
- أنا صعلوق .. أصنع الجلود وأبيعها.. مات أبى
وأنا صغير .. أعيش مع أمى .. لى أختين ساعدتهما
فى الزواج ، ولا أزال أساعدهم ببعض المال ..
أحضر إجتماعات القوم المعارضين للسلطان ..
عسى ينصلح حال البلاد .. لكننى حين رأيتك تبدل
الحال .. كنت قد قررت أن أقتل أخيك الأكبر

بتر كلماته على إثر نظرة من حورية محدقة فى
وجهه .. لكنه تابع
- كنت أشعر أننى كلب حين كان أخوكى يدوس
بقدمه على وجهى يقلبه .. وأنا على الأرض لاهثاً
.. عزمت بعدها أن أجعل الكلب يقتل الأمير ولا
يهم ما يحدث بعدها ، فهو مجرد كلب .. لكن
مجيئك لى فى السوق بدل كل الأمور .. لم أعد
أعبأ بشئ .. يبدو أننى تعلمت منك أن أحيا ساعتى
الحالية ولا أفكر فى ساعتى المقبلة .

مدت حورية يدها تمسح على وجه محمود بحب
وحنان وقالت

- أنت إنسان رائع يا محمود .. أنظر
قالتها وهى تشير إلى السماء وتابعت الكلمات
- هذا النجم القطبى .. يشير دائماً إلى الشمال ..
يهتدى به الضالون فى البحار والصحراء .. وهذه
النجمة فى الذيل ، يقولون أنها قد تكون إندثرت
منذ سنوات .. ولكن نورها لا يزال يأتى إلى
الأرض

- من علمك ذلك ؟
- أنا أقرأ دائماً يا محمود .. هل أعجبك ما كتبتة فى
رسالتى لك
- لم أقرأ أجمل من ذلك .. لكن
صمت يتنهد وقد زاغت عيناه ثم واصل
- ما النتيجة .. وماذا سيحدث ؟ أنا صعلوقٌ وأنتِ
أميرة

إنقطعت كلماته على إثر كف حورية يطبق على فمه
يمنع الكلام وقالت
- ألم تقل يا محمود أنك تعلمت منى .. أن تحيا
ساعتك الحالية ولا تفكر فى ساعتك المقبلة
باعدت يدها عن فمه وعادت تنظر إلى السماء راقدة
على ظهرها على رمال الصحراء .. فعل هو مثلها

وصار ممدداً على ظهره إلى جوارها وسمع صوتها
يهمس

- محمود .. أود أن أخبرك بشيءٍ جديدٍ حدث لى
- ما هو ؟

- إياك أنت تضحك أو تستهزئ بى
ضحك محمود وقال

- ماذا تريد أن تقولى ؟

أغمضت حورية عينيها وقالت بهمس

- حين رأيت الجارية فى السوق والسيد يعاين
جسدها .. أحسست بشيءٍ غريب لم أشعر به من
قبل .. ووجدت نفسى أتمنى لو كنت مكان تلك
الجارية لأجرب ذلك الإحساس الغريب
صمتت ثم قالت

- هل نمت يا محمود ؟

فجأة سمعت صوت ضحكات محمود تشق سكون
الصحراء .. بينما تصيح هى

- قلت لك لا تضحك

بالكاد تمكن محمود من كبت الضحكات وقال

- أنتِ أميرةٌ مجنونة

وعاد يضحك ويضحك .. بينما حورية قامت من
رقبتها ووقفت مبتسمة وقالت

- أريد أن أصبح جارية .. هيا إشترينى
قام محمود يكابد كبت ضحكاته وسمع حورية
تواصل

- هيا إفعل مثلما كان يفعل السيد بالجارية فى السوق

إقترب محمود وصار على بعد خطوةٍ واحدةٍ منها
وقد بدأت دقات قلبه تقرر صدره من مرآها على هذا
الوضع الساحر حيث أغضت حورية عيناها تتخيل
نفسها جاريةً تُباع .. إتخذت نفس الوضع الذى
كانت تتخذه الجارية فى السوق .. حيث ثنت إحدى
ركبتيها .. وأمالت رأسها على كتفها وباعدت بين



.. مد محمود

شفتيها قليلاً

يده يتحسس حورية من الرقبة والكتف ، ثم إتجه إلى
الزراع .. فتحت حورية عينيها وقالت باسمه بدلال
- أنت تصلح صعلوق .. لكنك لا تصلح سيداً .. ليس
هكذا كان يعاين السيد الجارية

قالتها وهى تمد يدها تمسك يد محمود وتمررها على
جسدها.. أغمضت عينيها وإتخذت وضع الجارية من
جديد .. تركت يد محمود التى عرفت طريقها وقالت
- كم جميل إحساس أن أكون جارية يا محمود
قالتها حورية ترنو إلى وجه محمود الذى كسته
الحمرة وتسارعت أنفاسه .. وقالت
- أيفعل بكم ذلك الشئ هكذا يا معشر الرجال ؟
تنهدت ثم أردفت

- صف لى بماذا تشعر يا محمود ؟
قالتها فى الوقت الذى بدأت ترتدى فيه زى الجنود
تأهب للذهاب .. رد محمود
- هذا الشعور عند الرجل له شق غريزى وآخر ..
قطعت حورية كلامه وهى تتخفى بزي الجنود قائلة
- كيف حضرت إلى هنا .. لا أرى لك حصان
- جئت مشياً
- كل هذه المسافة الطويلة .. قطعتها مشياً

قالتها حورية وهى تحقق فى وجه محمود بذهول ..
وقد إنتهت من إرتداء ملابسها .. قال محمود

- خرجت مشياً بمجرد حضور جاريتك بالرسالة
ضحكت حورية وقالت

- سأندبر ذلك فيما بعد

صعدت على الحصان وقالت

- هيا إركب يا محمود

- لا سأعود كما أتيت

- قلت لك إركب

إمتثل محمود للهجتها الأمرة .. كابد للصعود خلفها

على الحصان .. فمن أين يتعلم الصعاليق إمتطاء

الأحصنة .. وما أن إستقر خلفها حتى قالت

- تشبث بى جيداً

مد محمود يحيط زراعيه بوسط حورية دون أن

تلامس بطنه ظهرها .. فمدت هى يدها خلفها قائلة

- ليس هكذا

أحكمت حورية زراعيي محمود حول وسطها بقوة ..

مما جعل جسد محمود ملاصقاً لظهرها تماماً .. و

لكزت الجواد بقدميها فإنطلق مخلفاً وراءه عفرة من

الرمال وإنبعث الصهيل .. كان جسديهما الملتصقان

فوق الحصان يتقاذزان معاً ككتلة واحدة والدفء

يسرى فى قلبيهما غامراً ..حين إقتربا من المدينة ..
قالت حورية

- هيا يا محمود .. لم يعد المشوار عليك طويل
نزل محمود وإنطلقت هى .. عاد محمود إلى داره لا
يعلم كيف ساقته قدماه إلى هنا من فرط ما يشعر به
من سعادة .

فى الوقت الذى أشرف على الفجر كانت حورية
تدلف إلى حديقة القصر من الباب الخلفى متخفية ..
وتصعد إلى غرفتها متسللة .. إستبدلت ملابسها ..
وظلت تجوب أرجاء القصر متقافزة تفرد زراعيها
فى الهواء .. وكأنها فراشةٍ تحلق بأجنحتها على
الأزهار والورود النادية .. تتنقل وتتنقل وأخيراً
على فراشها كانت لسلطان النوم مستسلمة ..
السعادة هى سر الوجود

بداخل قصر ابن زيدون علت الزغاريد .. يرن
صداها فى أرجاء القصر الكبير .. إقتصر العُرس
على بعض الأعيان وعددٍ من المشايخ الكبار ..
فكيف يدعو ابن زيدون الأمراء وكافة الأعيان على
زفاف ابنه على بائعة اللبن .. كانت الجوارى ترقص

وتغنى .. ولم يكن من أهل عبلة وسط الجمع سوى
والديها .. وكان محمود الوحيد الحاضر من
الصعاليق ، فهو أقرب أصدقاء العريس .. كانت
عبلة فى جناح الحريم ..العروس ومن حولها النساء



والجوارى يهللن

.. الصوانى الضخمة ومن فوقها الأرز وعليه
الخرفان المشوية بكاملها .. أولى القوة من الخدم
والعبيد يحملها .. وكؤوس النبيذ تدور على رؤوس
الجميع .. ومن الفاكهة ما لذ وطاب من موزٍ وتفاح
وعنبٍ وتين .. شعر الجميع بأن ابن زيدون لم يكن
سعيد .. يتغامز الحاضرون ويتلامزون ..على ابن
الأعيان الذى تزوج من بائعة اللبن فى السوق ..
إنتهى حفل العرس وخلا العريس بعروسه .

بداخل الغرفة الفخيمة فى القصر .. ما إن خلع أحمد
ثيابه ودنا من عبلة يضع يديه على كتفيها مبتسماً ،
حتى وجدها تصيح
- لماذا أنت متعجلٌ من أمرك ؟ .. ألا تطيق صبراً ؟

- أنا لم أفعل شيئاً
قالها أحمد بصوتٍ خفيضٍ .. ليجد حورية تصيح
بغضب
- وماذا عساك ستفعل ؟ .. كما تفعل فى الجوارى فى
قصرك يا ابن الأعيان
إحمر وجه أحمد من الخجل وقال بتلعثم
- والله ما أنا بالجوارى مغرم .. ولا بالسفاح مع
النساء مُقهر .. لقد أحببتك يا عبلة وتزوجتك ..
لماذا تنادينى ابن الأعيان .. وأنا قد صرت زوجك
قاطعته عبلة ولا تزال تحت تأثير الغضب
- وماذا تكون أنت سوى ابن الأعيان ؟
قالتها وهى تنزع ملابسها وكأنها تصارعها .. رقدت
فوق السرير على ظهرها وقالت
- هيت لك
بالكاد وصل أحمد إلى ذروة غضبه التى لا يصل
إليها إلا نادراً

فصاح فيها

- ماذا تفعلين يا عبلة ؟ .. أهكذا تفعل الحرائر
- كان ذلك هو ذروة غضب أحمد الذى بدأ يهدأ بعد
- جملته .. لكنه فزع على صوت عبلة صارخاً
- هلا تنتهى من الأمر .. أم أنك لا تستطيع
- إزدرد أحمد ريقه وقال متودداً
- لماذا أنتِ غاضبةٌ يا عبلة ؟
- منذ أول مرة رأيتنى وأنا غاضبة وأنهرك .. فلماذا
- تزوجتنى إذن ؟
- إرتبك أحمد وقال
- ليس هكذا تأخذ الأمور غلاباً يا عبلة ؟ على رسـ
- قبل أن يتم كلمته كانت عبلة قد قامت إليه تجذبه
- بعنف وألقته على السرير .. تنزع عنه ثيابه تعريه ..
- لكنها فوجئت به يقوم من بين يديها ويهرع خارجاً
- من الغرفة .. إرتدت عبلة ثياب النوم وكأن شيئاً لم
- يحدث .. رقدت تغمض عينيها تستحث النوم .. لم
- يكن شئ يمنعها عن النوم سوى صورة وجهِ أمام
- ناظرتها .. ترنو إليها فتشعر تارةً برغبة فى تمزيقها
- وتارةً برغبة فى إطالة النظر إليها .. كانت صورة
- وجه محمود .

هرع أحمد إلى أمه يرتعش .. حكى لها كل ما حدث
.. ضحكت الأم وقالت – إنها عليك تتدلل .. تعالى

معى

سحبته أمه من يده وإتجهت به حيث عيلة التى قامت
من رقدتها من فوق السرير معتدلة .. حين رأت
أحمد مطأطأ الرأس خلف أمه التى قالت باسمه
- أنتِ لازلتِ لا تعرفى أحمد بعد يا عيلة .. هو
ليس كأقرانه من الشباب .. أنه حيٌّ خجول فعلى
مهلك معه .. سأنتظر بالخارج حتى ينقضى الأمر
قالتها أم أحمد وهى تستدير خارجة .. تاركة ابنها
مطأطأ الرأس وقد توهج وجهه بالحمرة .. بينما عيلة
لم تكن غاضبة ، بل وجدها أحمد تضحك وتضحك
وتقول ساخرة

- ولما تنتظر أمك بالخارج .. لماذا لا تأتى وتساعدك
؟

قال أحمد بحيائه متعثماً

- إذا كنتِ لا تطيقينى هكذا فلما تزوجتى بى ؟
شعرت عيلة من سؤاله هذا ببعض الشفقة لحاله ..
فما ذنبه هو ؟ .. هى من قررت الرضوح لإلحاح
أمها والزواج به .. قالت بنبرة هادئة وإن كانت لم
تخلو من بعض الحدة

- تعالى إلى جوارى
بدأ أحمد يخلع ملابسه وإرتدى ثوباً خفيفاً .. رقد
ممداً فوق السرير إلى جوار عبلة .. سمعت عبلة
صوت قرع فؤاده على باب صدره .. كادت تضحك
إلا أنها أشفقت عليه .. فمدت رأسها وقبلته .. وجدت
جسده ينتفض .. قالت

- إخلع ثوبك هذا يا أحمد
كان لمخاطبتها إياه بأحمد مفعولاً سحرياً على قلبه
.. فهدأت دقاته وإمتثل لطلبها .. تم المراد ولما علمت
أم أحمد فرحت بإبنها .

مرت الأيام وبدأت عبلة تألف حياة القصر والنعيم ..
أحاط بها زمرة من الجوارى والخدم لأوامرها



يطيعون .. إلا
أنها إصطفت من بينهم الجارية رمّانة .. تلك الجارية

التي لم تكن جارية .. كانت بنتاً من الفقراء لا تجد ما يسد جوها في إدار أهلها .. هربت وذهبت عند نخاس تطلب منها أن يبيعها جارية ، فحتماً ذلك أفضل من حياة الإملاق .. صارت جارية تُباع وتشتري حتى إستقر بها المقام في قصر ابن زيدون .. هكذا إستبدلت رمانة حياة الحرائر بحياة الجاريات .. كانت تشعر بداخلها وتحس بالفقراء .. لذا كان بينها وبين عبلة قاسم مشترك جمعهما على السراء والضراء .. كانت عبلة تتحدث مع رمانة كصديقة وليست كجارية .. علمت منها كل كبيرة وصغيرة في القصر .. وعرفت أن ابن زيدون لا هم له سوى الحفلات الماجنة مع الجاريات .. وحكاية الجارية نادية التي أخذها منه الوزير بطريق ، وكيف أنه لا يزال يبحث عن مثيلة لها ، وكيف يقوم ابنه أحمد بالكد والعمل في تجارة أبيه الماجن .. وذلك ما جعله يوافق على زواجه بها خشية أن يهجره أحمد ويترك تجارته ويستقل بذاته .. كانت عبلة تسيطر تماماً على أحمد وتهادن أمه .. إلا أنها لم تستطع نسيان محمود .. تشعر بشعور أنثى طلبت رجلاً فرفضها .. بل لم يعبأ بأن يدفعها لرجلٍ آخر .. دفعها ذلك الشعور إلى مزيد من الغضب على طبعها الغاضب

.. تنفعل بسرعة ولا تقدر على كظم غضبها .. ذات مرة دخلت عليها إحدى الجاريات فى الصباح كما المعتاد بالفطور وسقطت منها صنية الطعام على السرير .. لم تدرى عبلة بنفسها وهى تمسك بالجارية من شعرها وتطيح بها أرضاً تركلها .. صارت الجاريات يتجنبن الإحتكاك بها خشية إغضاها



.. قررت مرةً بمساعدة رومانة أن ترى ما يحدث فى أحد الحفلات الماجنة لابن زيدون .. فأختفت فى أحد الأركان ترقب الحدث ورأت المجون .. كانت عبلة غير مصدقة وقد فغرت فاهها فى ذهول .. وإرتسمت فى مخيلتها صورة الفقراء والمساكين من الطعام ما يشبع جوعهم لا يجدون .. بينما هنا خلقٌ يعبثون ..

تسارعت دقات قلبها .. وإنسلت تغادر المكان ..
دلقت إلى حجرتها لتجد أحمد على السرير ممدداً
وقال

- أين كنتِ يا عبلة ؟

لم ترد عبلة ، فلم يود أحمد إز عاجها بتكرار السؤال
.. بملابس النوم رقدت تنام .. أحست بأحمد من
خلفها يقترب حتى صار ملاصقاً .. أرادت أن تنهره
إلا أنها سمعته يقول

- أتعلمين أننى لم أطأ قبلك أنثى ولا جارية ؟

- لماذا ومن حولك الجوارى كثير ؟

- لم أرغبهن يوماً

نظرت إليه بعيون ناعسة .. وسألت

- ما الذى أخرجك اليوم هكذا ؟

- حال تجارتى ليس على ما يرام .. أحتاج تجهيز كل

ما عندى وجلب قافلة كبيرة من بلاد الصين ..

عسى أن ينصلح الحال .. ثم ذهبت أتمشى مع

محمود

وجدت عبلة دقات قلبها تتزايد .. بمجرد سماعها

لإسم محمود .. وسألت

وكيف حاله ؟

صمتت لتتدارك متابعة

- وأمه كيف حالها ؟
ضحك أحمد وقال وسط ضحكاته
- إنه يعيش فى قصة حب
قالها أحمد دون أن يتنبه لوجه عبلة المترقب
وعيونها المكددة ، فتابع وسط الضحكات
- قصة الأميرة والصلعوق .. إنه يحب الأميرة
حورية بنت الأمير غسان .. ويقول أنها تحبه وقد
تقابلا فى الصحراء
قالها أحمد وهو يتثائب ، بينما حورية إنقلبت على
جنبها تدفس رأسها فى الوسادة .. إمتعض وجهها
وإبتسمت تردد بينها وبين نفسها (الصلعوق لا
يرضى بالصلعوقة مثله ويحب الأميرة) .. (وابن
الأعيان لا يرضى بابنة الأعيان مثله ويتزوج
صلعوقة) .. نامت بعدما مزقت صورة محمود فى
مخيلتها تنسبها بأظافر ها .

إزدادت أواصر العلاقة بين عبلة والجارية رمانة
فهى كل مالها فى قصر ابن زيدون .. بعدما تباعدت
زيارات والديها لما يلقونه من جفاء عند حضورهم ..
وجدت عبلة نفسها تحكى وتفضفض مع رمانة ..
حكى لها عن حبها لمحمود وما تشعر به الآن بعد

زواجها من أحمد .. ظهرت عليها أعراض الحمل
وكبرت بطنها قليلاً .. صارت جلساتها مع رمانة لا



تنقطع .. تبت إليها بغضها
لمن سلبوا البلاد ونهبوها ، وتركوا أهلها يتسولون
ويتضرعون جوعاً .. وفي مرة بلغ بها التجلى مداه
.. فقالت

- كم أتمنى أن آخذ كل هذا العز والنعيم من حولنا ..
وأوزعه على الفقراء والمساكين
قالتها دون أن تلاحظ نظرة غريبة في عيون رمانة ..
نظرة قد تبدو شريرة

إنتهى هارون من قراءة رسالة نادية للخروج
لإستقبال القافلة .. متذكراً كيف نجا من الموت
المحقق ، حين هوى الجندى الملاحق له بالسيف
عليه .. فى تلك اللحظة ألقى هارون بنفسه على
الرمال ماداً زراعته أمام قدم الحصان الأمامية
وإصتدمت بها ، فأختل توازن الحصان وسقط
على جنبه ، وقبل أن ينهض الجندى كان هارون
قابحاً فوقه وقد غرس الخنجر فى قلبه .

هارون واقفاً وسط جمع من الأعيان والمشايخ
.. على طرف المدينة ينتظر قدوم القافلة بعد
الظهيرة .. وقد إتفق مع المشايخ والأعيان على
أن يبيعهم ما يحتاجونه من بضاعة ، ثم يطرح
الباقى فى الأسواق .. ساروا خلفه مهطعين ..
فحال البلاد هذه الأيام لا يسر عدو ولا حبيب ..
ندرت القوافل وكسدت الأحوال .. وكانت البلاد
المباركة تعتمد فى إحتياجتها من السلع على
جلب القوافل من بلاد الهند والسند وبلاد الفرس
والروم وحتى من بلاد الصين ، ولا تنتج البلد
سلعة حتى ولو كانت سهلة .. كل من يجد معه
بعض المال من التجار يستجلب به قافلة ويبيع

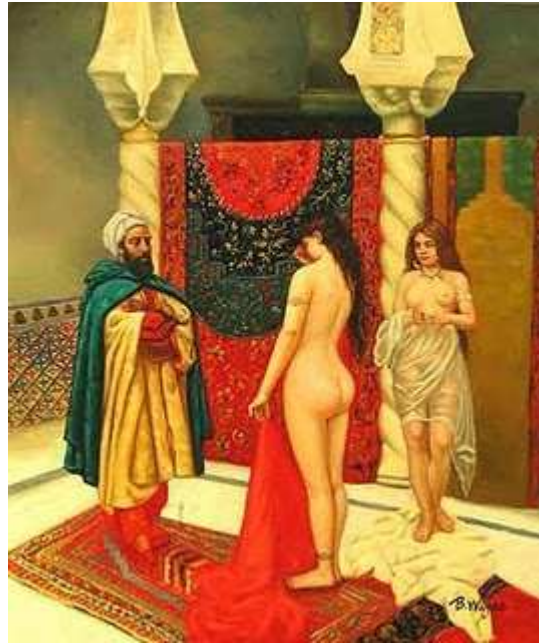
بضاعتها .. لم يكن هارون يعلم حتى ما هي هذه
البضاعة ، ولكنه فعل تماماً مثلما كانت تقول
رسالة نادية التي وصلت إليه بالأمس وطلبت
منه أن يفعل ما فعل .. ظل طوال الوقت يتربص
وصول القافلة .. إنقضت الظهيرة وحل العصر
.. صلى العصر من صلى .. وعادوا ينتظرون ..
طال الوقت ، وبدأ هارون يسمع الغمزات
واللمزات ممن حوله ، وسمع صوت أحدهم
يقول

- أدعوا الله ألا يكون قد أغار على القافلة
قطاع الطريق أو نهبها اللصوص .. فأنت
قوافلك منحوسة يا هارون
كان هارون يتصبب عرقاً لا يدرى شيئاً ..
هو لم تكن له يوماً قافلة .. وسمع صوتاً يقول
- أنها هي .. هذه بشائرها
أمعن الجميع النظر .. ليجدوا بوادر القافلة وقد
لاحت في الأفق .. مر الوقت حثيثاً ، القافلة
تقترب .. بدت معالمها واضحة ، والذهول
يكسى الوجوه .. فقد قاربت طلائع القافلة على
الوصول حيث هم يقفون ، لكنهم لا يرون لها
نهاية .. لاتزال البغال والجمال والحمير محملة

٢٨ بالبضائع تسير .. وصلت مقدمة القافلة وعلى رأسها شيخٌ من منظره جليل .. قال الشيخ - أنا الشيخ جليل .. أجلب القوافل فى البلاد لمن يريد .. هذه قافلتك يا سيد هارون لم يكن هارون أمامه شئ يفعلهُ سوى المضى خلف الشيخ جليل .. الذى باع للتجار ما طلبوه من بضائع ، وهو من حدد الأسعار .. كل السلع موجودة من الأقمشة بأنواعها والخشب بأنواعه ، إلى أصغر ما يحتاجه الناس من الآنية وحتى الكؤوس .. مرت الأيام وأنتعشت أحوال التجارة فى البلاد بفضل قافلة هارون ، وربح هارون المال الوفير إلى جانب ما كان قد باعه من الجواهر التى أعطتها نادبة إياها .. ذهب إلى بيت المال وسدد القرض الذى عليه .. إشتري قصرًا وجوارى وخدم وعبيد .. وعندما غادره الشيخ جليل قائلاً - هناك قافلةٌ أخرى فى الطريق .. سأذهب لإحضارها

حاول هارون أن يفهم ما يحدث ، وما علاقة الشيخ جليل بالجارية الرومية نادبة إلا أنه لم

يتلقى ما يفيد .. تفرغ هارون للعبث واللغو مع
الجوارى الفاتنات فى قصره المشيد .. هارون
بطبعه لا هم له سوى إمتاع رغباته والنهل من
الملذات .. ومع الثروة التى هطلت عليه ..
إزداد مجونة مجون .. لدرجة أنه خصص
كشافين للبحث عن الجاريات الراقصات
المغنيات النادرات فى البلاد .. وكم تمنى لو
كانت أم مرمر لا تزال على قيد الحياة .. وقف
يعاين جارية جديدة من النوع الفاخر



تفحصها ودفع ثمنها
لتنضم إلى الحريم .. كان هذا هو عمل هارون
الدؤوب فى تلك الأيام .. ساهراً طوال الليل
مع الجاريات .. ينام فى الصباح ويستيقظ فى
المغرب يستقبل ما يُعرض عليه من جوارى
.. من تعجبه يشتريها .

الحريم هذه الكلمة تركية الأصل والتي دخلت
للبلاد العربية عن طريق العثمانيين ، وكلمة
حريم لم يرد ذكرها فى القرآن أو السنة النبوية ،
ومشتقة من كلمة حرم ..والحريم هو المكان
المخصص فى القصر لنساء وزوجات السلطان
، والذي يُحرم على الغرباء او الرجال من مجرد
الاقتراب منه وتقوم بالخدمة به نساء مخصوصة
ويحيط بالحريم أسوار عالية تمنع المتطفلين من
النظر إليه ، ويحيط به الحدائق والبساتين
والنافورات والحمامات المخصصة لهن ليرفهن
عن أنفسهن ..ويتكون قسم الحريم من عدة
أجنحة كل جناح منها يسمى دائرة ، ويُغلق على
الأجنحة كلها بباب رئيسى يقوم بحراسته الأغات
وهم مجموعة من العبيد من الخِصيان (من تم
إزالة الخصيتين لديهم لبتز الشهوة وحراسة
الحريم دون الخوف من الخِصيان على الحريم
(.. أما نساء الحريم فهن زوجات السلطان
وجواريه اللواتى يُضجاعهن واللواتى لا
يُضجاعهن ، وموظفات قصره وخادماته وقد

كان يُغلق عليهن الباب عكس نساء المجتمع العادى كنوع من التمييز والحماية وإضفاء صفة مخملية على مجتمعهن كنوع من التدليل لنساء السلطان .

كانت الحريم يعشن فى مجتمع طبقى يتكون من عدة طبقات ،أعلاها زوجة السلطان مروراً بالمحظيات (جوارى للمضاجعة لا يلدن) ، والمستولدات (جوارى للولادة والنسل) نزولاً الى طبقة الخادومات ومستجدات الجوارى اللواتى تحت التدريب والتعليم ..كانت الطريقة التى يتم بها التعامل مع النساء الأخريات مختلفة عن نساء السلطان عامة من الشعب فقد كن فى عزلة تامة عن العامة متوقعن فى هذا الشرك يتم تدريبهن وتعليمهن والعناية بهن وكأنهن مخلوقاتٍ نادرة وذلك فى رفع تعليمهن ليكونا فى أعلى درجات الجمال الجسدى والخلقى والفكرى

وكل ذلك لا لشيء سوى أن يكن مرتع للسلطان



وملذاته .

عالم الحريم كان مجهول للعامة فرويت حوله
الأساطير ، وقيلت فيه الأشعار وأصبح حديث
الناس فكل رجلٍ كان يحلم بأن يكون سلطان
ويمتلك لذة الحريم وينعم بالجوارى ، وكل سيدة
تمنت أن تكون من حريم السلطان لا تراها
الأعين لما أحيط بهذا العالم من هالة من السحر ،
وما يحكى عنهن من الجمال والفتنة .. وهكذا
وبمرور الوقت انتقلت هذه الظاهرة وكأى
ظاهرة إجتماعية ، فانتقلت عدوى الحريم من
السلاطين إلى الصفوة من الشعب من تجارٍ
وشخصياتٍ ذات نفوذ ، فأصبح لهم الحريم
الخاص بهم ، وأصبحوا يتفننوا فى جعل قسم
الحريم قطعة فنية رائعة الجمال من ديكور

وأثاث ومرتعاً للملذات ..وهكذا أصبح أصحاب
الثروات والنفوذ يمتلكن مجموعة من الحريم لا
يخرجن ولا يعملن ولا يكشفن عن جمالهن لأى
شخص ، ويغطين وجوهن عند الخروج من
المنزل حتى لا يراهن أى شخص ، عكس كل
النساء.. لأنهن حريم وجوهن محرمة

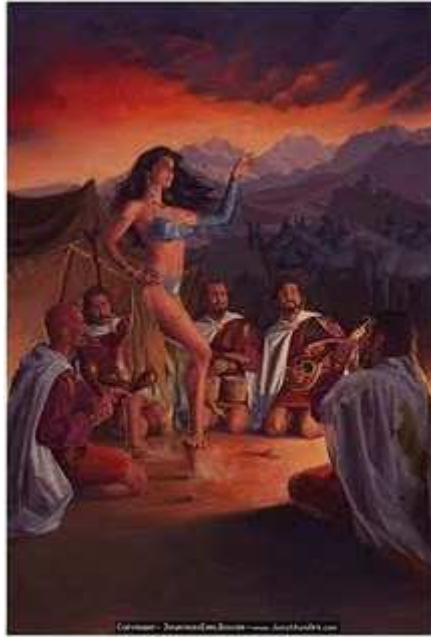


إلا على من يملكهن أو
يشترينهن أو يتزوجهن ، ونساء المجتمع العادى
يخرجن ويعملن بل و ويحاربن ويقودن شعوبهن
ويطلبن العلم ويسعن فى طلب العلم و الرزق..
ومع مرور السنين أصبح كل رجل يتمن أن
يكون من ذوى الحريم وأصبحت كل أنثى تتمنى
أن تكون حرمة مدللة لأحدهم عندما تخرج من
المنزل تتدور الرقاب باتجاهها من شدة الفضول
ورغبة فى رؤية ما تحت الغطاء ..تماماً كم تتجه

الأنظار الى هودج محظيات السلاطين رغبة
فى نظرة من ذلك الهودج المحفوف بالفتنة
..المليء بالاسرار

تجارة العبيد والرقيق والجوارى موجودة منذ
قديم الأزل .. فكل حرب تترك وراءها غنيمة
كبيرة من الجوارى والعبيد ..وكذلك الفقر أيضاً
كان عنصر أساسى لهذه التجارة ، فالكثير من
الفقراء يبيعون أولادهم وبناتهم وهم أطفال إلى
النخاسين أملاً لهم أن يحالفهم الحظ ربما فى
حياة أفضل ، ولكن توسعت تجارة الجوارى
بالذات ..كانت تأتى السفن والقوافل محملة
بأجمل الفتيات من شتى البلدان ، ليقوم النخاس
بإختيار ما يحلو له من الجوارى ..وكانت هناك
دور وبيوت مخصصة لهن .. وفطن النخاسون
أن كلما كانت الجارية موهوبة ، كلما زاد سعرها
فكانوا يعلمونهن فنون الأدب والشعر والموسيقى
والرقص.. بل هناك مدربات مخصصات لفنون
الدلع والدلال ويأتوا إليهن بأمهر الشعراء
والموسيقيين ..وكان النخاس له نظرة خاصة فى
الجارية فمن يجدها شديدة الجمال والدلال

وتمتلك مواهب فنية لا يعرضها فى السوق ،
وإنما يقوم بإرسالها الى أحد الأمراء أو الأعيان
ليقوم بشراءها بسعر كبير.. وهناك كان يمكنك
ان ترى جميع الأشكال والألوان والأجناس من
شتى بلدان العالم فتوجد الإيرانية والتركتانية
والسورية والمغربية والإسكندنافية والروسية
والرومية والفارسية بل وأيضاً جوارى من دماء
عربية يُجلبن من الحجاز واليمن.. فالحروب
والفقر لا تفرق بين الأجناس .



يُعتبر النخاسون فئة اجتماعية كاملة من حيث
عدد العاملين معهم من عمال وكتاب ووسطاء
وشبكات دعاية وتنقيف ، ولهم عيون وفروع
وإتصالات مع تجار ووسطاء آخرين مقيمين فى
شتى أنحاء الأرض ، ويعتبر للجوارى دور مهم

فقد أثرن بشكل كبير فى الطبقات المتنوعة من المجتمع ليس فقط فى حفلات السمر وليالى ألف ليلة وليلة.. إنما فى نشر الثقافة والفنون الجميلة والكثير من العادات والتقاليد المجلوبة معهن من عاداتهن الأصلية سواء فى الغناء أو الأدب أو الأزياء وحتى فنون المطبخ ، بل إن البعض منهن تعدى أثرهن إلى الناحية السياسية فقد إتسع نفوذهن وقوى سلطانهن وخاصة التى صادفها الحظ الجيد ووقعت جارية لخليفة أو سلطان وتزوجها وأنجب منها كالجارية خيرازن أم هارون الرشيد ، وماردة جاريته والتى أنجبت له ابنه المعتصم ، وشجرة الدر ملكة مصر ، تلك الجارية التى تزوجها نجم الدين أيوب وأعطاهها حريتها بعد أن أنجبت له ابنها خليل .. كم كان لهؤلاء الجوارى تأثير أدبى على الأدباء أنفسهم يتمثل فيما قد تثيره الجارية فى نفس الشاعر من عواطف فيعبر عن ذلك بأجمل الشعر والغزل ، وإنقسم إلى غزلٍ عفيفٍ وغزلٍ ماجنٍ .. الخليفة هارون الرشيد عند موته وجد بقصره ما يزيد عن ألفين جارية من أجمل النساء .. الخليفة الراشدى يوم أن مات وجد بقصره ألف جارية ،

وحين عاد موسى بن نصير فاتح المغرب إلى
دمشق كان معه ما يزيد عن ثلاثة آلاف من
أجمل الجوارى .. كم كان عدد الجوارى أكبر من
عدد الحرائر فى بيوت الأغنياء وعلية القوم .

جالساً هارون ومن حوله الجاريات ترقص
وتغنى .. وإلى يساره جارية وزجاجة العطر لا
تفارق يدها .. يتمايل مهتزازاً مع الألحان ويرش
العطر ويستنشقه .. وعلى يمينه صنوق كبير
مفتوح ، وقد إمتلأ عن آخره بصررٍ معبأة



.. إقتربت

بالدنانيير

جارية أمامه تتراقص ، فمال هارون يلتقط صرة
من الدنانير وقذف بها إلى الجارية التى إلتقطتها
تغمز بعينها .. فى الوقت الذى كانت الجارية
الواقفة على يساره تضغط الكرة المطاطية

فيتناثر العطر على وجهه ويشتم مغمض العينين
.. يفتح عينيه ليجد جارية تتمايل فى دلال ..
تناول صرة من الدنانير يقذفها إليها .. رشّة من
العطر ويسحب شهيقاً عميقاً ، يغمض عينيه
ويفتحها ليجد جارية دايرة تقترب متموجة ،
فقال هارون صائحاً

- ما أرو عك أيتها الجارية
قالها وهى يلتقط طرة من الدنانير منتفخة أكبر
من باقى الصرر وقذف بها للجارية التى
إستدارت تسبل عينيها قائلة
- أنا طوع أمرك يا مولاي
ظل هارون يقذف بصرر الدنانير هنا وهناك على
الجاريات .



مرت الأيام على هذا المنوال ، يتفنن هارون فى
العبث مع الجاريات وفى النيل من المتع والملذات ..
إنقطعت صلته فى تلك الأيام بنادية .. منغمساً فى



نعيم الجاريات .. يقذف
بصرر الدنانير هنا وهناك .. حتى كان ليلة جالسا
وسط الجاريات ، وإذا بجارية متسللة تهمس بأذنه
- نادية تريدك غداً في الفجر عند البئر

إتسعت عيناه وتقلصت ملامح وجهه .. فقد كان يظن
أن هكذا ستمضى به الحياة .. قضى الليلة شارد
الذهن .. منتظراً حلول الموعد .

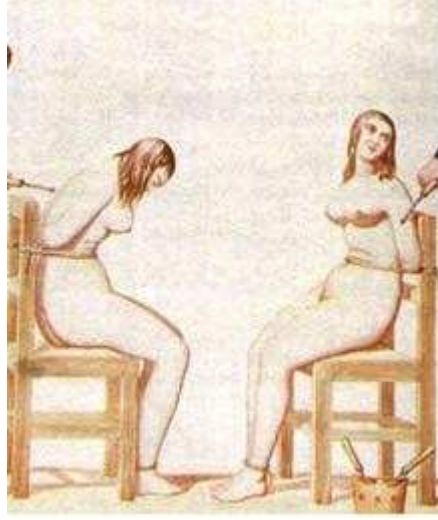
كان لخيرازانة امرأة الوزير بطريق روتيناً يومياً
ثابتاً قلما يتغير .. أشبه بطقوس تؤديها بلا كللٍ ولا
ملل .. تستيقظ مع إشراقة الشمس ، حيث تدخل عليها
ثلاثة جاريات يمسدن ويدلكن جسدها ، من منبت
شعرها حتى أخمص قدميها .. ثم تتناول الفطور على
سريرها .. تنهض بحيوية ونشاط بعد التدليك
والإفطار .. تتجه وسط الجاريات إلى الحمام ..

وبداخل الحمام المبنى من الرخام والجرانيت تحمّمها

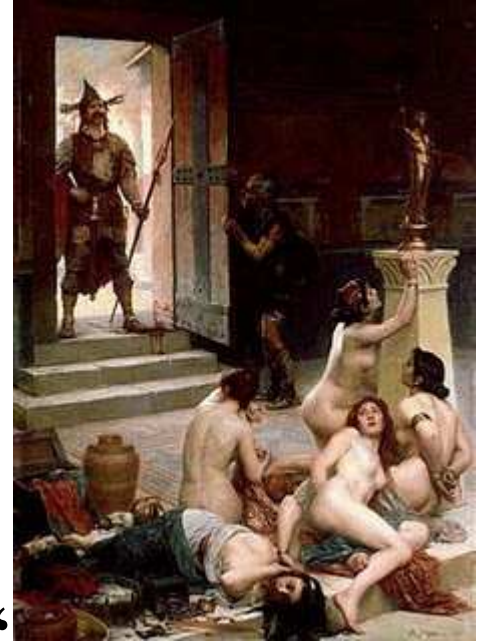


الجاريات بالماء الساخن ..

وبعد الحمام واللّهو مع جارياتها ، تتجول فى القصر
تتابع وتشرف على عمل الخدم والعبيد .. كانت
حريصة دائما على إنتقاء المحظيات وهن الجاريات
الصغيرة البكارى ، التى تشتريهن مما يأتى به
النخاسون يعرضونه عليها ، ذلك النوع مخصص
للمضاجعة فقط من قبل أبنائها الذكور مع مراعاة
عدم الحمل والولادة ، هن للمتعة فقط .. تحرص
على ختمهن بالكى على سوا عدهن بأسماء أبنائها ..
فمن أراد من أبنائها أن يضاجع محظية ، لا يضاجع
إلا من اللاتى عليهن إسمه .. فلا توطأ المحظية



الواحدة من أخين .. كذلك لا
تأخذها رحمة ولا شفقة بمن يهمل في عمله أو
يخطئ فتصدر أوامرها بالعقاب .. حيث يتم تكبيّلهم
في السجن أسفل القصر ويتم جلدهم وكيّهم بالنار



، وعندما يحل الظهر تذهب
لغرفتها لتتعم بالقلولة نائمة .. ثم تستيقظ لتقابل
بعض من زائراتها من المعارف والأقارب



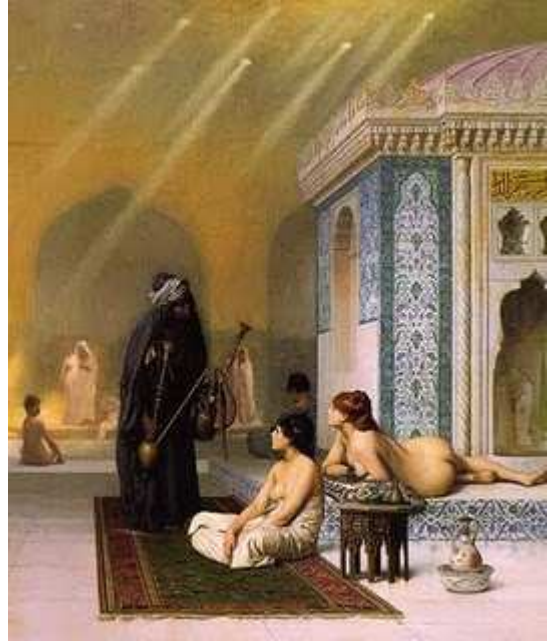
والصاحبات وبعد إنصراف الزائرات ..
تجلس خيرازانة فى بهو قصرها تشاهد ما يقدمه لها
الجاريات من فقرات مسلية



.. يرقصن ويغنين
..وبعد المغرب تتابع شئون أبنائها بعد عودتهم .. ثم
تخلد للنوم بعد العشاء .. هكذا كانت تمضى حياة
خيرازانة .

تبدلت عادات خيرازانة اليومية مع قدوم نادية التى
كانت حريصة على الوصول لقلب وعقل سيدتها بما
تملكه من خبرات فى فنون النساء .. وتقدم لها من
العروض المسلية ما يبهرها ، تارةً تمسك بعصا

رفيعة وتدير فوق نهايتها طبق ، وتارة ترقص لها
وتغنى .. وإذا طلبت خيرازانة المتعة فنادية تمتعها ..
هكذا سلبت نادية لب خيرازانة وإستهوتها .. كانت
خيرازانة تشعر فى الحديث معها بألفة وفى صحبتها
بونسة .. رأتها جارية مختلفة عن كل الجاريات ،
وبشئون الحياة من الداريات العالمات .. ذات مرة
كانت نادية مع خيرازانة يتمددان وسط الجوارى



.. وإذا بجارية تقول
- مولاتى هناك رجل بالبواب يقول أنه أحضر شيئاً
لكِ

- لم أطلب شيئاً من أحد
قالتها قبل أن تقاطعها نادية قائلة
- أنا التى طلبت يا مولاتى .. عندى مفاجئة لكِ
دخل الرجل ووقف أمام خيرازانة وفى يده نار جيلة
ومد يده بها قائلاً

- هذه ما أوصت نادية بإحضارها من قافلة
هارون الوكيل

إنصرف الرجل لتقول نادية

- هذه نارجيلة من بلاد الفرس يا مولاتى .. لا
يوجد مثلها فى البلاد

شرحت نادية لخيرازانة ما هى النارجيلة ، فى
الوقت الذى كانت تطلب من الجاريات إحضار
قطع الحطب الموقدة .. كان مع النارجيلة كيساً
به قشور الرمان المتشربة بالخمр .. وضعت
منها نادية على قطع الحطب المشتعلة .. وطلبت
من خيرازانة أن تسحب النفس .. ما إن سحبت
خيرازانة نفساً من النارجيلة حتى سعلت وإحتقن
وجهها ، بينما قالت نادية

- هذا فى الأول فقط يا مولاتى

مع تتابع الأنفاس .. إستلذت خيرازانة بتدخين
النارجيلة .. وشعرت بخدرٍ ممتع يغزو عقلها
وجسدها .. وجدت نفسها تضحك سعيدة
ومسرورة بلا سبب .. دفعتها نادية لتجعلها
على ظهرها .. إنتشت خيرازانة كأن لم تنتشى
من قبل تحت آيدى نادية بجسدها عابثة ..

وإستمتعت بلذة جديدة وسط خدر النارجيلة
التي أدمنت تدخينها بعد هذا اليوم



.. لذا صارت نادية
إليها من المقربين .. خصصت لها غرفة
بالقصر قريبة من غرفتها بعيداً عن جناح
الحريم ..
و ذات ليلة إستبد الأرق بخيرازانة وتملكها ..
فقامت تطلب نادية من غرفتها وأحضرتها
قائلة

- لا أستطيع النوم اليوم يا نادية
ردت نادية

- سأجعلك تنامين .. وفي عالم الأحلام تغرقين
قالتها وهى تدير جسد سيدتها برفق وتبدأ بتدليك
ظهر خيرازانة بيديها.. دلكت بمنتهى الرفق
أجزائها.. لم يكن من خيرازانة سوى الإستسلام

للخدر المتسلل إلى جسدها ومر الوقت لتجد
خيرازانة نفسها وقد بدأ النوم يتسلل إلى جفونها
.. وقبل أن تغمض عينيها لتنام وجدت نادية
تهمس في أذنها

— مولاتى مهما كان بين النساء .. إلا أن الرجال
لا يعادلهن مذاق
ردت خيرازانة شبه نائمة

- ماذا تقصدين يا نادية ؟

- مولاتى .. الناس تعلم أن زوجك الوزير ما
له فى النساء مأرب .. وأنتِ امرأة تحتاجين
إلى الرجل .. فمهما كان من أمر الجاريات
.. إلا أنه لا يماثل الرجال

تنهدت نادية لتواصل

- عندى رجلٌ موثوقٌ به .. هو هارون الوكيل
على السر أمين .. يمكننى أن أتدبر الأمر إن
شئتِ .. فأنا جاريته طوع أمرك وأشعر بكِ
قالتها نادية وهى تنظر عيني خيرازانة الشاردة
وأمسكت يدها بحنان وقالت

- هيا يا مولاتى .. فقد تأخر الوقت .. إخلدى
إلى النوم

هكذا صارت خيرزانه شاردة فى كلمات نادية
ممدة على السرير .. ونادية تدلكها حتى نامت .

مرت بضعة أيام وخيرازانه لا تكف عن التفكير
فيما قالته نادية .. وأخيراً إتخذت القرار .

- ٩ -

فى المساء كان محمود ساهراً فى داره يرتب
جلوده .. ويتفحص ما نفذ منها حتى يصنع
المزيد ، كان الدار عبارة عن حجرتين صغرتين
وردهة واسعة .. كل ما فى الدار عتيق ومتها لك
.. مصابيح قديمة يكاد زيتها لا يضىء .. نيرانها
خافتة تكاد تنطفئ .. يوجد فى الدار سرير واحد
تنام عليه أمه فى إحدى الغرفتين .. بينما ينام هو
على فرشة على الأرض فى ردهة المنزل ..
وبقيت الغرفة الثانية خاوية على عروشها بعد
زواج أخته .. فاستغلها محمود فى صناعة
الجلود .. السقف مكون من جزوع النخل ،
ومرفوع على أربعة جذوع أخرى تحمله
بالأسفل تمتد طولياً عبر ردهة الدار .. معروش

بجريد النخل وقطع القماش البالية ..سمع محمود
هزيم الرعد وومضات البرق تتخلل الثقوب
والفرجات فى جدران الدار المبنية من الطوب
والطين اللازب ..وبدأت الأمطار تهطل .. وتعلو
زخاتها ..تذكر محمود كيف كانت الأمطار
تتساقط من سقف الدار وتغرقهم إذا اشتدت .. إلا
أنه تمكن بمجهود مضنى من أن يصنع قطعة
جلدية رقيقة بمساحة سقف الدار .. أحكم تثبيتها ،
فلم تجد الأمطار لها منفذاً .. كان ممسكاً بسكيننا
يقطع الجلود .. حين قفز إلى ذهنه صورتها ..
إعتملت بقلبه الهواجس والظنون .. فمئذ تقابلا
فى الصحراء مرت أيام .. لم تصل له منها
رسالة ولا كتاب .. هل إكتشفوا أمرها ؟
ومنوعها من الخروج .. إذا كان الأمر كذلك



فلماذا لم ترسل له .. لم يلتفت

إنتباهاً حين أعماه خاطر أن تكون حورية قد
نسيته .. ولما لا ؟ .. فهو صعلوق ربما تكون قد
تسلت به قليلاً ثم مضت إلى حال سبيلها في
العز والنعيم .. قطعت السكين جلد باطن يده ..
جرحاً ليس غائراً لكنه من سخونة دمه كان
نازفاً .. هرع يلتقط قطعة قماش يضمد بها
جرحه ليوقف النزيف .. سمع طرقات محمومة
على الباب المتهالك .. تسائل من ذا الذى يأتى
تحت هذا المطر ؟ .. أسرع يفتح الباب .. ثم
أمسك بكفه اليمنى كفه اليسرى المجروحة
يضغط الخرقه عليها .. رأى الجارية الملتمة
واقفة أمامه ممسكة بالحصان خلفها .. ملابسها
مبتلة عن آخرها .. دق قلبه بعنف منتظراً أن
تخرج له الجارية برسالة .. لكنه وجدها تدلف
مسرعة إلى داخل الدار تحتوى بسقفها المعروش
من الأمطار .. إتجهت بالحصان ناحية جزع
نخلة من تلك التى تحمل سقف الدار ، وربطت
الحصان الذى أطلق صهيله يدوى فى الدار ..
صاحت أمه

- من يا محمود .. ماذا هناك ؟

رد محمود يطمئن أمه المتلهفة

- لا شئ يا أمى ..جارية تريد جلود

- فى هذا الوقت المتأخر

هكذا قالت أم محمود قبل أن تتلقى رده

- إهدأى بالاً يا أماه .. عودى إلى نومك

سأبيعها الجلود وتنصرف بعد المطر

عادت أم محمود إلى نومها .. متدثرة بفروة

خروف تدفى جسدها .. فى الوقت الذى كان

محمود يرنو إلى الجارية محققاً ، منتظراً

الرسالة متلهفاً .. لكنه شعر بشئ على يده ..

نظر ليجدها قد أمسكت بكفه المجروحة تحكم

رباط خرقة القماش عليها قائلة

- ما الذى جرح يدك هكذا ؟

حلق محمود فى لثامها حين سمع صوتها .. لكنه

تجمد فى مكانه من فرط الذهول حين أ راحت

اللثام عن وجهها ، ليرى حورية أمامه تنظر إليه

بحنان وتقول

- كيف حالك يا محمود ؟

لم يرد محمود فقد كان هذا آخر ما يمكن لخياله

أن يتوقعه من الأميرة المجنونة .

إنتبه لثيابها المبتلة فقال

- كيف إستطعتى المجئ تحت هذه الأمطار ؟

ردت حورية وهى تتجول بعينيها فى أنحاء الدار
وعلى وجهها علامات السرور

- حين خرجت من القصر لم تكن تمطر
جاء محمود ببعض الحطب وأشعل النار فبدأ
الدفع يتسلل رويداً فى المكان وقال
- إجلسى هنا جوار النار حتى تجف ملابسك
لم يبدو على حورية أنها سمعته وإتجهت إلى
الحصان .. فكت الحافظة الجلدية المثبتة على
السرّج وأخرجت الثوب الرقيق الذى كانت قد
إشترته من السوق .. وكأنها لا تبالى بشئ فى
الوجود .. إستبدلت ملابس الجاريات المبتلة



بالثوب الرقيق ومحمود
الواقف أمامها يحدق مشدوهاً وقال
- ما حكاية هذا الثوب معك ؟

قالها وهو يحضر قطعة جلود كبيرة ويلفها على
كتفي حورية التي قالت

- أحب أن أشعر بأنى واحدة من عامة الناس
قال محمود محتداً محاولاً خفض صوته حتى
لا تستيقظ أمه

- وهل يجعل ثوب رخيص الأميرة واحدة من
الناس ؟

- لماذا تفسد على سعادتي يا محمود ؟
هكذا سألت حورية وهى تجلس على الفرشة
بجوار النار .. حدقت فى النار أمامها وأصغت
إلى زخات المطر على سقف الدار ثم تابعت
- لقد أوحشتنى يا محمود .. وأردت أن أراك
وأجلس معك .. تخفيت فى ملابس جارية
وخرجت من القصر وسط الظلام .. وحين
أمطرت وأنا فى الطريق .. كنت أريد أن

أطير تحت المطر كما الطيور



صمتت تنظر فى وجه محمود المتجهم ثم تابعت
وظلال النار ترسم على وجهها الأبيض الخيوط
الصفراء

- ما الذى جرح يدك قبل مجيئى ؟
- شرد ذهنى وأنا أقطع الجلود فى الأميرة التى
تسلت قليلاً بالصعلوق ثم مضت إلى حياتها
قالها وهو يجلس إلى جوارها على الفرشة ..
وردت هى

- هكذا كنت تفكر فى الأمر
قالتها وهى تمد يديها تمسك بيد محمود
المجروحة ثم تابعت باسمه
- يبدو أن هذا كان عقابك لأنك أسأت الظن بى
تنهد محمود تنهيدة عميقة وقال

- لا يستطيع عقلى أن يستوعب الأميرة التى
ت..٠

بتر جملته على يد حورية تنقض على فمه تمنع
الكلمات وقالت بهمس

- ألم نتفق يا محمود أن نحيا ساعتنا الحالية
ولا نفكر فى ساعتنا المقبلة .. لا تشغل بالك
بشئ سوى أننا الآن مع بعضنا فى هذا
المكان الجميل

ضحكة مبتورة خافتة ساخرة أطلقها محمود قبل
أن يقول

- جميل .. أتسخرين ؟

ردت حورية مسرعة وعينيها تلمع ببريق النار
الذهبية المتألئة أمامها

- أنت تقول هذا لأنك لا تفهمنى .. أنا أرى
المكان جميل .. لا شأن لك أنت



قالتها ضاحكة ، فابتسم محمود ورأى حورية
تقوم وتلقى بقطعة الجلد من فوق كتفيها وتتجه
تفتح الباب .. ثم تعود وتفك الحصان وتعتليه
لتقول

- هيا يا محمود

قالتها وهى تشير لمحمود بركوب الحصان خلفها
، إلا أنه وقف مكانه وقال

- ماذا ستفعلين ؟

- هيا يا محمود قبل أن يتوقف المطر .. فقد
هدأ هطولها

قالتها حين إقتربت بالحصان حيث يقف
محمود.. أمالت جزعها ومدت يدها تجذبه ..

فما كان منه سوى الإمتثال وركب خلفها على
الحصان .. شدت حورية اللجام فسار الحصان
حثيثاً خارجاً من الدار ، ومحمود يقول
- قد يرانا أحد

- لا أحد فى سكون الليل هذا موجود .. الجميع
مختبأً من المطر فى البيوت

هكذا قالت حورية وهى تفك رباط شعرها
الطويل وتنتثره حول رأسها .. حين شعر محمود
بشعرها يتناثر على وجهه إستنشق عطره
وأغمض عينيه ليفتحها على ضحكاتهما .. لم
يدرى محمود بنفسه حين أحاط زراعيه من
الخلف يحتضن حورية ويستند برأسه على كتفها
تحت المطر .. إبتلت ملابسهما ، فكان محمود
يشعر بلحم ظهر حورية على بطنه .. بينما هى
تنعم بدفء لحم بطنه على ظهرها



.. تطلق حورية

الضحكات تباعاً سعيدة بهذه المغامرة تحت
المطر .. لكزت الحصان بقدميها ، فأسرع يعدو
.. ظلت تدور بالحصان حول دار محمود وهي
فى قمة السعادة والفرح والسرور .. تدغدغ
قطرات المطر وجهها .. ويسرى الدفء فيها من
جسد محمود الملاصق لظهرها .. يتحرك
الجسدان ككتلة واحدة على ظهر الحصان مع
حركاته ويتمايلان حتى توقف المطر .. عادا إلى
داخل الدار .. نزل محمود يقول
- يبدو أنكِ أكثر من مجنونة
ضحكت حورية ضحكة صافية علت فى الدار ..
فسمعا على إثرها صوت أم محمود يصيح
- ماذا هناك يا محمود ؟
- لا شئ يا أمى

هكذا عادت أم محمود لنومها بعد صوت ابنها
يطمئننها .. بينما وضعت حورية كفها على فمها
تمنع صوت الضحكات ومحمود ينظر إليها
حانياً مبتسماً .. جلست حورية على الفرشة
فوق الأرض تمد يديها من فوق النار التى جلب
لها محمود المزيد من الحطب وجلس بجوارها ..

كانت حورية تفرد طرف ثوبها تجففه بحرارة
النار وقالت

- أريد هذه يا محمود

قالتها وهي تمد يدها تمسك بيد محمود
المجروحة تفك خرقة القماش المبتلة والملطخة
بدم محمود من جرحه وتابعت قائلة

- أريد أن أحتفظ بدمك يا محمود

صمتت وقامت من مكانها تقول

- لن أدع جرحك هكذا

تناولت الطريحة التي كانت ترتديها عند

حضورها .. وقطعت منها جزءاً صغيراً ..

وعادت تجلس جوار محمود تربط جرح يده

بقطعة الطريحة ، وسمعته يقول

- لقد إندمل الجرح ولا أح..

قاطعته حورية ضاحكة

- أخذت منك قطعة وهذه بدلٌ منها

رد محمود يضحك بخفوت

- لكنك أخذت دمي ولم تعطيني بدلاً منه

نظرت حورية بحب في عيني محمود ومدت

يدها تتناول قطعة حطب صغيرة لم تنل منها

النار بعد .. بأظافرهما نشبت شوكة صغيرة ،

وقبضت على أصبعها الإبهام وخزته بالشوكة ..
أمسكت طرف قطعة الطرحة على يد محمود
تقطر عليها بعض قطرات دمها .. وقالت
- ها أنا أعطيتك دماً بدلاً من دمك
لم يرد محمود مكتفياً بإبتسامة محركاً رأسه
دلالةً على إندهاشه من الأميرة .. بينما تابعت
هي قائلة

- قرأت أنه إذا تبادل حبيبان دمائهما فإنهما لا
يفترقان

رنت كلمة حبيبان في أذني محمود محدثة دوىً
كبير ووجد نفسه يردد الكلمة .. إلا أنها خرجت
بصيغة إستفهام
- حبيبان ؟

فسمعها تقول بلامبالاة مشوبة ببعض الدلال
- نعم .. ألم تسمع تلك المقولة من قبل .. أية
حبيين يريدان ألا يفترقا يتبادلا دمائهما ..
إذا كنت تعرف حبيين أخبرهما بذلك
إنسابت منها الضحكة الملائكية الخافتة حين
رأت وجه محمود الجامد أمام أعينها وسط ضوء
النار التي بدأ نورها يخفو وهمست تومئ برأسها
بين منكبيها في جاذبية لا تقاوم

- نعم .. فأنا أحبك يا محمود



مدت يدها الملساء الناعمة تمسح بها على خد
محمود ورأت الدموع تتفرق في عينيهِ ..
نظرت في عينيهِ مباشرة وهمست بخفوت
- إحيأ معي ساعتنا الحالية .. لا تفكر في شئٍ
آخر

ظلت تقترب بوجهها من وجهه .. تدنو وتقترب
.. تلامس الأنفان .. لا تزال تحقق في عينيهِ ..
بينما هو يسمع جملتها الأخيرة تتردد وتتردد في
داخله .. أفاق حين أحس بشفتيها تلامس شفتيه ..
رعشة دافئة سرت في أوصاله ووجد قلبه يعدو
.. طبعت حورية قبلة رقيقة ناعمة على فم
محمود ، ثم عادت برأسها للوراء .. تبتسم وقد
بدأت الدنيا من حولهما تظلم .. قام محمود

ووضع بعض الحطب فى النار .. عاد الضوء
الأصفر الخافت ينبعث فى الدار .. تمددت
حورية على ظهرها فوق الفرشة على الأرض ،
فإنحسر الثوب الرقيق فوق ركبتها .. رأت
محمود يحدق فى سيقانها العارية فابتسمت قائلة
- علام تنظر ؟

لم يرد محمود الذى أشاح بوجهه يرنو إلى النار
، وسمعها تتابع كلماتها
- يمكننى أن أجعلك ترى المزيد
قالتها ضاحكة فى الوقت الذى كان محمود يعيد
نظره إليها فيجدها قد رفعت ذيل ثوبها أكثر ..
أحس محمود وكأن بياض فخذيها أضاء المكان
.. سمعها تهمس

- هيا أكمل
- ما الذى أكمله ؟
- من عند ما إنتهينا المرة السابقة
- ألا زلتِ تذكرين

قالها محمود متنهداً .. فى الوقت الذى رأى
حورية تسحب ثوبها ببطء لتكشف له المزيد
وسمعها تقول
- هذا قد يساعدك لتتذكر ؟

تنهد محمود ضاحكاً .. بينما تابعت هي
- حين كنت جارية وأنت تشتريني في المرة
السابقة .. كنت تقول أن ذلك الشيء في
الرجال له شقين .. شق غريزي وشق آخر
.. هيا أكمل ما هو ذلك الشق الآخر ؟

تمدد محمود بجوارها على الفرشة على جنبه
وصارت هي على جنبها .. الوجه في الوجه
يتنفسان ذات الهواء .. قال محمود
- أنت أفضل شيء في حياتي يا حورية
صمت ثم تدارك فجأة
- ربما الشيء الوحيد

ما كاد ينطقها حتى وجد حورية تنقض على فمه
تقبله .. فتحت شفتيها تلثم شفاهه .. أحس بطرف
لسانها يمر على شفتيه مداعباً .. باعد هو بين
شفتيه يستقبل أثيرها .. كانت هذه هي المرة
الأولى لكلاهما .. لكن حورية كانت هي الأجرأ
بحكم طبيعة شخصيتها من جهة وكذلك ما قرأته
من قصص المحبين والعشاق من جهة أخرى ..
لم يشعر محمود وحورية بالزمان والمكان ..
وكانهما صارا في عالم آخر .. عالم لا يفرق بين

الصلوق والأميرة .. وجد محمود نفسه يمسك
براحتيه رأس حورية .. طبع قبلةً حانيةً على
جبينها .. ثم قبل خديها .. وعلى أنفها كانت قبلته
الرقيقة تستقر .. لم يدع موضعاً على وجهها إلا
وقبله .. رأى شفثيها تتحرك وصوتها بالكاد
يصل إلى أذنيه

- من أين تعلمت ذلك ؟

رد محمود بذات الهمس

- وجدت نفسي أفعل ذلك بلا وعي

ضحكت حورية وقالت

- أهى الغريزة إذن ؟

- لا .. هذا هو الشق الآخر

حدقت حورية فى وجه محمود وقالت

- يبدو أنك فيلسوفاً

صمتت تسحب شهيقاً وواصلت

- هل ضاجعت امرأةً من قبل يا محمود ؟

قالتها متغلبة على خجلها حين نطقت كلمة

ضاجعت .. رد محمود

- لا .. فقط أراهن فى الأحلام

- إحكى لى آخر حلم لك مع إحداهن

تنهد محمود بعمق وقال
- منذ ثلاثة أيام .. كنت فى حلمٍ جميلٍ مع
أجمل فتاة على الأرض
قاطعته حورية قائلة
- صفها لى

رد محمود – هى أميرة تهوى حياة الصعاليق
قالت حورية وقد علت حاجباها وإتسعت عيناها
- أنا التى كنت معك فى الحلم .. هيا أكمل ..
وماذا حدث ؟ .. لقد شوقتنى لذلك الحلم ..
هيا

واصل محمود

- كنا عاريين .. وبعد القبلات نامت هى وحين



جئت أنا

توقف محمود متوقعاً ما سيحدث .. وفعلاً حدث
.. فقد صاحت حورية – هيا أكمل .. حين جئت
ماذا حدث ؟

قال محمود ضاحكاً

- إستيقظت من النوم .. لم يحدث شئ

- أنت تكذب

قالتها حورية وهى تحرك رأسها رافضة أن

تكون هذه هى نهاية الحلم ، وتابعت

- ألم يحدث شئ

رد محمود - ربما أكتمل ذلك الحلم يوماً ما ..

سأحكيه لك

ردت حورية - معك حق .. قد تكون ساعتها

قد بلغت الحلمَ ويمكنك أن تكمل .. فأنت لازلت

صبياً لم يبلغ بعد

على عكس ما توقعت رد محمود بهدوء

- ربما

كتمت غيظها وعادت على ظهرها ترنوا إلى

السقف .. بينما محمود صامتاً .. سرقهما النوم

دون أن يشعرا .. بدأ الصباح فى الظهور فى

الأفق .. إستقيظ محمود وحورية على صيحات

أم محمود

- من هذه يا محمود ؟ .. أهذه الجارية التى
جاءت بالليل

قام محمود مسرعاً وتبعته حورية تتناول ملابس
الجاريات وهرعت إلى غرفة أم محمود تستبدل
الثوب الرقيق بملابس الجارية .. لم يكن همها
صياح وتسائلات أم محمود .. كان همها أن
يكون أحد قد إكتشف غيابها عن القصر ..
خرجت فى الوقت الذى كان محمود يشرح لأمه
أنها لم تتمكن من المغادرة بسبب الأمطار
وسرقهما النوم .. إعتلت حورية الحصان ولثمت
وجهها وقالت ضاحكة

- أراكِ على خير يا أم محمود

قالتها فى الوقت الذى كان محمود يفتح الباب
لتنطلق حورية على جوادها مسرعة ، قبل أن
يستيقظ الناس .



عادت حورية إلى القصر .. تسللت خفية حتى
وصلت إلى غرفتها .. لم تصدق أنها عادت إلى
الغرفة دون أن يراها أحد ممن إستيقظوا مبكرين
من الخدم والجواري والعبيد .. شهقت فزعة
حين رأت جسداً ممدداً مغطى على سريرها ..
إقتربت تسحب الغطاء برفق .. فضحكت وعلا
صوت ضحكاتهما في الغرفة ، لتستيقظ أم إبراهيم
على صوت ضحكات حورية وتقول
- لماذا تأخرتِ هكذا يا ابنتى ؟ .. رقدت
مكانك حين تأخرتِ عن الحضور حتى لا
يكتشف أحد غيابك إذا دخل الغرفة .. خشيت
أن يكون حدث لك مكرهه

حكّت حورية لمربيتها .. كيف سرقتها النوم عند
محمود ولم تستيقظ إلا فى الصباح .. تضحك أم
إبراهيم وتقول

- لا أوافقك على ما تفعلين .. لكنى أرى حالك
قد تبدلت وأجداك سعيدة

توجهت حورية للحمام وإغتسلت ثم عادت إلى
غرفتها تحتضن محمود فى مخيلتها .. وراحت
فى نومٍ عميق بينما يدها قابضة على خرقة
قماش ملطخة بالدم .. دم محمود .



فى قصر أحدهم
جلس القوم المعارضون للسلطان المبروك ..
يتجادلون .. يتناقشون .. يتحاورون .. إبراهيم بن

عيسى وإلى جواره الوائل بن الإبراشى ومعه
مصطفى بن البكرى والشيخ عبد الله بن السعيد
.. وكذلك فأكهة القوم يجلس متربعا مبتسماً
كعاداته طالع بن الأسياد ، ومعهم عدد من الشباب
يتصدرهم أحمد ومحمود .. قال ابن البكرى
بصوته الجهورى

- لن نتركهم يحكمون على الأهلطل بن بهلول
فى الغد بالإعدام

صاح الشيخ عبد الله بن السعيد
- لن يحكم القاضى عليه بالقصاص .. فهو
مختل عقلياً .. حتما سيحكم عليه بالسجن
قاطعه طالع ابن الأسياد قائلاً

- تقصد السجن المزيف .. سيسجنوه حتى حين
.. ثم يطلقوا سراحه إلى بلاد الله الواسعة بعد
أن تهدأ الأمور

تنهد إبراهيم بن عيسى وقال
- علينا أن نجمع الناس فى الصباح أمام ديوان
القضاء .. ونطالب بإطلاق سراح العبيط ابن
بهلول

سحب الوائل بن الإبراشى نفساً عميقاً وكأنه
إستيقظ لتوه من النوم وقال بكلمات هادئة بطيئة

- أنتم تتحدثون وكأن براءة بهلول صارت
يقين

صاح القوم من حوله يرددون

- ماذا تقصد ؟ .. هل يمكن أن يكون العبيط

الأهطل بن بهلول هو القاتل .. لا .. كيف ؟

واصل الوائل كلماته بعينيه الناعسة

- أنا لم أقل أنه القاتل .. ولم أقل أنه برئ .. فلم

تثبت له براءة ولا إدانة .. السؤال الأهم أين

القاتل الحقيقي .. لقد مرت فترة طويلة ولم

تظهر جثث مسلوخة أخرى .. فلماذا توقف

القاتل الحقيقي عن القتل بعد القبض على

بهلول

حذق جميع الموجودين في وجه الوائل الذي

هوت كلماته عليهم لتجعلهم ذاهلين ، فقال أمجد

ابن الجلال الذي حضر للتو متأخراً

- معك حق .. منذ بدأت حوادث القتل ولم يمر

فترة كهذه دون أن تظهر جثة .. وكما نسأل

أين القاتل الحقيقي ولماذا توقف عن القتل ؟

.. علينا أن نسأل لماذا يقتل ؟ .. ولماذا يسلم

الجلد .. ولماذا النساء فقط هم الضحايا ؟ ..

ولماذا الأربعة نساء التى قُتلت بالذات دون
باقى النساء ؟

قطع إبراهيم ابن عيسى سلسلة لماذا ؟ التى
أطلقها ابن الجلاد وقال

- وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ابن بهلول العبيط
لا يمكن أن يكون هو القاتل .. فحوادث القتل هذه
لا يقوم بها إلا قاتل محترف .. ربما ينتظر القاتل
ما ستسفر عنه محاكمة الأهطل ثم يعاود قتل
ضحياه .. ولابد أن نقف إلى جواره
رد ابن الجلاد قائلاً

- أنا لن أذهب إلى ديوان القضاء .. لا أستطيع
أن أتخذ موقفاً تجاه شئ لم تثبت صحته من
عدمه

هكذا كان حال ابن الجلاد الذى يتخذ دائماً الحياد
منهجاً .. حتى يظل رابحاً هنا وهناك .. أوماً
الوائل برأسه وقال

- إذا ذهبنا فى الصباح وحشدنا الناس أمام ديوان
القضاء لن يغير ذلك شئ فسيُحكم على الأهطل
بالسجن .. وإذا لم يظهر جثثٌ أخرى بعد ذلك
سيصدق الناس أن ابن بهلول هو القاتل وسنفقد
مصادقيتنا عند الناس ، ولن يصدقونا بعد ذلك

ما كاد الوائل بن الإبراشى ينتهى من جملته
الأخيرة .. حتى بُهت الجميع عند سماعهم لجملة
تقول

- وما أدراكم أن الناس تصدقكم ؟
حق الجمع فى صاحب الجملة محمود الذى
تابع

- الناس تسمعكم لكن ليس معنى ذلك أنهم
يصدقون ما تقولون .. هم يسمعونكم تقولون
أنكم تريدون أن تصلحوا أحوال البلاد
والعباد .. لكنهم لا يرون فيكم سوى أعيان
ومشايع لا تتضورون جوعاً .. ولا تعملون
لدى الأمراء والأعيان من أجل بضعة دنانير
مثلهم

قاطع طالع بن الأسياذ محمود قائلاً
- ماذا تشتغل أيها شاب ؟

- أصنع الجلود وأبيعها فى السوق
أوما ابن الاسياذ برأسه وكأنه الآن فهم سر
كلمات محمود الذى حلق فى عينيه بجمود وتابع
- أنا لا أحقد عليكم لأنى فقير .. لكنى أتحدث
كواحدٍ من الفقراء اللذين تقولون أن أمرهم
يهمكم .. لا أرى فى الكلام نفعٌ ولا فائدة ..

إذا اجتمع الفقراء والمظلومين وأخذوا
بلادهم ممن اغتصبوها من الفاسدين .. لن
يقف في طريقهم أحد
قال محمود جملته الأخيرة وعينه تلمع ببريقٍ
مخيف .. وصاح إبراهيم بن عيسى قائلاً
- يبدو أن ما حدث لك في قصر غسان قد أدار
رأسك يا محمود
- لا شأن لذلك بما أقول
هكذا صاح محمود محتداً قبل أن يتدخل ابن
البكرى قائلاً
- وهل تريد أن نقاتل السلطان والأمراء ؟
- إذا كان هناك حلٌ آخر فأنا أحب أن أسمع
صمت برهة ثم أردف
- غير الكلام والجدال العقيم
سرت الهمهمات على كلام محمود بينما قال
الوائل بن الإبراشي
- ستكون فتنةٌ في الأرض وفساد كبير .. وإن
الله لا يحب المفسدين
رد محمود تبرق عينيه بحماس
- الله أمرنا بالجهاد ضد الفاسدين الظالمين

تخيل طالع بن الأسياد نفسه على جواده ممسكاً
بالسيف يقاتل ، فتلقى طعنةً من خلفه إرتعش
جسده على إثر تخيل ذلك المشهد .. بينما تخيل
الآخرون أنفسهم وسط القتال بعيداً عن
قصورهم وأموالهم .. وقال إبراهيم
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من
رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الإيمان)

رد محمود

- وإذا لم ينفع القلب واللسان فما لنا حيلة سوى
اليد

قالها محمود فى الوقت الذى كان أحدٌ يلقى
السلام بصوتٍ وقور .. إتجهت أنظار الجميع
ليروا رجلاً حلو الطلعة .. تشعر بأنك مجذوبٌ
لعينيه المسيطرة وقسمات وجهه المريحة للنظر
يجلس على ركبتيه ثم يتربع قائلاً
- أنا أتفق معك يا محمود .. لكن من الذى فسر
قول الرسول عن تغيير المنكر باليد أنه
الجهاد أو القتل فحسب .. هناك أشياءٌ أخرى
.. أنت مثلاً يا محمود إذا جئتك أطلب منك

قطعةً من الجلود وعرضت عليك خمسة
دنانير .. بينما أنت تطلب حقك فيها عشرة
دنانير ، ماذا سيحدث ؟ .. سأجد غيرك
يبيعنى مثلها بخمسة دنانير .. أما إذا إتحد
كل صانعى الجلود فى البلاد ولم يقبل واحدٌ
منهم سوى بعشرة دنانير .. ساعتها سأضطر
إلى دفع العشرة دنانير ولن أبخس ثمن
السلعة

صمت برهة بينما محمود يحدق فى وجهه
بانصات وكذلك باقى الجمع .. وواصل هو
- كذلك إذا إجتمع الفقراء المظلومين وإتحدوا
جميعاً .. ورفضوا أن يعملوا لدى الأغنياء بثمنٍ
بخسٍ دراهم معدودة .. ساعتها ستجد من يدفع
درهماً سيضطر أن يدفع عشرة من أجل أجيرٍ
واحد .. فحال البلاد ليس بسبب من يحكمها فقط
.. وإنما بسبب المحكومين فيها أيضاً .. اللذين
أذعنوا للظلم وتركوا أنفسهم فى أيدي سادتهم
مهطعين ذليلين .

ما كاد الرجل الغريب ينهى جملته حتى صاح
أحد الحاضرين

- ومن أنت أيها الرجل الكريم ؟

- أنا المأمون بن عبد الله الرشيد
صاح طالع بن الأسياد
- أليس ذلك التاجر الذى هجر البلاد منذ زمنٍ
بعيد
- هو كذلك .. لقد ولدت هنا فى هذه المدينة ..
ورحلت صغيراً مع والدى .. أنا الآن تاجرٌ
رحالة أجوب مشارق الأرض ومغاربها
بتجارتي .. مررت من هنا أزور بلادى
سأمكنث قليلاً ثم أعود رحلاتى
قالها وهو يقوم من مجلسه لينصرف قائلاً
- أنا سأذهب فى الصباح إلى ديوان القضاء ..
سأحضر محاكمة ابن بهلول .. السلام عليكم
إنصرف المأمون تاركاً الجمع فى ذهول .. كل
من كان عنده كلمة عن عبد الله الرشيد يلقى بها
.. يتسائلون عن ذلك المجهول .. حتى إنفض
الجمع .

خرج محمود بصحبة أحمد الذى قال
- أراك يا محمود منذ بدء حكايتك مع الأميرة
حورية .. وأنت لم تعد محمود .. صرت
حاقدًا على الأغنياء

وقف محمود محققاً فى وجه أحمد وقال

- أنا لست حاقداً يا ابن الأعيان

- أنا لا أقصد أن

قاطعه محمود محتداً

- وكيف لك أن تشعر أنت بالفقراء الكادحين يا

سليل العز والنعيم

- محمود .. أنت تعلم أننى لست كأقرانى من

أبناء الأعيان

قاطعه محمود صائحاً

- لا شأن لك أنت بالفقراء .. إذهب إلى حفلات

أبيك الماجنة وضاجع معه الجوارى

أمسك أحمد بكتفي محمود ورد غاضباً

- لا شأن لك بأبى يا بائع الجلود عاشق الأميرة

.. أتظن أنها تحبك ؟ .. إنها تلهو بك .. أنت

واهم

لم يرد محمود الذى وقع تحت سطوة الغضب ،

فدفع أحمد فى صدره أسقطه أرضاً .. قام أحمد

مسرعاً وإشتبك الإثنان بالأيدى .. وفجأة توقفا

على صوت يصيح

- كفاكما

وجد المأمون بن عبد الله الرشيد حائلاً بينهما
يقول

- أهكذا يفعل الصديقان ببعضهما
غادر أحمد لاهثاً يحث الخطا مبتعداً .. بينما
سار المأمون فى الطريق إلى جوار محمود
يحدثه عن كيف يحصل الفقراء المظلومين على
حقوقهم بلا قتال .



- ١٠ -

مضت الأيام بعبلة فى قصر ابن زيدون ،
وكبرت بطنها أكثر .. صارت تشعر بالسعادة
من جراء إحساس الأمومة التى بدأ ينسيتها
محمود .. لكن ألفتها لحياة القصر والنعيم كانت
ناقصة .. ولولا جاريتها وصديقتها رمانة تلك
الحررة التى إختارت أن تكون جارية ، لفتك بعبلة
الملل والحزن .. لا تجلس فى القصر مع أحد



سوى رمانة .. ولا

تتحدث وتبث ما فيها إلا لرمانة



.. صارت رمانة

خادمتها وجاريتها المطيعة .



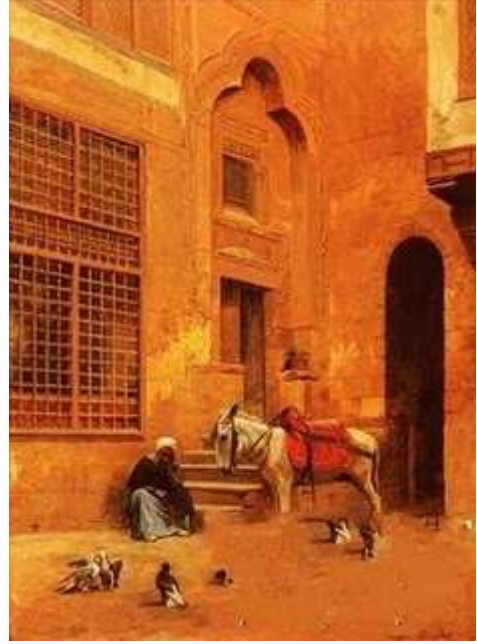
.. هكذا مضت بها

الأيام .. كان العنصر المشترك فى أغلب أحاديث

عبلة ورمانة هو المقارنة بين حياة الفقراء
وعامة الناس والعباد والتي إنحدرت كلتاها منها



٦



وحياة القصور وما فيها

من بذخ ولهو ومجون



.. بمساعدة رمانة
إهتدت عبلة إلى ما أسرَّ قلبها وأذهب عنها الغم
والهم تماماً .. حيث تمكنت هي ورمانة وعددٌ
قليل من الجوارى الموثوق بهن من إدخار بعض
الزاد من البقوليات والفواكة والأرز وكذلك اللحم

وبعض الأنية النحاسية ، سواء مما يفيض من
ابن زيدون فى حفلاته الماجنة



أو من المخزون
الهائل فى القصر ثم قاموا بتجميعها فى أجولة
كبيرة .. تسللوا بها فى الليل خارجين من القصر
.. ومروا على بيوت الفقراء والمساكين ممن لا
يجدون ما يسد جوعهم .. وزعوا عليهم الأطعمة
من غلال وأرز وفاكهة .. كان قلب عبلة يتقافز
فرحاً حين ترى الابتسامة على وجوه هؤلاء
الفقراء .. وتشعر أنها تريد أن تطير عندما تسمع
دعائهم لها بالخير الوفير والأجر العظيم عند
الخالق الكريم .. تعود وتنام مرتاحة البال ..
فكرت تخبر أحمد .. فأحمد طيب وسيفرح لذلك
بل سيساعدها .. إلا أنها تراجعت عن إخباره ..
فأحمد ابن أمه ، حتماً سيخبرها .. إنه لا يخفى
عن أمه شئ .. إبتسمت عبلة حين تذكرت أنه
حتى ليلة دخلتها ذهب وأخبر أمه بما حدث ..

وإذا علمت أمه سيعلم ابن زيدون الذى لن
يرضى بذلك .. فهو لا همّ له سوى حفلاته



الماجنة .. هكذا ظل

هذا الأمر سراً وتكرر مراراً .. تتسلل حورية
فى الليل وتوزع ما تيسر من خيرات قصر ابن
زيدون على الفقراء والمساكين ومعها رمانة
وبعض الجاريات المخلصات ، ثم تعود محملة
بدعوات البسطاء .. جعلها ذلك قليلة الغضب ..
وإن كانت لاتزال غير قادرة على السيطرة على
غضبها فى بعض الأحيان .. كذلك لم تعد صورة
وجه محمود تؤرقها إلا قليلاً .. تغيرت معاملتها
لأحمد، صارت معه أكثر رقة وعذوبة .. فى
أحد المرات عاد أحمد خائر القوى شاحب الوجه
، ولما دخل على عبلة قالت - ماذا بك يا
أحمد .. تبدو شاحباً
رد عليها بصوت مجهود

- أحوال البلاد تسوء .. وأحاول تدبير أمر القافلة
التي أود جلبها من بلاد الصين ، حتى تنتعش
تجارتى .. بل أحتاج لقافلتين
تفاجأ أحمد بعبلة تمد يدها تمسح على وجهه
بحنان وتخلع عنه عمامته قائلة

- لا تشغل بالك .. ما فى القصر من خيرات
يكفيننا لشهورٍ طويلةٍ إذا
بترت عبارتها ثم واصلت
- إذا توقف أبوك عن البذخ والإسراف فى تلك
الحفلات التى لا يكف عنها
قاطعها أحمد

- لقد يئست منه يا عبلة .. لا يشغل بالى ما
يحتاجه القصر فلدينا كما تقولين الكثير ..
ولكن ما يؤرقنى القروض التى علينا لبيت
المال .. لا أريد أن أتعثر فى سدادها .. فهذه
أموال الناس والعباد .. ولن يبارك لنا الله إذا
أهملنا دفعها كما يفعل أغلب التجار
- أنت رجلٌ يخشى الله يا أحمد .. فسيبارك لك
الله فى تجارتك

هكذا قالت عبلة بصوت ناعم جعل أحمد ينسى
هموم تجارته ويحرق في وجهها القمحي بحنان
وسمعها تواصل كلماتها

- مارأيك يا أحمد أن نخرج مما يفيض عن
حاجتنا هنا في القصر صدقات للفقراء
والمساكين

- أنا أفعل ذلك دائماً .. أخرج الصدقات من
مالي

- وأنا أذهب بـ..

قطعت عبلة جملتها ليسألها أحمد

- أين تذهبين ؟

لم ترد عبلة وجذبت أحمد من زراعته وإتجهت
به إلى الحمام .. أجلس أحمد في الماء بعد أن



.. أمسكت

خلعت عنه ملابسه

بقطعة الكتان تبللها وتذلك بها جسد زوجها الذى
قال

- أول مرة أراكِ هكذا يا عبلة .. الآن فقط
أشعر أنك زوجتى
ردت عبلة

- وهل لم أكن قبل الآن زوجتك
- كنت أشعر حقاً أنكِ لا تحبيننى
ردت عبلة بأهة ألم ، فبطن عبلة الكبيرة بحملها
إصطدمت بظهر أحمد ، فتحرك الجنين يركلها
فصاحت تتأوه .. وقالت
- ابنك يضربنى يا أحمد
ضحك أحمد وقال

- عندما يأتى سأعاقبه على ذلك
تبادلت عبلة مع أحمد الضحكات ثم ألبسته وعادا
إلى غرفتهما .. دلكت عبلة ظهر زوجها المهموم
بسبب أحوال تجارته ، حتى إسترخى ونام .

مرت الأيام على هذا المنوال .. عبلة توزع من
خيرات القصر على الفقراء .. غمرتها السعادة
بذلك .. صارت علاقتها بأحمد أفضل .. ولكن
لابد أن تكون هناك لكن .. بدأت أم أحمد تدرك

أن حجم مايرد إلى القصر من الأطعمة والفواكة
والغلال والتمر واللحوم لا يتفق مع ما يتم
إستهلاكه .. كانت تعتقد فى البداية أن هناك من
يسرق القصر ، رغم أنه لا يوجد عبد ولا جارية
جديدة يمكن أن تفعل ذلك .. نثرت الجاريات
الموالية لها تتفحص وتستكشف الأمر .. وجاءها
الخبر ، عبلة تخرج فى الليل بصحبة جارياتها
ومعهن أجولة كبيرة بها من خيرات القصر ما لذ
وطاب .. وحتماً تسرقه إلى أهلها وأقاربها
الفقراء .

فى أحد الليالى تتسلل عبلة ومعها جارياتها
محملين بالأجولة ، وإذا بصوتٍ من خلفها
يصيح

- أكون هذا جزائنا يا سارقة يا لصة ؟
إستدارت عبلة لتجد أم أحمد واقفة وقد إنتفخ
وجهها واضعة يديها فى وسطها وتابعت
- أتسرقينا يا بائعة اللبن من أجل أهلك
وأقاربك الفقراء ؟

تملك الغضب من عبلة ووضعت يدها فى
وسطها وصاحت ترد

- أنا لست سارقة يا امرأة الزنديق الماجن ..
ولولا زوجى الذى يكد ويعمل من أجلكم ،
لما وجدتم درهماً واحداً
- زوجك هذا هو ابنى الذى جاء بك من الطين
إلى القصر يا بنت السوق
لم تدرى عبلة حيث ملكها الغضب وهى تتجه
لتصير وجهاً لوجه أم أحمد صائحة
- بنت السوق هذه هى التى كان ابنك يتوسل
إليها وكاد يقبل قدميها لتقبل به .. ثم إننى لا
أسرق شيئاً لأهلى إنها أموال الفقراء أردها
إليهم مما يفيض من حفلات زوجك مع
جارياته الماجنة .. والآن أدركت أن معه
حق ، فمن يتزوج بمثلك لابد أن يكون
للجاريات أسيراً
ما إن سمعت أم أحمد ذلك حتى هوت بصفعة
عنيفة على وجه عبلة التى ردت لها الصفعة
بواحدةٍ أقوى .. فى الوقت التى بدأت صرخات
الجاريات تشق هواء القصر وتتردد بعنف ..
هرع من فى القصر تجاه الصرخات .. وكان من
بينهم ابن زيدون وابنه أحمد الذى وصل فى
اللحظة التى كانت عبلة ممسكة بشعر أمه تشده

بعنف وتهوى على خدها بالصفعاتِ تباعاً .. لم
تفلح محاولات ابن زيدون وأحمد فى تخليص
أمه من براثن عبلة التى أسقطتها أرضاً
تجرجرها من شعرها .. وبمساعدة الخدم تم فض
الإشتباك.

قال أحمد متلعثماً مرتعشاً

- ماذا حدث ؟

وجد أمه تحقق وقد تشوه وجهها بآثار أظافر
عبلة وقالت تبتلع ريقها لاهثة

- طلقها

يحاول أحمد ابتلاع ريقه مرتعشاً يهم ليقول شئ
.. لكن صرخة من أمه دوت فى المكان

- قلت لك طلقها

ورغم حب أحمد لعبلة ، إلا أن سيطرة أمه عليه
كانت أقوى ، فوجد نفسه يمتثل لأمرها وتمتم

بصوتٍ خفيض

- أنتِ طالق يا عبلة

تشعر من نبرة صوته وكأنه يقول لها (أنا أحبك
يا عبلة) .. لم تندesh عبلة كثيراً .. فهى تعلم

مدى سيطرة أمه عليه .. لكنها إندهشت حين
سمعت أم أحمد تصيح فيمن حولها
- إفرشوها على الأرض

هرع الخدم والحراس الأشداء وحتى الجوارى
يتكالبون على عبلة ليطرحوها أرضاً على
ظهرها .. يحكمون تثبيت يديها ورجليها ، بينما
هى تحاول المقاومة دون جدوى .. شعرت بألم
رهيب فى رحمها كان مبعثه ركلات أم أحمد
القوية على بطنها تسعى لإجهاضها .. وقفت أم
أحمد بثقل جسدها الثمين فوق بطن عبلة التى
كادت تزهرق روحها .. حتى رمانة والجاريات
المواليه لعبلة إشتراك فى المعمة لإرضاء سيدة
القصر أم أحمد تمهيداً لتبرئة ذمتهم بعد ذلك
بأنهن كانوا يلبيين أوامر عبلة مقهورين .. بالفعل
نجحت أم أحمد فى مأربها وبدأ الدم ينسال من
أسفل عبلة تحت الركلات العنيفة .. إنهمرت
الدموع من عينيي أحمد الذى أسرع يمسك بأمه
ليوقفها عما تفعل بعبلة .. لكن أمه دفعته
بزراعتها بقوة فاختل توازنه وسقط أرضاً ، فى
الوقت الذى جلست أم أحمد على ركبتها ،
وواصلت بقبضة يدها ضرب بطن عبلة التى

فقدت الوعي من فرط الألم .. بينما لم تتوقف أم
أحمد إلا بعدما رأت الكتل الدموية تنهمر ،
وقامت وصاحت فيما حولها
- إلقوا بها خارج القصر
أحمد يبكي وابن زيدون يبتسم سعيداً .. وتم إلقاء
عبلة غارقة فى دمائها خارج القصر .

مرت ساعة لتفريق على يد رمانة التى أسندتها
حتى أوصلتها لدار أبويها والدم المتكتل يتقاطر
منها .. إستقبلتها أمها بالصويت بينما أبوها
يحملها داخلاً .. فى الوقت الذى كانت رمانة
تعدو عائدة إلى القصر .

فى الصباح بداخل ديوان القضاء .. إحتشد عدد^{٢٨}
ليس بالكثير من الناس إلى جانب بعض
المعارضين .. حيث لم يحضر منهم الكثير ..
الناس بدأوا يصدقون ، أن القاتل هو الأهطل بن
بهلول ، فمن بعد القبض عليه لم تكن هناك جثة

ولا جلد مسلوخ .. وبعد الجدل والنقاش
والهمهمات .. كاد القاضى أن ينطق بالحكم على
ابن بهلول ليصير نزيل الزنانات .. لولا صوت
بعيد من آخر الجنبات يصيح

- وإذا حكمتم بين الناس فلتحكموا بالعدل
توجهت الأنظار تجاه صاحب الصوت الذى كان
المأمون بن عبدالله الرشيد .. يدلف بخطى ثابتة
متئدة .. وإلى قامته الطويلة ووجهه الوقور كانت
أنظار الناس من حوله منجذبة .. سرت الهمهمات
متواترة .. وتابع المأمون

- إياكم ودعوة المظلوم ، فإنها لا تُرد .. هكذا
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فما بالكم
وإذا كان هذا المظلوم فاقد الإدراك والأهلية
صاح قائد الشرطة الحسيب بن العادل فرعاً
ترتعش فرائصه

- ما هو بمظلوم .. لقد إعترف بجرائمه
رد المأمون مبتسماً حانياً

- نعم أعلم ذلك يا قائد الشرطة .. فقد إعترف
الأهطل بن بهلول أنه قتل أربعة نساء وسلخ
جلودهن .. كان يتعقبهم فى الطرقات
ويطعنهن بالخنجر فى قلوبهن كمحترفٍ

للقتل .. ويحملهن كل هذه المسافة الطويلة
مشياً حتى طرف المدينة .. يلقي بالجثة
ويسلخ الجلد كجزارٍ ماهر .. ويدفنه تاركاً
الجثة

صاح يوسف ابن قائد الشرطة

- من أنت أيها الرجل ؟

واصل المأمون وكأنه لم يسمع يوسف الذى إكفر
وجهه من هذا التجاهل

- كيف حمل ابن بهلول جثة الجارية وردة تلك

السمينة التى يعجز أولى القوة عن حملها

لخطوات .. بينما الأهطل سار بها إلى طرف

المدينة على حدود الصحراء

قالها المأمون موجههاً كلامه إلى القاضى .. ثم

إستل خنجره وإتجه ناحية ابن بهلول ومد يده

بالخنجر قائلاً

- إقطع هذه

قالها مشيراً إلى طرف كم ثوبه الأنيق .. عجز

الأهطل عن الإمساك بالخنجر حتى .. وبعد

محاولة أخرى نجح فى الإمساك به ضاحكاً

سعيداً بهذا الشئ الجديد .. ظل ابن بهلول يحرك

الخنجر فى حركاتٍ عشوائية على كم ثوب

المأمون دون أن يتمكن حتى من صنع ثقباً
صغيراً فيه .. بينما ضحكاته البلهاء المتناثرة
جعلت الحاضرين يضحكون عليه .. وقال
المأمون مبتسماً

- نعم أيها القاضي العادل .. هذا هو القاتل
السفاح الذى سلخ أربعة نساء .. لعن الله أمة
ضاع الحق بينهم
قالها المأمون بصوت أسر قلوب المحيطين ، قبل
أن ينطق القاضي

- ولماذا توقف القاتل الحقيقى عن القتل ؟
- لأنه يسخر منا .. يشاهدنا ساخراً منا .. إنه
يقتل ليسخر من بلادنا

قالها المأمون وهو يومئ برأسه محيياً قبل أن
يمسك بطرف عبائته ويلفها حول جزعه
منصرفاً .. بينما الهالة التى صنعها فى المكان
قد سلبت لب وقلوب من حضر فى الزمان .

خرج محمود مسرعاً يلحق بالمأمون وأدركه



وسمعه

وهو يمتطي جواده
يقول

- أهلاً يا محمود

- أنت أفضل من في هذه البلاد

- ما أنا إلا عبدٌ فقيرٌ إلى الله يا محمود .. لا

أرضى بالظلم أمام عيني .. سأمكت في

وطني قليلاً ثم أواصل رحلاتي

قالها وهي يلرز حصانه بقدميه فينطلق مغادراً

.. كان المأمون رجلاً صالحاً .. له شخصية

عميقة تكونت من رحلاته حول الأرض منذ

صغره .. أدرك أموراً لم يدركها أقرانه .. رغم

عمره الذي مضى حتى بلغ الأربعين بلا وطن ..

إلا أنه دوماً يفكر في بلاده ، ويتمنى لو استطاع

العيش فيه .. لكن حبه للترحال يغلب على أى
شئٍ آخر.

الله أكبر .. الله أكبر .. كانت هذه تكبيرات
الحاضرين بعد أن نطق القاضى ببرائة الأهلل



بن بهلول .. وخرج قائد
الشرطة يكابد ابتلاع ريقه .. يرفع يديه تجاه
رقبته بين الفينة والأخرى بحركة غريزية ..
ومن ورائه ابنه يوسف يحثان الخطا تجاه ديوان
الشرطة التى ما كادا يدخلاها ، حتى كان
الإستدعاء السلطانى بانتظار قائد الشرطة .

بداخل بهو القصر السلطانى الفسيح .. كان
السلطان المبروك الثمانينى كعادته لا يدرك ما
حوله جيداً .. وشفته السفلى متدلّية .. بينما من

بين يديه يجلس ابنه وريث البلاد إلى جوار أحمد
بن العز صديقه ومساعدته الأول فى إدارة ديوان
التفويض .. ذلك الديوان المفوض بلا تفويض
بحكم البلاد والتحكم فى أمور العباد .. وإلى
أمامهما كان قائد الشرطة وابنه جالسين مهطعين
.. قال جلال ولى العهد

- ما رأيك فيما حدث فى ديوان القضاء يا قائد
الشرطة

- لقد قبضنا على ابن بهلول .. بعدما أبلغنا
الناس أنه يسير وراء النساء فى الطرقات
قاطعه جلال محتداً

- وما الغريب فى أن يسير العبيط خلف النساء
فى الطريق

- لقد اعترف يا مولاي الأمير بأنه القات
صاح جلال متابعاً

- أنت لم تدع لى خياراً سوى الأمر بقطع
رقبته .. كما قلت لك سالفاً

شهق الوزير حسيب .. وأحاط عنقه بيديه بحركة
غريزية .. ورأى السيف ماثلاً أمام مخيلته ..
إلا أنه سمع جلال يواصل

- لكن سأكتفى بعزلك من منصبك

صمت ثم تدارك

- لقد عزلك السلطان من منصبك .. وألا تغادر

دارك طيل ما بقى لك من العمر

رد الوزير حسيب متلعثماً

- أمد الله عمر السلطان المبروك .. وأبقاه يعفو

عن المخطئين

قالها الوزير وهو يرفع كفيه على رأسه شاكراً

العفو عن رقبتة

فى الوقت الذى أفاق فيه السلطان الثمانينى

عندما سمع اسمه ، ومنّ الله عليه ليقول

- كيف حالك يا قائد الشرطة .. متى جئت ؟

- تحت طوعك يا مولاي السلطان

إتجه جلال ناحية قائد الشرطة ثم إستدار ناظراً

إلى ابنه يوسف وقال

- وقد عين السلطان ابنك يوسف بدلاً منك ..

قائداً للشرطة

هدأت دقات الوزير حسيب ، بينما إرتسمت على

وجه يوسف إبتسامة .. وتابع وريث العرش

- لا تجعل ظنى يجيب فيك يا يوسف

- سأبذل قصارى جهدى لحماية أمن البلاد يا

مولاي .. أعدك لآتينك بالقاتل خلال أيام

أشار إليهما ولى العهد بالإنصراف
- سنرى يا يوسف

خلا جلال بصديقه ابن العز بعدما ذهب السلطان
ينعم بالقيلولة .. رغم أن أوقاته قد صارت كلها
قيلولة .. بادر ابن العز قائلاً

- هكذا تسير الامور على ما يرام .. ينقصنا
القبض على قاتل النساء .. وساعتها ستكون
لنا الغلبة داخل الديوان .. وكفى على شيوخنا
ما بذلوه من تضحياتٍ للبلاد
- معك حق يا أحمد .. أشعر أن ديوان
التفويض قد ترهل وشاخ .. ولا بد من إعادته
لعصر الشباب

كان ولى العهد قد وجد أبوه السلطان قد شاخ ..
واقترب هو من الجلوس على العرش يحكم
البلاد .. لكن ما كان يقلقه هو حاشية أبيه التى
شاخت مثله ، هم المتحكمين فى ديوان التفويض
يديرون البلاد .. كان يطلق عليهم الحرس القديم
.. لذا بدأ بمساعدة أبيه فى الإطاحة بهم واحداً
وراء الآخر .. وعلى رأسهم الأكمل بن الشاذلى

.. ذلك الرجل الضخم الذى كان على رأس
مسيطرى ديوان التفويض .. الذى يتذكره العباد
بواقعةٍ شهيرة .. فى القلعة الأثرية فى البلاد ،
والتي لا يقربها أحد من عامة العباد .. لحفل
خطبة ابنه أقام .. ولما لا ؟ .. وهو واحدٌ من
مالكى هذه البلاد .. يفعل فيها ما يشاء .. وحين
تندر عليه جمعٌ من المعارضين فى البلاد ..
على رأسهم أمجد بن المِهْنَى كان .. خرج ابن
الشاذلى يقول .. لقد أخذنا الإذن بالتمام .. فأرسل
مجهولاً يطلب الإذن بالقلعة لحفل ختان ابنه
هناك .. فصار أضحوكة البلاد .. مرت الأيام
وصار جلال هو المسيطر والمتحكم فى ديوان
التفويض صاحب البلاد .. ومن حوله حاشيته
الشابة يعدهم لحكم البلاد .. هكذا كان مبدأه حين
استبدل قائد الشرطة حسيب بن العادل بابنه
ووريثه يوسف .. الذى حتماً سيكون أكثر إذعانا
وإمتثالاً له .

هكذا إختفى حسيب بن العادل من على مسرح
الأحداث .. بينما هرع يوسف على حصانه
سعيداً قبل أن يُعلن الخبر .. يخبر من أراد وقد
إنتصف النهار.

كانت حورية جالسة تخط بعض الأشعار .. حين
دلفت إلى غرفتها الجارية مسعودة بالإخطار
- مولاتى يوسف بن حسيب العادل .. ينتظرك
فى حديقة القصر فى الوراق

فزعت حورية متعجبة
- وكيف استطاع أن يدخل إلى الحديقة ..
إجلى الحرس يطردونه
قالتها حورية وقد إندفع الدم إلى رأسها ..
وسمعت الجارية مسعودة

- مولاتى .. لقد أبلغنى أن أقول لك .. إنه لو لم
يراك .. سيأتى ليقابل والدك فى المساء
شعرت حورية فى هذه اللحظة أنها لا تحيا فى
قصرها .. الجارية تنقل إليها تهديداً صريحاً
من يوسف .. كادت تصيح فى وجه الجارية
تطلب الحراس ، إلا أنها شردت تتخيل أن
يوسف علم أنها ذهبت إلى محمود فى داره .. قد
يكون أحد رجاله يتعقبها ورآها مع محمود تحت
المطر .. أفزعها ذلك خاطر ، فإذا علم أبوها
سيكون الأمر عسير .. حتماً لن ترى ما خارج
القصر بعدها أبداً ولو يسير..أفاقت من شرودها

فلم تجد مسعودة أمامها .. وسط دقات قلبها
المتزايدة كانت تنزل السلالم بسرعة حتى لا
يرأها أحد .. ومن باب الخدم تمكنت من
الوصول إلى حديقة القصر الخلفية .. وهناك
رأت يوسف جالسا تحت شجرة بركن من
الأركان .. هب واقفاً حين رآها ، ورسم على
وجهه الجامد ابتسامة عريضة جعلت وجهه
أشبه بتمثال وقال فارداً زراعيه وحورية تقترب
- حبيبتى .. لقد أوحشتينى
- حبيبتك ؟

قالتها حورية مقطبة حاجباها فى غضب
وسمعه

- أنا أحبك يا حورية
- وأنا لا أحب أحد
- لماذا أنتِ قاسيةٌ علىَّ هكذا ؟
قالها وهو يمد يده ويمسك بزراع حورية التى
شدت زراعها صائحة
- ماذا تريد منى ؟
- أنا أريدك يا حورية
قاطعته حورية وهى تحقق فى وجهه
باشمئزاز

- تريدنى وهل ترانى جارية و
قطع كلامه قائلاً بسعادة

- لقد صرت منذ قليل قائداً للشرطة فى البلاد
.. دعينا نحتفل بهذه المناسبة .. سامر عليكِ
منتصف الليل نذهب للصحراء نستشق هواء
الليل فى العراء

كانت حورية مذهولة من هذه الجرأة التى يتحدث
بها .. وبدون أن تتطرق بشئ إستدارت توليه
ظهرها تنصرف .. تبعها يوسف وبعد خطوتين
أمسك بها وقال

- ما شأنك أيتها الفتاة ؟

- إذهب من أمامى وإلا ناديت الحراس

وأرسلت أطلب والدى يعود الآن

ضحك يوسف ساخراً من كلماتها وقال

- أنا كتمت سرك يوم كنت فى السوق

أدركت عبلة أن يوسف لا يعلم بأمر ذهابها إلى
محمود فى داره .. وإلا لهددها بذلك .. فتجرات
صائحة فى وجهه

- سأخبر أنا والدى بأنى خرجت دون إذنه

للسوق .. وأقسم لأجعله يختصمك عند

السلطان نفسه

شعر يوسف من لهجتها الصارمة أنه قد يصير
فى مازق لذا بادر قائلاً بهدوء
- ولماذا يختصمنى أبوكِ الأمير ؟ .. وأنا
قصدى فيكِ نبيل .. سأطلبك للزواج من
أبيك

قالها متوقعا أن تهدأ حورية .. ولم تكن كلمة
الزواج التى خرجت من فم يوسف سوى رد فعل
لصياد تنازعه الفريسة ولا يقدر على الإمساك
بها .. فهو يريد حورية بأى شكل حتى ولو كان
الزواج .. إلا أنه وجد غضبها قد تضاعف
وصاحت

- لن أتزوج بك
صمتت ثم أردفت
- فأنا لا أريد الزواج بك أو بغيرك
- أتودين أن تصيرى عانسا
لم يكد يكمل جملته حتى وجدها تهرع من
أمامه .. جرى ورائها وأمسك بزراعها ،
فسحبته بقوة متألمة من قبضته وسمعته
- سأنتظر أيام حتى أتمكن من القبض على
القاتل .. ثم أطلبك من أبيك وسأقدم رأس
القاتل مهرا لك

قال جملته الأخيرة وعينيه تلمع ببريق مخيف
أثناء قبضه لكف يده فى الهواء .. لم تفهم حورية
أن يوسف يرمى إلى شئٍ ما .. وبالفعل كان
هناك قاتلاً فى رأس يوسف .. ترك يوسف
حورية تتصرف من أمامه دون أن يمسك بها ..
شارداً مفكراً أن هناك من فى حياتها .. ترى
أىكون هو بائع الجلود .. لم تصل له أخبار تفيد
أنها خرجت وقابلته بعد موضوع السوق .. حتماً
هناك خفاءٌ فى الأمور .. أفاق من شروده على
الجارية مسعودة أمامه



تقول

- سيدى .. هل تريد شيئاً آخر
فهم يوسف ما تقصد مسعودة .. تلك الجارية
الجاسوسة التى تنقل أخبار حورية إلى الحراس
الموالين ليوسف يخبروه ، وبالطبع مقابل

الدنانير .. أخرج يوسف من سترته الجلدية صرة
من الدنانير ، رفعها بيده يقذفها ويلتقطها بكفه
أمام وجهها .. وفى آخر قذفة ترك الصرة لتسقط
على الأرض بينه وبين الجارية مسعودة .. التى
مالت على الأرض تتناول الصرة .. ثم شهقت
فزعاً إثر يد يوسف تجذبها من شعرها تحت
قدمية راکعة ويقول بهدوء

- يبدو أنكِ لا تقومين بعملك جيداً يا مسعودة
- كل ما تفعله الأميرة أخبر به الحراس
يخبرونك

- متى آخر مرة خرجت فيه الأميرة من
القصر ؟

- حين ذهبت للسوق عند بائع الجلود .. لم
أرها خرجت بعد ذلك
- لم ترينها خرجت

قالها مردداً جملة مسعودة بسخرية ثم تابع وهو
يجذبها أكثر من شعرها الذى بدأ بعض الشعر
يُنزع فى يده ومسعودة على ركبتيها أمامه
- معنى ذلك أنكِ أيضاً لم ترينها لم تخرج
- هى دوماً تجلس مع مربيتها أم إبراهيم ولا
تغادر القصر

- ولماذا لا تعلمى من أم إبراهيم بأسرارها
- لو قطعت جسد أم إبراهيم لن تخبرك بسر
يخص الأميرة
- أحكمى رقابتك لها .. فيبدو أن الأميرة تفعل
ما لا أعرفه
أومأت مسعودة برأسها فى الوقت الذى ترك
يوسف شعرها يفلت من قبضته .. ومدت
مسعودة يدها بصرة الدنانير تعيدها لسيدها
الغاضب منها فسمعتة يقول
- هذا لك .. وسأعطيك المزيد إذا علمت منك
ما أريد
إبتلعت مسعودة ريقها وشرعت تقوم من على
الأرض لاهثة وإنصرفت من أمامه قابضة بيدها
على صرة الدنانير .

- ١١ -

عادت حورية إلى غرفتها وما كادت تدخلها ،
حتى أغلقت الباب خلفها وكأن أحد يطاردها ..
قررت تخبر والدها بالأمر .. فلن يغضب كثيراً
من ذهابها دون إذن للسوق عند الصعاليق كما
يسميهم وسيمنع عنها مطاردة يوسف بن حسيب

.. لكنها تراجعَت تبتلع ريقها ، أنه حتماً سيُطرد
أم إبراهيم ويبيعها ، ويأتى بمربيةٍ أخرى تكون
له جاسوسة عليها .. لا تدرى ماذا تفعل ..
إتجهت إلى الشباك تنظر فى الحديقة تتأكد أن
ذلك الكابوس المدعو يوسف قد إنصرف



.. وبالفعل وجدت

الحديقة الخلفية خالية .. ذهبت إلى غرفة أم
إبراهيم وسألتها

- هل تلك الجارية التى أرسلتها إلى محمود
برسالة من قبل موثوقٌ بها
- نعم يا ابنتى .. فقدت ولدتها أمها على يدى ..
وأنا التى ربيتها .. لماذا تسألين ؟
- أريدك أن ترسلها إلى محمود برسالة
قاطعتها أم إبراهيم صائحة

- كفاك يا حورية خروج فى الليل .. لقد جاء
الخبر أن ابن بهلول لم يكن القاتل .. ولا
يزال جنود الشرطة يبحثون عن القاتل .. أنا
أخشى عليكِ
تذكرت حورية أن يوسف صار قائداً للشرطة
كما أخبرها .. وحتماً سينتشر الجنود فى
الدروب والطرقات بعد برائة الأهطل .. لكنها
رغم المخاطرة قررت
- لا تخشى يا أم إبراهيم
قالتها وعادت لغرفتها .. خطت الرسالة بمدادها
.. وقبل أن تلفها ، أشفقت على محمود من طول
الطريق للبئر الناضبة .. فذيلت الرسالة بـ ()
إنتظرنى عند نهاية طريق المدينة) .

محمود فى غرفة داره بين جلوده واقفاً .. يكحت
الوبر ويزيل الشعر من على الجلد بسكينه ممسكا
.. يتذكر ما حدث اليوم حين كان مع أحد
الأعيان مشاجراً .. يفصل على ثمن قطعة جلد

باخساً .. رفض محمود أن يبيعه الجلد إلا بما
يستحقه من ثمن .. سب الرجل ولعن .. ولما لم
يجد مثلها عند الآخرين .. عاد إليها وبالثمن الذى
حدده محمود كان الشارى دافعاً .. إبتسم محمود
متنهداً .. لكلمات المأمون متذكراً .. فعلاً
العيب ليس فى الحكام وحدهم .. وإنما على
العباد أن يصلحوا أحوالهم .. ماذا لو اجتمع
الفقراء على كلمةٍ واحدةٍ ضد الإغنياء ..
إرتسمت صورة وجه المأمون أمام ناظرى
محمود .. ردد بينه وبين نفسه (آه لو صار القوم
المتشدين بالكلام مثله .. لإنصلح حتماً حال
البلاد) .. حين جالت كلمة الأغنياء بخاطر
محمود تذكر أحمد وما حدث بينهما من شجار ..
وجد كلماته تقفز إلى ذهنه ، (يا بائع الجلود
عاشق الأميرة .. أتظن أنها تحبك ؟ .. إنها تلهو
بك .. أنت واهم) .. ظلت جملة (أتظن أنها تحبك
؟ .. إنها تلهو بك .. أنت واهم) تتردد فى أذنيه
بصدى كبير ، جعل ذلك قلبه ينبض بعنف ..
إنتفخ وجهه وردد بينه وبين نفسه (أحمد معه
حق .. ما أنا إلا دُمية تلهو بها الأميرة .. تتسلى
بى حتى تبدد الملل من حياتها) .. تنهد وقد بدأت

الدموع تترقرق فى عينيه .. أحس بدفع ظهرها
حين كان خلفها فوق الحصان تحت المطر ..
إنسالت من عينيه دمعة حين تذكر ذلك المشهد ..
مد ظهر يده يمسحها ، إلا أنه وجد دمعة ثانية
تنسال من عينه الأخرى .. فمد ظهر يده الأخرى
الممسكة بالسكين يمسح الدمعة .. كادت السكين
تقطع جلد وجهه .. إنهمرت الدموع وبكى ..
إزدرد ريقه بينما حلقه يكاد يقفز خارجاً من
فرط مكابذته للبكاء .. لم يدري بنفسه وهو ينهال
على جلوده تقطيعاً وكحتاً وكشطاً .. أفاق
ليدرك أنه أنجز الكثير من العمل .. لقد تفجرت
طاقة غضبه فى عمله .. جلس على الأرض
مستنداً بظهره إلى الحائط يلهث .. وجد صورة
وجهها ترتسم باهتة أمام عينيه .. ردد فى
سريره (يبدو أن الأميرة لا تشعر بالملل هذه
الأيام .. وحين تشعر بذلك ستأتى لتتسلى قليلاً
بالصعلوق الدمية حتى تبدد مللها) .. إرتسمت
على وجهه ابتسامة ساخرة .. أفاق من شروده
على صوت طرقات على الباب .. ذهب وفتح
فوجد جارية ملثمة .. خفق قلبه وهوى منتظراً
أن تكشف حورية اللثام عن وجهها .. إلا أنه

وجدها تمد يدها بلفافة ووردةٍ متفتحة .. إبتسم



لها ساخرًا

..تناولها هو بينما إختفت الجارية من أمامه ..
دلف عائداً .. دس بالوردة فى طيات ملابسه..
وفتح اللفافة متلهفاً .. وقرأ ما بها .. إبتسم ثم
ضحك بسخرية وشرع يمزق اللفافة .. لم تتمزق
لأنها من الرق المصنوع من الجلد المرن ..
أسرع يحضر سكينه ومزق اللفافة إرباً .. إتخذ
قراره ، لن يصير دمية تتسلى بها الأميرة بعد
اليوم .

قبل منتصف الليل حسب الموعد .. كان محمود
منتظراً عند نهاية طريق المدينة الرئيسى
المؤدى إلى الصحراء .. إتسعت عيناه يرقب ما
حوله ويرهص السمع وسط الظلام عدا بعض
ضوء القمر الناقص .. سمع وقع خطوات جوادٍ
يقترّب ، نظر تجاه الصوت محدقاً .. رأى

الجندي المثلث على الجواد قادماً .. أدرك أنها
هى ، لكن دقائق قلبه تتسارع مترقباً .. وصلت
إليه وسمع صوتها من خلف اللثام
- هيا يا محمود

فى هذه اللحظة تعتمل به الهواجس والظنون ،
وما يعلم ركوب الخيل من فنون .. فشل فى
إمتطاء الحصان خلفها متوتراً .. سمعا وقع
خطوات حصانٍ يقترب منهما .. صاحت
حورية

- أسرع يا محمود

فشل محمود بسبب إزدياد توتره كلما علا صوت
وقع خطوات الحصان المقتربة .. فما كان من
حورية سوى أن نزلت .. وأسندت محمود
ممسكة بوسطة فنجح فى إمتطاء الحصان ..
باتت حورية خلفه على الحصان بقفزة رشيقة
متمرسه من أميرة ، كانت لعشق الفروسية من
صغرها أسيرة .. شدت اللجام بقوة لأكزة بطن
الحصان بقدميها .. فإنطلق الجواد يعدو ..
وإنبعث الصهيل يدوى ، بينما محمود من أمامها
على الحصان متشبثاً .. إنحرفت إلى أحد
الدروب الضيقة التى ما كاد ذيل حصانها يختفى

فيه .. حتى وصل أحد الحراس على حصانه
حيث كانا يقفان وصاح الجندي
- من هناك ؟

أسرعت حورية وأسرعت ثم إنحرفت إلى
طريق آخر ووصلت منه إلى بداية الصحراء ..
صار الحصان يعدو بقدميه تغوص في الرمال
بسرعةٍ مذهلة جعلت قلب محمود ينبض خائفاً



.. وأخيراً وصلا حيث
البئر الناضبة .. نزلت حورية وتبعها محمود
مرتعشاً وسمعها تقول ضاحكة
- لقد كدنا نسقط في يد الجنود .. يا لها من
مغامرة

ردد محمود ساخراً

- مغامرة ؟

صمت يلتقط أنفاسه المتلاحقة وتابع

- أنتِ تبحثين عن مغامرات ألف ليلة وليلة
يلتقط الأنفاس ويواصل صائحاً وهو يقترب
منها بخطوات بطيئة
- الأميرة التى ملّت حياة العز والقصور ..
تريد أن تعيش المغامرات التى تقرأها ..
فوجدت صعلوقاً دمية تتسلى به .. ولما لا ؟
.. فهو صعلوق لا شأن له ولا كبيراء
حورية متجمدة مكانها تحقق فى وجهه الغاضب
المتعص و قالت بصوت مبجوح
- ما لك يا محمود .. أنا أفعل ما أحس به ..
فقط شعرت أنى أريد أن أراك وأتحدث
إلى ..

قاطعها محمود صائحاً
- فقط شعرتى بالملل فأردت أن تتسلى بدميتك
قليلاً .. هذا ما شعرت به .. هه
نطقها محمود بعلو صوته وهو يقترب أكثر حتى
صارت أنفاسه الملهبة تلفح وجهها وواصل
الصياح

- لم أكن سأحضر .. لكنى جئت لأبلغك ..
لماذا ؟ .. ألم يكفيكم أنكم سرقتم بلادنا منا

والقيتم بنا تحت أقدامكم تسحقون وجوهنا
بأحذيتكم الثمينة
صرخت حورية الدامعة المذهولة من كلماته



- أصمت أصمت .. أنت لا تفهمنى .. أنا ..
قاطعها محمود

- كفاكِ عني .. لا يمكن للأميرة أن تكون
صعلوقة .. ولا يمكن للصعلوق أن يصبح
أميراً .. لكن يمكن للأميرة أن تصنع من
صعلوقٍ دمية تلهو بها
فجأة تملك من حورية نوبة بكاء طفولى وقالت
متلعثمة وسط صوت بكائها
- أسكت .. أسك ..

قاطعها محمود الذى وصل إلى حالة فقد فيها
السيطرة على نفسه وصاح
- لا أريد أن أراك .. لا أريد أن أراك ..
كفاكِ عبثاً بى

لم يكتفى محمود بكلماته تلك .. وإنما كان يدفع
حوريه بيديه تجاه الحصان أثناء صرخاته ..
مردداً

- اذهبى عنى .. اذهبى عنى
لم يكن أمام حورية تحت دفعات يد محمود سوى
إمتطاء حصانها .. ودون أن تشد اللجام أو تلكز
الحصان .. إنطلق الجواد وحده مغادراً وكأنه
فهم ما يحدث أمامه ، فجرى بكامل طاقته ،
رهوان يسابق الزمن من خلفه



.. بينما محمود ألقى
بنفسه جالساً على الرمال مستنداً بظهره على
سور البئر .. شعر أن حلقه قد إنغلق .. والهواء
لا يدخل إلى رئتيه .. كابد يلتقط أنفاسه .. دخل
فى نوبة بكاء هستيرى .. توقع على نفسه دافسا

رأسه بين ركبتيه .. ثم بحركة سريعة رفع رأسه
يرنو إلى العفرة التي ي خلفها جواد حوريه ورائه
، والتي بدأت تتلاشى وسط ضوء القمر الخافت
.. فتح فمه ينادى

- حو..

شيء ما منعه .. كرر المحاولة وصوته يرتعش
والبكاء يزداد

- حور ..

فشل .. كانت رأسه تتحرك يمينا ويسارا
مضطربة كالممسوس .. وجد نفسه يهب واقفاً
ويعدو بكل ما أوتى من قوة .. لا يدرى هل يريد
اللاحق بها مثلاً وقد إختفت تماماً وإنتهى الأمر
.. يشعر أنه يريد أن يجرى ويجرى .. تتردد
جملتها في أذنيه (إفعل ما تود أن تفعله يا
محمود) .. هو يود أن يجرى ويجرى .. يركض
كحصان هائج .. برزت أوردته وشرابينه وبها
الدم يغلى ويفور .. منتصب القامة وقدماه
تغوص في الرمال يركض .. لم يشعر بنعله
الذى إنخلع مدفوناً في الرمال فصار حافياً ..
هم يصرخ منادياً عليها ، فمنع اللهاث صوته ..
قطع مسافة كبيرة .. يكاد قلبه يتوقف ، فلا

للنبضات العنيفة المتسارعة ملاحقاً .. خِيلَ إلى محمود أن حورية على حصانها أمامه ، بينما هي قد وصلت إلى طريق المدينة .. أسرع أكثر وأكثر يتوهم أنه يقترب منها .. فتح فمه وإستجمع قواه وسط لهاته العنيف وصرخ

- حور يyyyyyyyyyyyyyyyyyyية

سقط بعدها مغشياً عليه فوق رمال الصحراء.

ما كاد موضع البئر الناضبة يخلو من حورية
ومحمود ، حتى كانت عفرة فرصة نادية تقترب
.. وصلت ونزلت من على مهرتها وقد صار
الوقت قبيل الفجر .. خلف نقابها الأسود وعبائها
السوداء تتمشي حول البئر تفكر



.. فهذه أول مرة

تصل فيها قبل هارون المتأخر .. فكت نقابها
وتمددت فوق الرمال .. أغمضت عينيها تتنسم

هواء الصحراء ثم فتحتها ترنوا إلى القمر
الخافت .. إرتسمت على وجهها ابتسامة حين
أحست بحصانٍ يقترب .. لم تتحرك وظلت
ساكنة حتى أتاها الصوت
- لقد أفتقدتك يا نادية

هكذا قال هارون بينما نادية محدقة بعينيها
الزرقاء في السماء .. وهم أن يتابع كلماته ، إلا
أنه فزع إثر إنقضا زراعها على مؤخرة
عنقه تقبض عليه بكفها ، وجذبت رأسه بقوة
لتجعل إحدى أذنيه على فمها وهمست
- لماذا تأخرت ؟

إبتلع هارون ريقه بينما جحظت عيناه وقال
متلعثماً

- لقد خشيت أن يرانى أحد ممن فى القصر
خارجاً

واصلت نادية الممدة عارية همسها فى أذن
هارون

- يبدو أن جواريك قد أخذوك منى يا هارون
قالتها بنبرة غيرة ودلال جعلت هارون يبتسم
ويقول

- أنا لم أرى ما يضاهيك جمالاً يا نادى ..

قاطعته نادية قائلة بنبرة أمره

- حان وقت الخامسة يا هارون

بدت ملامح القلق والتوتر على وجه هارون
الذى قال بنبرة خائفة

- أنا لا أرى داعى لمواصلة ما نفعل .. ولا أعلم
كيف تملكين كل هذا المال الذى أعطيتنى إياه ..
وكذلك تدبيرك لأمر القافلة .. ما أنتِ بجارية
صمت هارون فى حين نادية ترنوا إلى السماء
ولم يبدوا على وجهها أنها تسمعه .. فتابع هارون
- يمكن أن أشتريك بأى ثمن من الوزير
بطريق .. وتصبحى معى فى قصرى
تدارك قائلاً

- أقصد قصرك

سحب شهيقاً سريعاً وواصل

- وسأعتق رقبتك .. فتكونى من الحرائر

- زاغت عيناه قليلاً وقال

- ولماذا لا نتزوج حينها

سمعها هارون تقول دون أن تدبر وجهها نحوه

- كان هناك رجلٌ مديون .. ليس معه شيئاً من

النقود .. صار ثرياً وعنده جوارى وقصور

.. أعتقد يا هارون أنه يمكن أن يعود مديوناً
يتسول القروض ؟



ما إن إنتهت من جملتها ، حتى أدرات رأسها
تجاهه ثم تابعت
- علينا أن نصنع العطر يا هارون .. إنه أروع
ما فى الوجود

أوماً هارون برأسه ساهماً فى تهديدها له ..
حاول هارون أن يتغلب على ذهنه الشارد
المضطرب .. قامت نادية تلف النقاب حول
وجهها تقول
- عليك أن تحضر إلى قصر الوزير بطريق
فى الغد بعد العشاء
قال هارون

- هل الخامسة جارية أو خادمة عند الوزير
بطريق ؟

لم يبدوا على نادية أنها سمعته وتابعت
- حين تصل إلى الباب الخلفى ستجد حارساً
.. قل له أنا من أخبروك به .. سيدعك تدخل
وبعدما تعبر الحديقة ستجدنى .. إشد
خنجر ك جيداً

قالتها وقد كانت إنتهت من لف نقابها .. تسائل
هارون

- وكيف سأسلخ الجلد
لم ترد نادية التى أصبحت على مهرتها وإنطلقت
تاركة هارون واقفاً.. إنتبه هارون الشارد لنفسه
وإستقل حصانه إلى قصره عائداً .

دخلت حورية إلى غرفتها متسللة بسرعة
بملابس الجنود .. حيث لم تكن فى حالة تسمح
لها بإستبدالها .. ألقت بالخوزة وفكت السيف ..
وإرتمت على السرير منهارة فى بكاء متواصل
.. لم تسمع أم إبراهيم التى رأتها عائدة وتتسائل

عن حالها .. مر الوقت ووجدت نفسها تهدأ
وتتوقف عن البكاء .. عادت كلمات محمود
تتردد على مسامعها .. بدأ عقلها المشلول يستعيد
الحياة .. فعلاً هي تتسلى بمحمود .. رأت عنده
ما بدد حزنها وكآبة حياتها .. معه حق .. لقد
شعرت معه أنها تحيا ما تقرأه من قصص
ومغامرات .. هذه الحقيقة .. هي الأميرة التي
إتخذت من الصلوق دمية تلهيها .. لكن قلبها
نبض بعنف وكأنه يقول لها شيئاً .. عاودت
التفكير .. لا .. إنها تحبه .. أم تحب مغامرتها
معه ؟ .. الصلوق والاميرة ، يا لها من قصةٍ
قديمة .. أغمضت عينيها ثم وجدت نفسها تفرع
واقفة وتلم شعرها .. نسيت إرتداء الخوزة
والسيف .. وهرعت عارية الرأس تعدو في
الفجر .. وعلى حصانها لم تكن تدري بما حولها
من أمر .. لم تسمع أم إبراهيم تسأل
- أين أنتِ ذاهبة ؟

إلى أين ؟ .. حقاً هي لا تدري .. لا تعي .. هناك
من يقودها .. بالفعل هناك شئٌ يقودها ..
إسمه .. الحب .



كان لكمية الأدرينالين المفرزة فى دم محمود
بسبب المجهود الهائل الذى بذله ذهنياً وجسدياً
، أثراً كبيراً فى أن يفيق من غيبوبته سريعاً ..
قام ليجد نفسه ممدداً على الرمال .. لا يدرى ما
الذى جاء به هنا .. ظل عقله يعمل متذكراً ما
الذى حدث ؟ .. تذكر أن حورية ركبت حصانها
وذهبت .. ومن بعدها لم يدرك شئ .. حافياً
بخطوات متعثرة تصتك أرجله ببعضها سائراً ..
وصل إلى داره بين اليقظة والنام .. وقد
صارت باطن قدميه مهترئة تنزف مما أصابها
من جروح من خُشاش الأرض .. ألقى بجسده
على الفرشة بين الصحو والأحلام .. بينما
صوت أمه يدوى
- أين كنت يا محمود ؟

عبلة راقدة على سريرها المهترئ فى دار أبويها
الفقراء .. وجهها مصفر شاحباً ، والهالات
السوداء تغطى عينيها .. أفاقت لتجد أحمد ممسكاً
بيدها وقد غطت الدموع وجهه .. بينما أبويها
يتابعان والوجوه مكفرة ، قالت أم عبلة صائحة
- النزيف لم يتوقف منذ ليلة أمس ..

سأشتكيكم عند القاضى

لم يرد أحمد وخرج من الدار مسرعاً .. ركب
حصانه وأسرع إلى إحدى ضواحي المدينة
يُحضر ابن رشاد أشهر من يمارس الطب فى
البلاد ، وقال أحمد محدقاً فى لهفة فى وجه ابن
الرشاد العجوز بلحيته البيضاء الكثّة
- زوجتى حامل وسقطت من أعلى .. ولا
تزال تنزف من الأمس .. هلا أسعفتها يا ابن
رشاد

رد ابن رشاد بهدوء

- إنتظر قليلاً

قالها ابن رشاد وهو يتجه إلى أدواته .. وصنع
خلط الرّشاد وهو مزيج من العسل مع الكمون
والمرّة والحلتيتة والحلبة والزعفران .. صب

المزيج فى قنينة فخارية ، ثم تناول بعضاً من
أعشاب المردقوش و الزعتر والكاموميل ..
كذلك أخذ زجاجة بها بعض زيت الزيتون مع
بعض حصى اللبان .. جمع ابن رشاد كل ذلك
فى حقيبة جلدية وقال

- هيا بنا يا بنى

حمل أحمد ابن رشاد النحيف ووضعهُ على
حصانه وركب هو خلفه وإنطلق حيث علة التى
دخلت فى غيبوبة .. تفحص ابن رشاد بطن علة
بكفه وضغط عليها بضع ضغطاتٍ ثم قال

- لقد راح حملها

قالها فى الوقت الذى كان يشلح فيه ثوبها .. طلب
من أم علة تنظيف ما بين فخذي ابنتها ، ففعلت
.. ثم أمرها أن تحضر شيئاً تضعه تحت

مؤخرتها ليصير نصفها السفلى عالياً .. بعد ذلك
شرع ابن رشاد فى إدخال عنق القنينة الفخارية
بمهبّل علة وصب فيه خلط الرشاد ، ثم قال وهو
ينهض من بين فخذيها موجهاً كلامه لأمها

- لا تجعلها تتحرك من وضعها ذلك قبل

حلول العشاء .. يجب أن يظل مزيج الدواء

فى فرجها ، ولا يسقط منها إلا بعد حلول
المساء حتى يتوقف النزيف
مد ابن رشاد يده لأم عبلة بقنينة وبعض
الأعشاب قائلًا

- إغلى هذه الأعشاب فى الماء ثم إمزجها
بزيت الزيتون هذا .. وإجعلها تشرب بعضا
منه فى الصباح ، وكثيراً منه فى المساء ..
سيجعل ذلك ألمها يزول
إنصرف الطبيب ابن رشاد .. وأوصله أحمد إلى
داره بعدما أجزل له العطاء .. عاد أحمد مسرعاً
وإلى جوار عبلة كان واقفاً .. فتحت عينيها ..
أدركت وجوده فأشاحت بوجهها عنه .. سمعته
يقول

- أنتِ لازلتِ زوجتى .. لقد رددتكِ إلى
عصمتى يا عبلة

تلعثم قليلاً ثم تابع

- ثم أن يمين الطلاق لن يقع .. لأننى كنت
مضطرب تحت وطأة غضب أمى

قالها أحمد وقد لمح ابتسامة شاحبة على وجه
عبلة ، وكذلك أمها تتغامز بفمها ، فأراد أن يبرر
موقفه وقال

- وبالوالدين إحساناً .. لقد كنت أهادنها لحظة غضبها

صمت برهة يبتلع ريقه مقطب الحاجبين
وواصل

- أنتِ صفعتها على وجهها كثيراً يا عبلة
وأسقطيها أرضاً .. بعدما ستهداً أمي ..
سأصلح الأمور

وجد أحمد عبلة الواهنة الراقدة ونصفها الأسفل
مرفوعاً على كومة من الهلاهيل الممزقة ، وقد
أشاحت بوجهها بعيداً لا تريد أن تراه .. فأتجه
ناحية أمها ومد يده بصرتين منتفختين من
الدنانير وقال

- هذا المال سيكفي حاجتكم لمدةٍ طويلة ..
إبتاعى لعبلة الكثير من الطعام والشراب
والفاكهة .. وإجعلها تأكل جيداً حتى
تستعويض ما فقدته من الدماء
أرادت عبلة أن تطالب أمها بعدم قبول المال ..
إلا أن حالتها لم تسمح بالنطق .. إنصرف أحمد
قائلاً

- سأحضر بعد العشاء أطمئن عليها

بعد العشاء ما كادت أم عبله تفتح الباب وتجد
أحمد أمامها حتى صاحت - عبله لا تريد أن
تراك .. إنتظر

أسرعت أم عبله تحضر المال تناوله لأحمد قائله
- تقول عبله لك .. لا نحتاج صدقه من أحد
ردد أحمد - صدقه ؟ .. إنها زوجتى
صاحت أم عبله فى وجهه

- زوجتك ؟ .. لقد طلقته وكادت أمك تقتلها ..
حين تقوم ابنتى من رقدتها سيكون لنا معكم
شأن آخر

يعلم أحمد أن أبوى عبله تركوا عملهم فى السوق
بعدما تزوج من عبله وينفقون مما يعطيهم هو
من مال .. فكما قال أبيه لا يصح أن يكون نسب
ابن الأعيان بائعى لبن فى السوق .. وقال
- لقد رددت عبله إلى عصمتى .. هى زوجتى
شرعاً .. وهذا المال ليس بصدقه
قاطعته أم عبله

- لم تعد زوجتك .. وخذ مالك وإنصرف
رد أحمد متلعثماً

- وحتى لو كان ذلك .. لها حقوق عندى .. ألم
يجعل لها الشرع نفقة عندى .. دعيني أراها
ودون أن يتلقى رداً إندفع داخلاً يزيح أم عبلة
التي تسد الباب من أمامه .. إلى جوار السرير
الراقدة عليه عبلة على جنبها متفوقة ، كان
أحمد واقفاً .. إنحنى تجاه رأسها يقول
- عبلة .. أنا أحبك .. أنتِ زوجتى .. لن يفرق

بيننا شئ

إستدارت عبلة برأسها تجاهه وقالت بصوتٍ
واهن

- وهل ستعيد لى إبنى ؟

أسرع أحمد يقول بحماس - سيخلف الله علينا
يا عبلة

ابتسامة ساخرة شاحبة إرتسمت على وجه عبلة
وهى تقول

- لقد إنتهى ما بيننا يا أحمد

صاح أحمد وعيناه تتسع

- لا يا عبلة .. أنت تعلمين كم أحبك

- الحب وحده لا يكفى يا أحمد .. المرأة تحتاج

لرجلٍ يحميها .. وأنت لم تقدر على حمايتى

.. أنت ط..

قاطعها أحمد صائحاً يلهث بعض الشئ
- أنا منشغلٌ ليل نهار يا عبلة كي أصلح
أحوال تجارتي .. فأحوال البلاد تسوء ..
وتكسد معها تجارتي .. لقد جمعت كل المال
وتدبرت أمر قافلتين في الطريق ..
وسينصلح بعدها الحال .. سأشتري داراً
نعيش فيه وحدنا بعيداً عن أمي وقصر أبي
ضحكة خافتة تخرج من فم عبلة وتقول
- لن تستطيع أن تفعل ذلك يا أحمد
- بل سأفعل يا عبلة .. كوني عوناً لي .. لا
تتركيني وحدي

قالت عبلة وهي تنظر لأحمد بإشفاق
- أنت طيبٌ يا أحمد .. لكنك ضعيف ..
والضعيفُ لا يصلح أن يكون رجلاً

شرد أحمد في كلمات عبلة الأخيرة .. ولكنه لم
يحزن .. لماذا ؟ .. لأنه نفسه يشعر بذلك .. كثيراً
ما تمنى لو خلقه الله رجلاً جريئاً لا يستحي
من أتفه الأمور .. كثيراً ما تمنى لو كان مثل
صديقه محمود .. أفاق من شروده على صوت
عبلة

- إذهب يا أحمد وإرعى تجارتك .. سأقبل منك
المال هذه المرة .. لكن إنسى أنك تزوجتني
يوماً .. ولا أريد منك شئ
قالتها عبلة وهى تعيد دفس رأسها فى فرشتها
وسمعت أحمد يقول

- سأتركك حتى تهدأين يا عبلة .. أعلمى أنك
لأزلت زوجتى شرعاً .. حين أشتري الدار
بعدما أفرغ من أمورى بعد أيام .. سأحضر
لأخذك

قالها أحمد وهو يميل برأسه ليطبع قبلة على
جبين عبلة .. شعرت هى بذلك فمدت يدها وقد
تباعدت أصابع كفها على صدره تمنعه من
الإقتراب منها .. لحظات من الزمن تشابكت فيها
عيون أحمد المبتلة بالدموع مع عيون عبلة
الواهنة من التعب .. إنتصرت عيون أحمد حيث
أزاحت عبلة يدها .. مفسحة الطريق أمام أحمد
الذى واصل الإقتراب من رأسها وطبع قبلة
حانية على جبينها .. ثم إنصرف من أمامها
مغادراً .. بينما هى تحقق فى الفراغ وأمام
عينيها وجهان يتصارعان .. وجه أحمد .. ووجه
محمود .



كان محمود بين الصحو والمنام ملقى على ظهره
فوق الفرشة ، بعدما عاد من لقاء حورية .. لا
تطرف عيناه فى سقف الدار محدقاً .. وفجأة أفاق
على صوت طرقات محمومة على الباب .. لا
يقوى بجسده المنهك على النهوض .. سمع
صوت أمه من غرفتها تصيح
- من الذى يطرق بابنا الفجر ؟
توقفت الطرقات بعد سؤال أمه .. نهض محمود
متثاقلاً يفتح الباب متخدلاً .. وجد حورية
وشعرها متناثر فوق كتفها .. وعيناها مفتوحة
على آخرهما تحدق فى وجهه وكأنها تستعيد
ذاكرة مفقودة .. ألقت بنفسها على صدره



وإنهمرت دموعها .. بينما

محمود واقفٌ متجمدٌ وزراعاه مرتخية على
جانبيه .. إستجمع قواه كمشلول يكابد لتحريك
زراعيه ، وصل بهما حتى ظهر حورية .. جاهد
من أجل أن يحيطها بزراعيه .. جاهد وكابد حتى
تمكن من إحتضانها بقوة .. أمسك رأسها يجعلها
على كتفه ووضع رأسه على كتفها وبادلها البكاء
.. صوت من داخل الدار يصيح

- ماذا هناك يا محمود ؟

هكذا سألت أم محمود .. فأدركت حورية أنهما لا
يزالا على الباب .. دخلت ومعها محمود وأغلقت
الباب وقالت وهى تمسح دموعها

- أنا جارية فى قصر الأمير غسان يا أم

محمود و

قاطعتها أم محمود صائحة

- وماذا تريدین بعدما فعلتم بابنی ما فعلتموه
من قبل ؟

ردت حورية بهدوء

- أنا ساعدت محمود لينجو .. فلا تخشى عليه
منى

- ما لنا نحن وجوارى القصور .. وما هذه
الملابس التى ترتدينها

قالتها أم محمود ترنوا لزی الجنود على
حورية التى ردت

- لقد أردت أن أطمئن على محمود .. فخرجت
من القصر متخفيةً هكذا

- إبتعدى عن محمود أيتها الجارية

هنا تدخل محمود بصوتٍ واهن

- على رسلك يا أمى .. هى ستبقى معى قليلاً
وتنصرف

واصلت أم محمود صياحها مندهشة

- وما الذى بينك وبين تلك الجارية .. ليست
منا ولسنا منها

إتجه محمود صوب أمه ووضع يده حانياً على
كتفها وقال

- أنا أريدها أن تبقى معى يا أمى .. لا تقلقى ..

عودى إلى نومك

حدقت أم محمود قلقة فى وجه ابنها تدير نظراتها
بينه وبين حورية التى كانت تنظر إلى الأرض
متشاغلة ، وقالت أم محمود

- لن يُغمض لى جفن حتى أعرف ما يحدث يا

محمود

بنظرة إستعطاف سدها محمود لعيني أمه قال
- إذهبى لنومك الآن .. وفى الصباح سأحكى
معك .. أرجوك يا أماه

إمتثلت أم محمود لرجاء ابنها ودلفت لغرفتها لا
لتنام ولكن لترهص سمعها عسى تفهم مايدور
بين ابنها وبين تلك الجارية .

جلست حورية على الفرشة وبدا لمحمود أن زى
الجنود الذى ترتديه حورية يعيق أريحيتها ..
فأحضر جلباباً من ملابسه وقبل أن يقول شيئاً ،
كانت حورية قد قامت وأخذته من يده .. وتحت
ضوء نار القنديل القديم الوحيد المشتعل رأت أم
محمود المتلصصة وسط ظلام غرفتها حورية
وهى تخلع زى الجنود ثم ترتدى جلباب ابنها



.. جلست حورية إلى جوار
محمود تتفحص الجلباب الرجالي ..ضحكت
بخفوت تقول

- كم وددت أن أرتدى جلباباً كهـ..
بترت جملتها تنقل عينيها من على الجلباب إلى
وجه محمود تخشى أن يكرر ما قاله لها في
الصحراء .. قرأ هو نظرتها المترقبة ، فرد
عليها بنظرةٍ باسمة .. إبتسمت حورية لتلك
النظرة وقالت

- ما قلته لى يا محمود غير صحيح .. ما أنا
بالأميرة التى تلهو بالصعلوق .. أنا الأميرة
التي أحبت رجلاً دون أن تنتظر إلى أية قيود
.. أقسم لك

صمتت ترقب وجه محمود ونظراته المتشككة
وعلت حاجباها فى جاذبية أنثوية وهى تهمس



- أنا أحبك يا محمود

كانت أم محمود فى هذه اللحظة قد إعتري قلبها
خوفٌ رهيبٌ ، حين سمعت الحوار الأخير.. لم
تعد ترغب فى سماع المزيد .. رقدت على
سريرها مفتوحة العينين ولم تعد تسمع ما
بالخارج .. ولا تريد أن تسمع .. فى الوقت الذى
كانت حورية .. ترنوا إلى وجه محمود خائفة
تتربق .. لم ترى على وجهه أية أثر لما قالت
فرددت

- أنا أحبك يا محمود .. هل تصدقنى ؟

أخيراً نطق محمود بصوت مختنق بعض الشئ
جالساً يحيط ركبتيه بزراعيه - أصدقك يا
حورية

دفعت نبرته التى نطق بها الجملة حورية لتقول
- ألا تحبنى يا محمود ؟

إبتسم محمود وتغيرت تعبيرات وجهه وقال

- الآن فقط تداركتي

- تداركت ماذا ؟

- لم أشعر من قبل أنك تهتمين إن كنت أحبك

أم لا .. قلتى لى فى المرة السابقة أنك

تحبيننى .. لكنك لم تسألينى إن كنت أحبك أم

لا ؟ .. شعرت أن ذلك لا يشكل فرقاً عندك

تفاجأ محمود بحورية تضحك ببرائة وقالت

- لم أكن أسألك عن ذلك .. لأننى قرأته فى

عينيك وأنت تنظر لى .. وأحسسته على

شفاهك فوق فمى .. وشعرت به فى صدرك

وأنا بين يديك تحتضننى .. لم أسألك لأنى

كنت أود أن تقولها أنت

وهنت عينا محمود من تأمله لوجه حورية

الملائكى وهى تهمس بكلماتها ووجد نفسه يهمس

لها كالمسحور أسيراً لعينها

- أنا أحبك يا حورية

لم تتبدل ملامح حورية وقالت

- لو كنت تحبنى لفعلت مثلى

قالتها وهى تشير إلى معصم يدها .. نظر محمود

حيث أشارت حورية .. فوجد المنديل الذى عليه

دمه مربوط على معصم حورية .. وسمعها
تواصل

- ألم أقل لك أنه إذا تبادل حبيبين دمائهما فلن
يفترقا

قالتها ومحمود يخرج من طيات ملابسه قطعة
الطرحة التي عليها دم حورية .. حدقت حورية
فى وجهه وقالت

- دماننا جمعتنا ولذا فنحن لم نفترق
صمتت وعيناها تتلأأ تحت الضوء الأصفر
الباهت المتراقص فى المكان وهمست بخفوت
- أريد أن أتزوجك يا محمود

وكانه لم يسمعها نهض محمود قائلاً
- سأحضر بعض الحطب .. فأنا أشعر بالبرد
سمع حورية قبل أن يتحرك من مكانه
- تعالى .. عندى ما يدفئك أكثر من النار
صمتت برهة وتابعت بصوت يكاد لا يُسمع
- تعالى إلى حضنى يا محمود

إحتضنا بعضهما بقوة .. غاصت حورية فى
صدر محمود برأسها ، يشعر بسخونة أنفاسها
على صدره .. فإحتواها أكثر بداخله .. تسارعت

الأنفاس .. وسرى الدفء العارم فى جسديهما ..
نطقت حورية - ألا زلت تشعر بالبرد
رد محمود ضاحكاً

- صرت أشعر بالحر
ضحكت حورية وقالت
- أنا لا أشعر ببردٍ ولا حر .. أشعر بالدفء



شعر محمود أن حوريه هزمته بجملتها الأخيرة
.. فأراد التعويض .. لم يجد ما يقوله سوى
- أنا أحبك يا حورية

لم ترد حورية وحدثت فى وجهه بنظرات
الحب ، ثم جذبتة ليتمددا على الفرشة وصارا
ملتصقين تماماً .. يشعرك منظرهما هكذا
بأنهما باتا نورة ملتحمة لن تتمكن من فصل
وريقاتها .. بادرت حورية بجعل فمها يلامس
فم محمود مع حركة من رأسها .. رد محمود
بوضع شفتيه على شفتيها وتركهم .. ردت هى

بفتح فمها قليلاً .. إستجاب هو بدس شفتيه فى
فمها مهيلاً .. قضمت هى شفتاه بشفتيها قليلاً ..
فجأة توقفا .. نظرت حورية فى وجه محمود
باسمة وقالت

- أنا أهب نفسى زوجةً لك
زاغت عيون حورية على وجه محمود وتابعت
بهمس تثبت عينيها على عينيه
- أو حتى جارية
قالتها لتجد محمود يمسك برأسها بين راحتيه
ويقول

- إذا كنا إتفقنا على أن نحيا ساعتنا ولا نفكر
فى شئٍ آخر .. فعلينا ألا نجعل ساعتنا
تنسينا ما بيننا
صمتا يرنوا فى عينيها وتابع
- لقد إنقضى الفجر .. عليك أن تعودى إلى
قصرك قبل أن يكتشف أحد أمرك

قالها محمود وهو ينهض وتبعته حورية وإرتدت
زى الجنود .. أحضر لها محمود طرحة من



ملا بس أمه .. إرتدتها

حورية سعيدة بها .. وقالت

- أريد أن أراك عند البئر الناضبة يا محمود

فى الغد كما الوقت

رد محمود مندهشاً

- قد ينكشف أمرك فى القصر

- سأتدبر أمرى .. سأمر لأخذك من نهاية

طريق المدينة

- يمكننى الذهاب إلى الصحراء وحدى

- المشوار طويلٌ عليك .. كفاك أنك عدت كل

هذه المسافة وحدك

قبل أن يرد محمود لثمت حورية وجهها

بالطرحه وعلى حصانها غادرت .

بعدها غادرت حورية رقد محمود على فرشته
وأخرج من جيب جلبابه الوردة التى كانت
حورية قد أرسلتها له مع رسالتها .. أمسك
بالوردة الممزقة بين أصابعه يفركها .. وما أن
إشتم ، نام على أريجها .

إستيقظ فى الصباح على صوت أمه توقظه
ليحمل جلوده ويمضى إلى السوق ، بالكاد فهمت
منه وسط غيابات النوم التى تغرقه أنه متعب
ولن يذهب للعمل اليوم .. صحا على الظهر
ووجد أمه تعد الطعام .. إغتسل وأعدت له أمه
بعض الطعام .. وأثناء تناوله للطعام كانت أمه
تحقق فى وجهه وقالت

- محمود .. الفتاة التى كانت هنا بالأمس ..
أهى تلك الأميرة التى لطمتك ولطمتها
وحدث لك فى قصرها ما حدث ؟
لم يرد محمود وظل يقضم قطع الخبز ، فتابعت
أمه

- محمود .. أنا أخشى عليك يا بنى فقد
سمعتكما بالأمس .. تزوج يا بنى من واحدةٍ
منا وإبتعد عن تلك الأميرة .. فمالك بأهلها
إذا علموا وأرادوا بك شراً

تنهد محمود وهو يبتلع طعامه وقال وهو ممسك
بقلة فخارية بيده

- لا شئ يا أمى .. لا تقلقى على
قالها ثم رفع القلة يشرب وسمع أمه تواصل
- عبلة

قالتها وصمتت ليدير محمود وجهه تجاه أمه
وبعينية نظرات الإستفهام وسمعها تقول
- تطلقت عبلة من ابن الأعيان .. وسقط حملها
بعدما ضربتها أمه

سحبت أم محمود نفساً عميقاً وتابعت
- لماذا لا تتزوجها يا محمود ؟ .. لقد ألححت
عليك لتتزوج بها قبلما يحدث ما حدث ..
إترك ما تفعله مع هذه الأميرة يا بنى وتزوج
عبلة

لم يرد محمود وقام إلى غرفة الجلود وإنتقى
بعضاً مما صنع ثم حملها على كتفيه وخرج من
الدار قائلاً

- أنا ذاهبٌ إلى السوق يا أمى .. عسى الله أن
يرزقنى عن ما فاتنى من الصباح



وبالفعل من الله على محمود بالرزق الوفير
رغم ذهابه للسوق بعد الظهر .. فقد باع كل
بضاعته .

حيث ما كاد محمود يعد فرشته ويستف جلوده
حتى وجد المأمون أمامه يقول بصوته الوقور
- كيف حالك يا محمود ؟

نهض محمود مسرعاً يحيي المأمون وقال
- أهلاً بك يا سيدى

رد المأمون محتداً مقطب الحاجبين

- أنا لست سيدك .. نادنى بـ مأمون

نظر محمود بخشوع لوجه المأمون بقسماته
المريحة وسمعه يواصل

- كنت أمر بالسوق أنظر أحوال الناس والعباد ..
وحين رأيته جئت أسلم عليك .. لكنى أود أن
أبتاع منك الجلود

قالها وهو يشير بأصبعه لرجلين من حوله ..
أسرعا بحمل الجلود من أمام محمود ، بينما
المأمون أخرج صرةً كبيرةً من الدنانير ومد يده
بها لمحمود الذى قال

- هذا كثيرٌ يا سيدى

- أنا لا أبخس حق شئٍ أشتريه .. هذا حقك ..
وأنا لست بسيدك .. السلام عليكم

قالها المأمون وهو يمضى فى طريقه وسط
رجلين من حوله محملين بالجلود .. بينما محمود
ممسك بصرة الدنانير وعلى وجهه علامات
الفرح والسرور .



عاد محمود لداره سعيداً يصنع المزيد من
الجلود حتى حان الموعد .. سار على قدميه حتى

وصل إلى نهاية طريق المدينة .. فزرع محمود
حين رأى جندياً يقف هناك ، فى المكان الذى
يتقابل فيه مع حورية .. أراد أن يوهم نفسه بأن
الجندي على حصانه ما هو إلا حورية سبقته
رغم أن الوقت لم يحن .. إقترب وإتضح له أن
الجندي غير ملثم الوجه .. فلا يمكن أن يكون
حورية .. دار بجسده مبتعداً فسمع الصياح

- إنتظر أيها الرجل

فكر محمود لبرهة أن يجرى .. إلا أنه أدرك أنها
ستكون مطاردة غير متكافئة .. تجمد مكانه حتى
أدركه الجندي الذى دار حوله بحصانه وقال
بصوت خشن ونبرة مخيفة
- من أنت ؟

إزدرد محمود ريقه وقال بصوتٍ واهنٍ
- كنت أتمشى عائداً لدارى

نزل الجندي من على حصانه قابضاً بيده على
مقبض السيف المستقر فى غمده ، ينظر إلى
وجه محمود الذى يرنو للأرض بين الحين
والآخر .. أضاق الجندي عينه اليسرى وهو
يتفحص ملامح محمود ، فما لبث أن إتسعت
عينيه وعلا حاجبه الأيسر وقال

- ما أسمك؟

- محمود

- وماذا تعمل؟

- أصنع وأبيع الجلود فى السوق

شبك الجندى يديه خلف ظهره مطرقاً برأسه إلى الأرض يتمشى بخطا هادئة حول محمود الواقف متجمداً يترقب المصير

- عُد إلى دارك ولا تخرج هكذا فى الليل

قالها الجندى فى الوقت الذى ما كاد محمود يسمع جملته حتى ولى من أمامه مغادراً بخطوات مسرعة .. بينما إمتطى الجندى حصانه يلكره بقوة صائحاً

- هع

وصل الجندى إلى أحد زملائه وقال

- إذهب إلى دار القائد يوسف .. وأخبره أن بائع الجلود الذى كان قد قبضنا عليه من قبل .. ذلك الذى كانت معه ابنة الأمير غسان فى السوق .. يبدو أنه يفعل شيئاً مريباً عند طريق المدينة .. وأنا سأقتفى أثره

كان قلب محمود يدق بعنف .. توقف عن السير فجأة .. يتسائل ماذا يفعل ؟ .. حين تحضر حورية ستجد الجندى أمامها .. سينكشف أمرها .. فكر أن يهرع حيث قصرها .. لكن ماذا سيفعل هناك .. وأنها الآن بالتأكيد فى الطريق .. وجد نفسه يدور فى الدروب والطرقات حتى عاد إلى المكان الموعود .. إختفى خلف جدار دارٍ وسط الظلام يرقب .. فلم يجد الجندى واقفاً .. ظن أنه ربما يكون قد إنصرف وإنتهى الأمر .. بخطوات حذرة سار حتى موضع اللقاء .. يتلفت حوله خائفاً .. تحول خوفه إلى هلع حين سمع وقع خطوات حصانٍ يقترب .. جرى يختفى بناصية الطريق .. ولما رأى الجندى الملثم وصل إلى المكان الموعود يتلفت حوله يبحث عن شئ ، أدرك أنها حورية المتخفية بزي الجنود .. أطلق ساقيه نحوها وقفز فوق الحصان خلفها .. نجح من المرة الأولى لأول مرة .. قال متوتراً - هيا يا حورية أسرعى

إمتثلت حورية تشد اللجام وتلكز بطن الجواد بقدميها فينطلق ، وسمعها محمود وقد إخشن صوتها خلف اللثام الذى يغطى نصف وجهها

- ماذا حدث يا محمود ؟

- كان هناك جندي يحرس الطريق .. لكنه

إنصرف قبل مجيئك بقليل

تنهد محمود حين هدأت سرعة الحصان بفعل
رمال الصحراء التي كانت قدمي الحصان
تغوص فيها مخلفة ورائها عفرةً من الرمال ..
ينظر خلفه بين الحين والآخر .. وهكذا نجا
محمود وحرورية .. كما ظن محمود .. ولكن
الأمر لم يكن كذلك .. كان الجندي ورائهما على
مسافةٍ لا تسمح لهما أن يشعرا به وسط الظلام .

وصلا إلى البئر الناضبة ونزل محمود قائلاً

- لقد ظننت أن أمرنا قد إفتضح .. لم أصدق

حين تركني الجندي أمضى ، ومضى هو في

طريقه .. حين كان ينظر لي شعرت أنه

يعرفني

عكس محمود المتجهم ، كانت حرورية تبتسم

بعدما نزلت من على ظهر الحصان .. وما أن

أنهى كلامه حتى ضحكت وقالت

- ليتني كنت معك لأرى شكل وجهك أمام

الجندي

حذق محمود فى وجهها ورد بنبرة ساخرة
- شكل وجهى ؟ .. أهذا كل ما يهمنى
وكانها لم تسمع شيئاً من محمود تابعت
ضحكاتها وقالت

- عندى حل .. ما رأيك أن أهديك حصاناً
تحضر به إلى هنا لنتقابل ؟
- أتسخرين منى ؟

قالها محمود غاضباً .. بينما كفت حورية عن
الضحكات وإقتربت من محمود ترسم على
وجهها ملامح الجدية

- أنا لا أسخر منك يا محمود .. بل سأفعل
رد محمود وقد هدأت نبرة صوته

- وما لصلعوقٍ مثلى بركوب الخيل
تراجعت حورية للوراء من أمام محمود وفردت
زراعيها فى الهواء جاعلة راحتها المفرودة
تجاه السماء وقالت باسمه

- أنا الأميرة التى ستجعل من الصلعوقِ
فارساً

قالتها وهى تميل رأسها على كتفها وفى عينيها
نظرة حبٍ ودلال تجاه محمود الذى شعر بقلبه
يطير إلى وجهها الفاتن .. عادت حورية تقترب

من محمود وأمسكت بيده تجذبه تجاه الحصان ..
مدت حورية يدها تتحسس الحصان الذى إرتعش
جلده تحت يدها الناعمة وقالت

- قال الجاحظ يا محمود لم تكن أمةً قط، أشد
عجباً بالخيـل، ولا أعلم بها، من العرب.. ألا تعلم
يا محمود أن الخيل لها دورٌ بارزٌ في حياة
العرب.. وتركت أبلغ الأثر في لغتهم وأدبهم
وطبائعهم.. وألهبت أخيلة الشعراء، فتغنوا
بشجاعتها ورشاقتها وخيلائها.. وحفظ العرب
أنسابها، بقدر ما حفظوا أنسابهم



أراد محمود أن يقول شيئاً حتى لا يبدو جاهلاً
أمام حورية فقال

- يقولون أن عز المرء ثلاث .. زوجة
صالحة .. وحصانٌ أصيل .. وسيفٌ بتار

قالها محمود كما لو كان عالماً ببواطن الأمور
حيث كان يحرك رأسه لأعلى وأسفل كواثقٌ في
نفسه .. فباهتته حورية سائلة

- هل تعلم يا محمود قصة الخيول عند العرب ؟
ودون أن تنتظر رداً واصلت

- كانت الخيول يا محمود وحشيةً وغير
مستأنسة .. وأول من إعتنى بها هو نبي الله
إسماعيل عليه السلام حيث سخرها الله له ..
وجاء من بعده نبي الله داود الذي كان شغوفاً
بالخيل .. وورث منه ابنه سليمان عليه
السلام ألف فرس

صممت حورية وهي ممعنة في التركيز تدور
من حول الحصان ثم تابعت وكأنها تشرح أمراً
جل بينما محمود يستمع منتظراً كأنه يسمع



قصة

- ذات يوم كان سليمان عليه السلام يستعرض
الألف فرس .. وشغله ذلك حتى غابت
الشمس ، وأدرك فوات الصلاة بعدما تفحص
تسعمائة فرس .. ففرع يصلى ثم عاد يكمل
تفحص المائة فرسٍ الباقية وقال (هذه المائة
أحب إلىَّ من التسعمائة التى فتنتنى عن
ذكر ربى) .. وهذا تفسير قوله تعالى (
ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب
..إذ عُرِضَ عليه بالعشى الصافنات الجياد
..فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربى
حتى توارت بالحجاب .. ردوها علىَّ فطفق
مسحاً بالسوق والأعناق)
قالتها حورية وهى تتحسس ظهر حصانها هائمة
العينين .. أفاقت حورية على صوت محمود
يقترب ويتحسس الحصان قائلاً
- وأكملى وماذا حدث ؟
ردت حورية بضحكة وقالت
- هل تعلم أول فرس إنتشر فى العرب ؟
- يبدو أننى إلى جوارك لا أعلم شيئاً
قالها محمود مبادلاً حورية الضحك وقالت
هى

- أنت لا تقرأ مثلى يا محمود
صمتت تسحب نفساً ثم تتابع
- هو زاد الراكب .. فقد كان هناك قوماً من
الأزد من بلاد عُمان .. ذهبوا إلى سليمان عليه
السلام يتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم ..
وبعدما قضوا مأربهم وهموا عائدين .. قالوا (يا نبي الله أعطنا زاداً يبلغنا بلادنا) .. فأمر
سليمان لهم بفرس من خيل دواود .. كان هذا
الفرس يا محمود هو زاداً بالفعل .. حيث لم
يكن أحد يركبه ويحمل رمح ، إلا وتمكن من
صيدٍ يكفيهم ويشبعهم .. فقال الأزديون ما
لفرسنا هذا اسم سوى زاد الراكب .. وكان هذا
أول فرسٍ إنتشر بين العرب من تلك الخيل



صمتت حورية ووجهت نظرها على وجه
محمود وقالت

- الآن علمت تاريخ الخيل .. هيا أعلمك كيف
تصير فارساً .. أنظر لى كيف أمتطى
الحصان

شاهد محمود حورية كيف تمتطى الحصان بأكثر
من طريقة .. تارةً وهى واقفة إلى جواره ..
وتارة وهى تجرى من على بعد خطوات ثم تقفز
عليه .. ثم قالت لاهثة

- هيا يا محمود .. إفعل مثلما فعلت
فشل محمود فى أول محاولة حيث تحرك
الحصان من موضعه فإختل توازن محمود
وسقط أرضاً .. لتضحك حورية عليه ، وينهض
هو غاضباً يقول

- علام تضحكين ؟

كتمت حورية ضحكاتهما وقالت

- الحصان يا محمود له حاسه تمكنه من
الشعور بالخطر .. وكذلك تمييز صاحبه ..
وهو لا يعرفك فرفض أن تمتطيه .. عليك
أن تجعله يز عن لك

لم يرد محمود وإكتفى بنظرة مفادها كيف ..
تابعت حورية

- إقترب من رأسه يا محمود وأنظر فى عينيه
وإمعن فيها

فعل محمود حيث أمعن النظر فى عين الحصان
تحت ضوء القمر المكتمل بدراً .. سرعان ما
رفع الحصان برأسه وأصدر صهيلاً عالياً ،
محركاً قدميه الأمامية .. وشعر ذيله يتناثر فى
الهواء .. فقالت حورية

- هكذا يا محمود كانت نظرة عينيك .. رأى
الحصان فيها خوف وضعف .. فتمرد عليك ..
إمعن النظر فى عينه بنظرة قوية ومسيطرة
تنهد محمود بزهد وقال

- يبدو أننى لا أنفع سوى أن أكون صعلوق ..
مال أمثالى بالفروسية

قالها وهو يمعن النظر فى عين الحصان بنظرة
قوية ومسيطرة جعلت ملامح وجه محمود
تتقلص .. سرعان ما طأطأ الحصان رأسه إلى
الأرض ولامس فمه رمال الصحراء .. وذيله
مرتخى على مؤخرته .. وصاحت حورية

- رأيته .. هكذا شعر بنظرتك القوية فإستكان
لك .. إمتطيه الآن

إعتلى محمود الحصان المستكين له وأستقر فوقه .. إبتسم قائلاً

- ربما أفلح فى أن أكون فارساً
قالها وهو يشد اللجام فسار به الحصان حثيثاً ..
ضحك محمود سعيداً بعدما نجح فى أول دروس
الفروسية .. وقال

- هل أصبحت فارساً الآن ؟
ما كاد ينطقها حتى ثار الحصان وقفز بقدميه
الأمامية لأعلى فكاد محمود يقع إلا أنه تشبث
جيداً .. ضحكت حورية وقالت ساخرة
- نعم الآن أصبحت فارساً يا محمود
تنهدت بعد الضحكات وقالت

- لا تبقى اللجام مشدوداً بين يديك .. فذلك
يجعل الحصان يثور مثلما فعل .. بعدما
يسير بك الحصان إرخى اللجام .. وعندما
تريده أن يزيد سرعته إجذب اللجام وإرخيه
بتتابع سريع ، وإلكز بطنه بقدميك .. وحيث
تشد اللجام سيغير هو الإتجاه .. وعندما تريد
أن توقفه إجذب اللجام بقوة وابقه مشدوداً
فعل التلميذ ما يسمعه من معلمته .. وبدأت
سرعة الحصان تزداد وتزداد وهو يدور حول

البئر .. أراد محمود أن يجعل حورية ترى
فارسها .. فلكر باطن الحصان بقدميه مع تتابع
جذبه وإرخائه للجام .. فإنطلق الحصان مبتعداً
يعدو .. شعر محمود بهواء الصحراء يدغدغ
وجهه بسبب سرعة الحصان .. أغمض عينيه
ووجد نفسه يبتعد ويبتعد عن حورية .. فقد
السيطرة على الحصان .. ماذا يفعل ؟ .. جذب
الجام تجاه اليمين بقوة فإستدار الحصان بعنف ..
إختل محمود ومال جسده يساراً ولم يبق على
ظهر الحصان سوى رجله ويده اليمنى المتشبثة
بالسرج .. تمكن محمود بمعاناة من إعادة نفسه
على ظهر الحصان وقد صار فى الطريق
الصحيح عائداً حيث البئر .. وحين إقترب جذب
الجام خفيفاً وأبقاه مشدوداً .. فأبطأ الحصان
من سرعته .. ثم جذب محمود اللجام فتوقف
الحصان عند البئر .. ضحك محمود سعيداً
منتظراً ما سوف تقوله حورية .. إلا أنه لم يجد
حورية .. ظل يدور برأسه فى جميع الإتجاهات
.. لا يرى أثراً لها .. ورغم ضوء البدر إلا أن
مجال الرؤية محدود بالنسبة له بسبب إتساع
الصحراء الشاسعة .. نزل محمود من على

الحصان يلهث متلهفاً وجسده يدور فى كافة
الإتجاهات يصيح
- حورية .. حورية
علا صوته أكثر
- حورية .. حورية
جحظت عيناه وانتفخت أوردته وجهه يصيح
- حوريييييييييية .. حوريييييييييية
لم ترد حورية .

فى هذه الأثناء وقد إقترب الوقت من الفجر ..
إستيقظ يوسف فى غرفة نومه على صوت إحدى
جواريه تلكزه فى كتفه قائلة
- سيدى .. سيدى .. إستيقظ
- ماذا تريدان يا جمانة ؟
هكذا قال يوسف وعينه مغمضة بينما على
وجهه علامات الحنق ، يريد أن ينعم بالنوم
- جندى بالخارج يقول أن هناك أمراً هاماً ..
لا يحتمل التأجيل للصباح
نخر يوسف وقال
- دعى هذا الغبى يدخل

همت جمانة بالذهاب للسماح للجندى بالدخول
وقبل أن تعبر باب الغرفة .. سمعته يقول بصوت
متحشرج

- أخبريه إن لم يكن لديه ما يستحق ..
فسأسجنه شهراً

دقيقة ودخل الجندى بزيه الكامل ويده على
مقبض سيفه .. نظر إلى وجه سيده النائم
مغمض العينين وقال

- سيدى القائد .. لقد عثر أحد زملائي على
الأميرة متخفية بزي الجنود ومعها بائع
الجلود ، عند طريق المدينة .. ذهب هو
ورائهم .. وجئت أخبرك كما طلبت أن هذا
الأمر لا يحتمل التأجيل

فتح يوسف عينيه الناعسة .. إعتدل يثائب
جالساً على طرف السرير .. تنهد بعمق
وقبل أن ينطق بشئ .. كانت الجارية جمانة
تدلف صائحة

- سيدى .. هناك جندى آخر عنده ما لا ينتظر
للصباح

قبل أن تتم جمانة جملتها .. كان الجندي قد
دخل يؤدي التحية .. فبادره يوسف بعينه
الناعسة يقول

- وماذا كانا يفعلان في الصحراء ؟

- أية صحراء يا مولاي

- ألسنت أنت من كنت تتعقبهما ؟

- لا يا مولاي

- وماذا عندك ؟

قالها يوسف بنبرة زهق ثم بدأت عيناه الناعسة
تستيقظ وتفيق عندما سمع

- سيدي القائد .. لقد ظهر القاتل

ردد يوسف وقد أفاق

- ظهر القاتل ؟ .. أتعني أنكم قبضتم عليه

نكس الجندي رأسه وقال

- لا يا سيدي القائد .. لقد ظهرت جثة مسلوخة

جديدة

صمت الجندي يرفع وجهه تجاه يوسف الذي

يحدق في وجهه منتظراً .. فتابع الجندي

- لقد قُتلت زوجة الوزير بطريق .. جثتها

مسلوخة في قصر الوزير .. الجلد لم يكن

موجود

إبتلع الجندي ريقه وتابع
- وقد عثرنا على رسالةٍ مع الجثة
تحولت عيون يوسف لعيون صقر .. ودون أن
ينطق بشئٍ قام مسرعاً يرتدى ملابسه وإنطلق
حيث قصر الوزير بطريق .

- ١٣ -

ظل محمود يدور حول نفسه لا يدري ماذا يفعل
.. مرعوباً فزعاً يصيح
- حورييييييية .. حورييييييية

وفجأة إنقضت عليه من الخلف زراعان تطوقان
رقبته .. إستدار للخلف بحركة غريزية يطيح
بالزراعين ، فوجد وجه حورية غارق في نوبة
ضحك .. ظل محمود محققاً بذهول يبتلع ريقه
لاهثاً بعنف .. بينما حورية تترنح على الرمال
من فرط الضحك وقد إستبدلت زى الجنود
بالثوب الرقيق الذى لا يفارقها فى لقائاتها مع
محمود .. قال محمود وسط لهائه المحموم
- أنتِ أميرة مجنونة بحق .. لقد كدت أموت
رعباً من أجلك

توقفت حورية فجأة عن الضحك وإرتسمت على
وجهها الجميل ملامح الجدية تقول صائحة
- من أجلى ؟ !! .. لقد أكتشفت أنك لا تحبنى
.. كل ما فعلته من أجلى أنك وقفت مكانك
تدور حولك وتنادى علىّ .. إختبئت خلف
سور البئر لأرى مدى حبك لى ، لكنك
خذلتنى

ردد محمود مندهشاً

- خذلتك ؟ .. وماذا كنت تريد أن أف..
قاطعته حورية بغضب ووجهها الملائكى قد
صار أحمرأ

- كنت أريد أن أراك تركض وراء من
إختطفونى لتتقذنى .. ماذا فعل لى دورانك
حول نفسك وندائاتك علىّ



قالتها وهى تدور حول نفسها تحاكي ما كان
يفعله محمود الذى صاح
- وكيف أجرى وأنا لا أرى أثراً لكِ

- لا يهم .. فقط تجرى وتركض لتتقذنى ممن
إختطفونى

هكذا قالت وهى تتجه صوب محمود وتحقق فى
وجهه بغضب .. لم يجد محمود بداً سوى أن
يضحك ويقول

- أحياناً أشعر أن لكِ عقلاً ناضجاً .. وأحياناً
أراكِ بنتاً تافهة

ردت حورية وهى تجلس على الرمال مستندة
بظهرها على سور البئر ، وتحيط ساقها



بزراعيها

- لا أريد أن أسمع صوتك .. أنا غاضبة منك
إقترب محمود ليجلس بجوارها فصاحت بحنق

- لا تقترب منى

تلقت محمود حوله فرأى زى الجنود الذى
إستبدلته حورية مكوماً إلى جوار سور البئر ..
إتجه إليه وتناول السترة الجلدية .. لفها جيداً
وإحكم رباطها .. ثم ركلها بقدمه بكل ما أوتى
من قوة ، فطاحت بعيداً .. وقف مكانه ، ثم فجأة
دار حول نفسه صائحاً

- حورية .. حورية .. أين أنتِ يا حورية ؟
ثم هرع يعدو بكامل سرعته تجاه السترة وهو
يصيح

- سأنقذك يا حورية

ولما دنا من السترة ألقى بنفسه كمن يغطس فى
الماء ليسقط على وجهه فوق السترة .. يحتضنها
بقوة ، وينهض عائداً يتصنع الترنح .. حتى
وصل إلى حورية .. وضع السترة على الرمال
أمام حورية يتحسسها بيديه ويقول متصنعاً
البكاء موجههاً كلامه للسترة الجلدية
- حورية أفيقى يا حورية .. سأنتقم لكِ

إندمج محمود فى أدائه التمثيلى ، حتى أفاق على
صوت ضحكات حورية العذبة تقول

- لقد سامحتك يا محمود

بادل محمود حورية الضحكات ، وجلس
ملاصقاً لها يستند برأسه على سور البئر ، وقال
- أنا لم أقابل مخلوقاً غريباً مثلك فى حياتى
يا حورية

تنهدت حورية وسحبت نفسها للأسفل لتصير
ممددة على الرمال وتمدد محمود إلى جوارها
وسمعها تسأل

- هل تعلم ماهى أطوار القمر يا محمود ؟
قالتها وهى ترنوا بعينيها إلى القمر المكتمل بدرا
.. ورد محمود

- هى ثمانية أطوار .. بعد البدر يصير أحذب
ثم تربيع أول ثم هلال فحاق .. ثم تتكرر
هذه الأربعة ثانية .. هلال ، تربيع ثانى ،
أحذب ، بدر

ضحكت حورية قائلة تتصنع الإنبهار بمحمود
- كنت أظنك صعلوقاً جاهلاً

ضحك محمود وقال وهو ينظر لوجه حورية
بحبٍ وحنان

- كدت أن أكتب شعراً لكِ

فزعت حورية حين سمعت جملة محمود ومالت
على جنبها الأيسر جاعله رأسها فوق رأس
محمود الراقد على ظهره وقالت مشدوهة
- أكتب الشعر يا محمود ؟

- لا .. فقد وددت أن أخط لك شيئاً

- أين هو ؟

سألت حورية متلهفة ، فأجابها محمود
- لم أكتبه

إمتقع وجه حورية وخبطت على صدر محمود
الذى تأوه ، وعادت ترقد على ظهرها تقول
- أكيد أنك أستيقتت من النوم قبلما تكتب ..

تماماً كالحلم الذى لم يحدث فيه شئ

ضحك محمود وقال

- أنا جاد .. ولا أمارحك

لم ترد حورية ترنوا بعينيها إلى نجوم السماء
والبدر .. وسمعت محمود يقول بصوتٍ أثر

- ما كنتُ ممن يدخل العشق قلبه لكن من

يبصر جفونك يعشق

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنتك مهما

تأمري القلب يفعل

يهواك ما عشتُ القلب فإن أمت يتبع صداي
صداك في الأقبر
لقد دبَّ الهوى لك في فؤادي
دبيب دم الحياة إلى عروقي
وإني لأهوى النوم في غير حينه لعل لقاء
في المنام يكون



صمت محمود بعد هذه الأبيات .. ليجد عيون
حورية دامعة أمام عينيه تهمس
- أهكذا تحبني يا محمود
رد محمود بذات الهمس وحاجباه تعلو
- أكثر يا حورية .. ليتني أجد من الكلمات ما
يعبرُ لك عن حبي
ردت حورية مسرعة
- أنا لا أحتاج الكلمات .. يكفيني نظرة
عينيك الآن

قالتها وهى تحقق فى عيني محمود الدامعة ..
أرادت حورية أن تستبدل الشجن الذى حل
بهما بشئٍ آخر فقالت

- لكنك تكذب علىّ فى البيت الأخير .. كيف

تهوى أن تنام فى غير حين نومك لتلقانى
فى الحلم .. وبعدها تلقانى .. تستيقظ من
النوم دون أن يحدث شئ ، كما أخبرتنى
عن حلمك معى من قبل

ضحك محمود وقال

- أنا لا أكذب يا حورية .. حين أخبرتك أنه

لم يحدث شئ ، كانت هذه هى الحقيقة ..
وقلت لك أنه إذا اكتمل سأحكيه لك

صمت يبتسم فى وجه حورية ثم أرفف

- وقد اكتمل بالأمس بعدما تركتيني

وضعت حورية كفيها على خديها ، وسحبت

شهيقاً عميقاً له صوت واتسعت عيناها تهمس

- اكتمل ؟

أوما محمود برأسه إيجاباً .. فتابعت حورية

وهى تضع رأسها على صدر محمود الممدد

تقول

- هيا إحكى لى

وقبل أن ينطق محمود أردفت حورية

- إحكى لى كل شئٍ بالتفصيل

قال محمود

- كنت أقبل أروع فتاةٍ على الأرض ..

وصرنا عاريين .. إحتضنتك على صدرى

.. ثم

بتر محمود كلماته إثر يد حورية التى أطبقت

على فمه ، وهى ترفع رأسها من على صدره ،

وتجعل وجهها أمام وجهه وهمست بصوتٍ

مبحوح خافت

- لا أود أن تحكى لى ما حدث فى الحلم

صمتت ورموشها الطويلة تتحرك مع جفونها

فى إثارة ، ثم تابعت

- بل إفعل كما حدث في الحلم



رد محمود

- كما قلت لك .. إن كنا إتفقنا على أن نحيا

ساعتنا .. فلا يجب أن نتركها تسرقنا

ضحكت حورية وقالت

- أهذا ما فعلته في الحلم

رد محمود بضحكة خافتة وقال

- أنتِ أميرة ولستِ جارية

تنهدت حورية ترنو لمحمود بحبٍ وحنان ،
ومر الوقت يتبادلا الهمسات
- لا أشعر كم مرَّ من الوقت .. معك يا
محمود لا أشعرُ بالزمان
قالتها حورية بينما نظر محمود فى السماء
وقال

- ربما نكون قد تجاوزنا الفجر بقليل
- ما إن سمعت حورية جملته حتى هبت
واقفة وإرتدت زى الجنود متخفية ..
وسبقها محمود إلى الحصان صاعداً ..
ركبت حورية خلفه وقالت
- الآن أنت الصعلوق الذى صار فارساً
شد محمود اللجام ولكز بطن الحصان ،
والصهيل يدوى ..

وعند المكان الموعود نزل محمود لحورية
تاركاً .. مضت هى فى طريقها إلى قصرها ..
وسار محمود على قدميه عائداً .. ما كاد يسير
بضعة خطواتٍ ، حتى وجد عددً من الجنود
يحيطون به وأحدهم يصيح
- لقد قبضنا على القاتل

بعد قليل من نطقها .. تكاثر الجنود من حوله ..
بينما محمود يدور حول نفسه تائهاً .. بدأ عقله
يخبو من منظر الجنود المتكالبة .. ضبابٌ
يحجب الرؤية عن عينيهِ .. وبضربةٍ من
مقبض سيف على مؤخرة عنقه ، فقد الوعى .



كان القبض على محمود هو الأمر الذى صدر
من قائد الشرطة يوسف بن حسيب .. فكل
الأدلة تشير إلى القاتل بائع الجلود .. يقتل
ويسلخ الجلود ، ليصنع منها الرقوق ويبيعها
فى السوق .. الأمر واضحٌ كالشمس منذ
البداية .. هذا هو القاتل الذى كان فى عقل
يوسف .. كان ينتظر الدليل .

قبل ذلك بساعات .. بعد العشاء كان أحمد على
سريره ممدداً .. لا يكف عن التفكير في
عبلة .. دخلت عليه رمانة مسرعة وعلى
وجهها علامات مفزعة .. حرق أحمد في
وجهها متلهفاً .. ابتلعت ريقها زائغة العينين
ونظرت إلى الأرض تقول بصوت مرتعش
- سيدى .. لقد أغار على قافلتك قطاع
الطريق ونهبها اللصوص

فزع أحمد من مرقد مهزولاً .. يرتدى ثيابه
تائهاً .. خرج على حصانه يعدو إلى مخازن
بضاعته ، علّ الخبر يكون كاذباً .. ولما
أدرك أنها الحقيقة ، بكى تماماً كالأطفال ، أو
بالأحرى كما النساء .. إلتف حوله من يعملون
لديه من خدم وعمال .. يواسونه فى محنته..
ثم سرعان ما حضر جمع من الأعيان
والتجار يلتفون حول أحمد .. تتطاير الكلمات (
وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .. (
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. إصبر يا
أحمد فإن الله مع الصابرين) .. (عوضك الله
وأخلف عليك .. إصبر وأحتسب) .. كان أحمد

وسط الجمع فى المخزن الخاوى من البضاعة



منهاراً فى بكائه

.. لا يدرى أحمد لماذا قفرت جملة عبلة التى
قالتها له (أنت طيب يا أحمد .. لكنك ضعيف
.. والضعيفُ لا يصلح أن يكون رجلاً) ..
دوت الكلمات فى أذنيه وأحدثت دويماً تملك من
قلبه .. فرفع رأسه فجأة محدقاً بعينيه الغارقة
بالدموع فى الفراغ أمامه .. يرى وجه عبلة
بملامحها القوية .. جعل ذلك وجهه يتقلص ..
أمسك بكم ثوبه يجفف دموعه .. وقال بنبرة
أرادها أن تكون قوية الشكيمة
- الحمد لله .. عسى الله أن يجعل لى عوضاً
فى القافلة الثانية

قالها أثناء دخول ابن زيدون صائحاً

- يا ويحى من هذه المصيبة

تلقاه الأعيان والتجار مواسين له .. يربتون
على كتفه .. فكم قضوا معه من ليالٍ ماجنة ..

وعليهم الآن أن يواسوه ببعض الكلمات ،
والتي أيضاً لا تخلو من الحسد
- يا ابن زيدون .. إحمد الله ولا تفعل فى
نفسك هكذا .. أنت رجلٌ ثرى .. عندك
قصر وخدم وعبيد وجوارى .. لن يضير
تجارتك قافلة نُهبت



قال أحمد الذى شعر المحيطين به وكأنهم
يرونه لأول مرة .. لم يكن ذلك الشاب الوديع
المسالـم الحيى .. بل كان رجلاً قوياً البأس ..
هكذا كان أحمد يصارع طبيعته الضعيفة
وتختلج بصدرة أنفاسه الحارقة
- الحمد لله على كل شئ .. لقد أنعم الله علينا
.. سأستأجر بعض جنود المرتزقة ،
وسأرسلهم على عجل لتغيير مسار القافلة
الثانية وتأمينها
صاح أحد الحاضرين
- نعم الرأى يا أحمد

بينما قال آخر

- ولماذا لا يخرج أبيك على رأس الجنود
بنفسه يحرسُ القافلة .. فهم فى الأول
والآخر مرتزقة .. لا يمكن أن تأمنهم على
شئ

إرتبك مشارى ابن زيدون حين سمع ذلك ..
فمعنى ذلك أنه لن تكون هناك حفلات ماجنة
ولا جوارى عارية .. لكنه إبتسم حين قال آخر
- أحمد يخرج لملاقة القافلة وحمايتها مع
الجنود حتى تصل سالمة

صاح أحمد

- سأفعل ذلك .. فى الغد سأرحل ومعى

الجنود

جاء رأى آخر يقول

- أبوك ترك التجارة منذ زمنٍ بعيد ..
وأنت نشأت عليها وكيل .. لن يستطيع هو
أن يدير العمل هنا وستفسد الأمور أكثر
رد أحمد موجهاً كلامه لأبيه

- هل تخرج مع الجنود سيتطلب الأمر

عشرة أيامٍ ويزيد .. حتى تعودوا سالمين

لم يجد ابن زيدون بداً سوى أن يقول

- أنا لها .. سأسحق ما يقابلنى من هؤلاء

الصوص

قالها متصنعاً الزهو بينما يتوارى قلبه خلف
ضلوعه من الخوف .. هكذا رحل ابن زيدون
مع عددٍ من الجنود لملاقاة القافلة الثانية
وتأمينها .. فهى كل ما يتبقى لهم الآن .. لم يعد
لابن زيدون وأحمد سوى القصر وما فيه وهذه
القافلة .. ولكن ديون بيت المال علي عاتقهم
ثاقلة .

بعدما رحل ابن زيدون من القصر مغادراً



.. تسلفت الجارية

رمانة فى الصباح إلى دار عبلة التى استقبلتها
متلهفة سائلة

- كيف حال أحمد ؟ .. بعدما علم بما حدث

نظرت رمانة فى عينيى عبلة بنظرةٍ متخابثةٍ
وقالت وهى تجلس إلى جوارها على طرف
السريـر

- يبدو أنكِ صرتِ تحبيه ؟

ردت عبلة بجمود

- أنا أشفق عليه .. فأحمد طيب لا يستحق

الأذى

قاطعتها رمانة

- لكن أمه وأبوه

قالتها رمانة وصمتت ترنوا لعبلة التى قالت

مسرعة بغضبها الذى سرعان ما يمتلك منها

على الدوام

- لقد أقسمت لأجعلنهم يتسولون .. فلن يذهب

دم ابنى هباء

قالتها عبلة وعينيها تبرق بنظرة إنتقام مخيفة ..

سرعات ما تغيرت وتبدلت نبرة صوتها حين

إرتسمت أمام مخيلتها صورة أحمد ابن

الأعيان ، وقد صار فقيراً يسعى من أجل

الكفاف وقالت

- ما يحزننى هو أحمد

ردت رمانة وهى تقوم من على السرير
وتجلس تحت رجلى عبلة على الأرض
- هو لزال شاباً صغيراً .. ويحبك سيأتى
إليك ويمكنكما أن تبدئا حياتكما من جديد
مع كلمات رمانة إرتسمت أمام مخيلة عبلة
صورة وجه أحمد بعيونه الدامعة يقبل جبينها ،
وهى راقدة على سريرها بعد ما حدث لها من
أمه فى القصر .. أفاقت على صوت رمانة
يواصل

- لقد خرج ابن زيدون لملاقاة القافلة فى
الطريق ، وإستأجر بعض المرتزقة من الجنود
.. لكن شيخ المنصر الذى إتفقنا معه .. يتتبع
القافلة ، وحتى لو غيرت مسارها فسينال منها
قالت عبلة وهى تدير رأسها للأسفل وكأنها
تذكرت شيئاً مفاجئاً

- متى سينفذ شيخ المنصر هذا الذى جيئتنى
به باقى الإتفاق

- لا تقلقى يا سيدتى .. أنا أضمنه .. لكن أين
سنضع البضاعة ثم نوزعها على الفقراء
صمتت رمانة لتدع المجال لعبلة فى إدراك
هذه المشكلة ، ولما لمحتها شاردة تفكر قالت

- سأتدبر أنا أمر بيع جزء من البضاعة ..
نستأجر بثمنه داراً صغيراً نخفى فيها ما
يتبقى من البضاعة وهى كثيرة .. ثم
نوزعها فى الليل على الفقراء كما كنا
نفعل

إبتسمت عبلة لهذه الفكرة .. فهى منذ عرفت
الجارية رمانة وصادقتها ، ورمانة هى من
تقودها وتوجهها .. بينما عبلة لها مطيعة وكأن
رمانة هى السيدة وعبلة لها جارية .. كان كل
ما تقوله رمانة هو ما تريده عبلة .. لذا سارت
العلاقة على هذا النحو .



لم تنسى عبلة تلك الليلة التى رأت فيها وجه
أحمد و عيونه الدامعة يقبل جبينها .. بعدما

أحضر لها الطبيب ليوقف نزيها .. رغم أنها لم
تنسى حبها الأول لمحمود .. إلا أنها وجدت
نفسها تفكر في أحمد أكثر .. هل لأنها أدركت كم
يحبها ويخاف عليها .. ومستعد لأن يترك القصر
والنعيم ويشترى داراً صغيراً من أجلها ؟ .. أم
لأنها عرفت أنه رغم ضعف شخصيته إلا أنه
يراعى الله في معاملاته .. دوماً تتذكر كلامه لها
(لا يشغل بالي ما يحتاجه القصر فلدينا كما
تقولين الكثير .. ولكن ما يؤرقني القروض التي
علينا لبیت المال .. لا أريد أن أتعثر في سدادها
.. فهذه أموال الناس والعباد .. ولن يبارك لنا الله
إذا أهملنا دفعها كما يفعل أغلب التجار) .. تتأمل
كثيراً كيف لشابٍ تربى في النعيم ألا يكون
غير مغرمٍ بالحريم .. وجدت عبلة نفسها تفكر
في أحمد .. بل تنتظره أن يعود بعدما يصلح
أموره .. ويأخذها لدارٍ صغيرة تحيا معه بعيداً
عن أبيه الماجن وأمه المتسلطة



.. لكن كل ذلك يتبخر
بمجرد أن تتخيل ما حدث لها تحت أرجل أم
أحمد حين أسقطت لها حملها .. تبرز عيناها
ويحمر وجهها .. لا تستطيع أن تغفر لأحمد ما
حدث .. وبعدها تهذا تذكر أن أحمد حاول الدفاع
عنها ، لكن أمه أطاحت به .. تعود وتردد بينها
وبين نفسها (كان يجب أن يدافع عنى وعن ابنه
بكل ما أوتى من قوة) .. تتردد عليها الجارية
رمانة تزورها .. وفى أحد المرات أخبرتها
- لى يا سيدتى ما يشفى غليلك ويطفى نارك
على ابنك .. حتماً أنت تعلمين أن زوجك
وضع كل ما معه من مال .. ليشتري قافلتين
محملتين بالبضائع .. ليتغير مسارهما فى
الطريق إلى البلاد ويتجهان إلى هنا ..
وبدون هاتين القافلتين

صمتت رمانة ترقب عيني عبلة المحدثه ثم



تابع

- سيتسلون يا سيدتى .. فثمن القصر وما فيه
من خدم وعبيد وجوارى وأثاث .. قد لا
يكفى ما عليهم من قروض لبیت المال
تملكت فكرة الإنتقام من رأس عبلة التى إتفقت
بعد ذلك بيومين مع شيخ المنصر الذى أحضرته
لها رمانة على أن يُغير بعصابته من قطاع
الطريق على القافلتين .. حيث ستتولى رمانة
إمداده بالمعلومات عن خط سير القافلتين من
خلال تلصصها فى القصر على ابن زيدون
وأحمد وأمه .. وتم الإتفاق حيث سيحصل قطاع
الطريق على نصف الغنيمة .. بينما تحصل عبلة
على النصف الآخر لتوزعه على الفقراء .. يا لها
من خطة شيطانية تلك التى خططتها رمانة ..
وجاءت على هوى عبلة .. ستسعد من جديد

بمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين .. وفى
نفس الوقت ستنتقم ممن قتلوا ابنها قبل أن يرى
النور .. تنام عبلة على فراشها تتخيل ابن زيدون
الماجن الزنديق وزوجته يتسولون ما يحتاجون
.. لكنها تفيق من تخيلاتهما على وجه أحمد .. فما
ذنبه ؟ .. يتأجج بداخلها عذاب الضمير .. لكن
ذلك العذاب يزول حين تتخيله فقيراً مثلاً ..
يعود إليها ويكد ويعمل ليقاات رزقه من أجلها ،
سيعيشون وقتها سعداء .. وسيرزقهما الله بالبنين
والبنات ، عوضاً عن الابن الذى راح .

كل ذلك مر بعقل عبلة الجالسة على طرف
سريرها وهى تحدث رمانة القابعة على الأرض
أمام رجليها ، فى كيفية توزيع نصف البضاعة
على الفقراء .. أفاقت من شرودها على صوت
رمانة تقول

- أراك شاردة كثيراً اليوم
ردت عبلة تقطب حاجبها مستفهمة
- ماذا تقولين ؟
ضحكت رمانة وقالت

- يبدو أنك كنتِ مع سيدى أحمد .. بينما أنا
أحدث نفسى

لم ترد عبلة وسمعت رمانة تقول وقد أسندت
رأسها على ركبتيها

- لقد إنتهينا من أمر القافلة الأولى .. لكن
القافلة الثانية ، خرج ابن زيدون بنفسه مع
الجنود لملاققتها وحمايتها .. وحتماً
سيغيرون مسارها الذى نعرفه .. أخشى
ألا أستطيع أن أمد شيخ المنصر بمسارها
الجديد .. إذا فقد أثرها
صمتت رومانة ثم تابعت

- إذا قابلتِ أحمد .. فحتماً ستعلمين بكل شئ
عن القافلة منه

قالت عبلة بنبرة متحشجة
- لا .. أنا لا أريد أن أقابل أحمد
ضحكت رمانة وقالت

- أراكِ تتمنعين وأنتِ راغبة
قالتها رمانة فى الوقت الذى كان باب الغرفة
يُفتح وتدخل أم عبلة تقول
- أسمعتم عما حدث ؟

ودون أن تتلقى رد واصلت

- قُتلت امرأة الوزير بطريق فى الفجر
صمتت أم عبلة تسلط عينيها على عبلة ثم
تواصل

- وقبضوا على محمود .. يقولون أنه القاتل
.. يسلخ الجلود ويصنعها لبييعها فى
السوق

صاحت عبلة وقد تقلص وجهها
- محمود ؟

- محمود لا يمكن أن يكون هو القاتل
هكذا ردت أم عبلة .. إنصرفت رمانة ..
وعندما خلت عبلة إلى نفسها .. لم تدرى ما
يختلج بصدرها تجاة محمود .. تارةً يراودها
الحب الأول .. وتارةً تردد فى سريرتها (هى
مكيدة .. يستحقها ، فما له هو بالأميرة) ..
وتارةً تشعر بالشفقة عليه .. تردد (أكيد دبر له
أهل الأميرة ذلك لما علموا بشأنه مع ابنتهم..
يستحق ما يحدث له) .. ظلت تترنح بين
مشاعرها المختلطة تجاه محمود حتى راحت
فى نومٍ عميق بعد ما فعلته بها رمانة ..
إستيقظت بعد العصر على صوت أمها يقول

- أحمد بالباب يريد أن يراكِ .. يقول أن
الجارية أخبرته أنكِ متعبة ، فجاء يطمئن
عليكِ

ترددت عبلة .. ليس لأنها لا تريد أن ترى
أحمد .. ولكن لأن ضميرها سيعذبها .. حين
تتنظر في وجهه ، فهي السبب فيما هو فيه ..
ولما وجدتْها أمها مترددة قالت
- المال الذى كان قد أعطانا إياه قارب على
النفاذ .. سأجعله يدخل .. لكن إطلبى منه
نفقتك .. فهذا حقك .. وإذا رفضتى فعليكِ
أن تبيعى اللبن فى السوق

قالتْها أم عبلة وإنصرفت من أمام ابنتها ..
ليدخل أحمد متلهفاً وما أن رأت عبلة وجهه
المكفهر وعيونه الذابل ، حتى ترقرقت الدموع
فى عينيها.

- ١٤ -

الرفاق حائرون يتسائلون كيف قُتلت امرأة
الوزير بطريق .. فى قصرها .. بل بداخل

غرفتها .. بل على سريرها .. وسلخ جلدها .. أنه
أمرٌ غريب .. وما معنى الرسالة التي تركها
القاتل .

حسب الموعد عند منتصف الليل كان هارون
ملثماً يقترب من الحارس عند باب الخلفى
المؤدى إلى الحديقة .. وقال هامساً بصوت
خافت خشن من خلف اللثام الذى يخفى وجهه
عدا عينيه

- أنا من أخبروك به

أمعن الحارس فى عينيه بنظرة متفحصة، ثم
سرعان ما مهد له الطريق ليصل إلى نادية
المنتظرة عند باب القصر الخلفى .. دلفت ومعها
هارون يتسللان حتى وصلا إلى غرفة خيرازانة
التي جلست على سريرها تنتظر .. إندهش
هارون مفزوعاً حين علم من نادية أن الخامسة
، خطيئة الجشع ، هي خيرازانة زوجة الوزير
بطريق..

مر ذلك اليوم على خيرازانة بين جارياتها



مختلفاً

..شاردة

تسبح بخيالها فى الرجل المنتظر .. جسد رجل ،
قوى وخشن .. بالتأكيد مختلف عن أجساد
الجوارى الطرية الناعمة .. ظلت خيرازانة
طوال ذلك اليوم تائهة .. كادت أن تنهى الأمر
حين قالت لنادية هامسة بداخل غرفتها
- أشعر بالقلق يا نادية .. أريد أن أؤجل ذلك
الأمر

ردت نادية ضاحكة وقالت

- مولاتى .. أنا أحس بما يعتمل بنفسك .. لا
تفكرى فى شئ .. فأنا بجوارك
لم تنم خيرزانة القيلولة كما إعتادت .. وظلت
ممدة على سريرها تفكر .. وحين خرجت من
غرفتها بعد العصر .. موجودة كانت وغير

موجودة مع ضيفاتها .. حاضرة بجسدها غائبة
بوعينا .. شاردة فيما سيحدث عند حلول المساء.

على عكس عاداتها فى فترة مابعد المغرب
للعشاء .. لم تمر على الخدم والعبيد تتفحص
شئونهم ، ولم تهتم لأمر أبنائها بعد حضورهم
من عملهم .. وتفرغت فى تلك الفترة للإعتناء
بجسدها بمساعدة نادية .



حان الموعد ووجدت خيرازانة باب غرفتها
ينفتح ليمثل أمامها هارون بصحبة نادية .. فك
هارون اللثام مبتسماً وعيناه تتفحص جسد
خيرازانة البض العارى على السرير ، وقد

وضعت إحدى ساقها على الأخرى .. وقالت
نادية

- هذا هو هارون يا مولاتي
قالتها نادية وهي تقترب من خيرازانة تخرج
طرف لسانها يحوم حول شفتيها .. بينما
هارون يخلع ملابسه ليجلس على طرف
السريـر عارياً .. وبدأ الأمر يجرى



ولما إقتربت خيرازانة
من وطرها ، أحس هارون بيد نادية من خلف
للخنجر مناوله .. قبض على الخنجر ، يسرع
ويسرع .. جحظت عين خيرازانة وإنتفض
جسدها .. ضحك هارون وبخنجره فى قلبها
كان غارساً .. لم تتحرك فى خيرازانة عضلة
واحدة .. فيما يبدو أن ضربات قلبها الزائدة
المتسارعة من فرط شبقها جعلت قلبها يتوقف

على الفور حين إنغرس الخنجر فيه .. فلم
يحتج هارون أن يدير الخنجر فى قلبها فلم
تتدفق الدماء بغزارة .. تناول هارون سكيناً
أخرى حامية تمكن بها من سلخ جلد خيرازانة
ولفه ووضعها فى جوالٍ صغيرٍ أعدته نادبة
الواقعة بعيداً حتى لا تلوثها الدماء .. إرتدت
نادبة ملابسها النظيفة .. وكذلك هارون الذى
حفظت له نادبة ملابسها بعيداً بمجرد خلعها
حين دخل على خيرازانة .. هكذا تم الأمر
بإحكام .. أخرجت نادبة بقطعة من الرق ملتفة
كرسالة .. وألقت بها إلى جوار جثة خيرازانة
.. تماماً مثل الرقوق التى يصنعها بائع الجلود
المدعو محمود .. قالت نادبة
- إذهب أنت وأكمل الباقي .. سألقاك فى فجر
بعد غدٍ كموعدنا

خرج هارون بمساعدة الحارس العميل لنادبة
والذى سيطرت عليه نادبة بالجنس والمال
ليساعد هارون فى دخوله وخروجه من القصر
.. ولم يرى الجندي وجه هارون المثلث وهو
يغادر على حصانه من أمام سور القصر الخلفى

.. إلا أنه سمع صرخاتٍ قادمة من الداخل ..

هرع على إثرها ليجد نادية أمامة تصيح

- القاتل نال من مولاتي

أدرك الحارس لحظتها أنه شارك في مقتل

خيرازانة .. ولم يكن له أن ينطق بعد ذلك بشئٍ

فسيناله ما سينال الجارية نادية والقاتل المثلث ،

فعليه أن يتعامل مع الأمر وكأنه لم يكن .. دار

ذلك بخلده في لحظات صراخ نادية التي أيقظت

من في القصر .. ووجد الحارس صرة منتفخة

من الدنانير تحشرها نادية بين طيات سترته

الجلدية ، إذن هو شارك وقبض الثمن .

أسرع الحارس يعدو مع باقى الحراس .. وتعالى

صرخات الجاريات يتردد صداها في القصر .

لم يكن الوزير بطريق حزيناً على موت

خيرازانة الجشعة التي تدفعه لقبول الرشاوى

مقابل إعطاء القروض من بيت المال .. لكنه كان

غاضباً لإنتهاك كرامته وحرمة قصره بقتل

زوجته في غرفتها على سريرها .. أما الأبناء

فكانوا أكثر حزناً من أبيهم على أمهم .

دخل يوسف بن حسيب قائد الشرطة يتفحص
بنفسه الجثة .. وناولهُ الوزير بطريق بالرسالة ..
أمعن يوسف فى الرق المكتوبة عليه الرسالة
أكثر من إمعانه فى فحواها .. فأصدر أمره
لحظتها بالقبض على صانع الجلود المدعو
محمود .. هكذا وجد يوسف الدليل ، والربط بين
الجلود المسلوخة وصانع الجلود .. وبالطبع
يطيح بمن إستولى على الأميرة حورية منه .

أما فحوى الرسالة فكان كلماتٌ غير متصلة
الخطيئة قتل فوضى سلخ تتطهر
العدل

لم يكن فحوى الرسالة مفهوماً

بداخل القصر السلطانى يجلس السلطان المبروك
الثمانينى وإلى جواره ولى العهد وريث البلاد ،
ومن بين يديهم إجتمعت الحاشية .. وهذه المرة
كان العدد كبيراً .. فلم يكن الأمر مقصوراً على
الوزراء المقربين وكبار الأعيان .. بل ضم كافة
الوزراء ومعظم الأعيان وكل الأمراء ..

فالضحية هذه المرة هى زوجة الوزير بطريق
مسئول بيت المال .. الحشد كبير والوجوه
منتفخة الأوداج .. يسأل ولى العهد ، فهو كعادته
المتحكم الفعلى فى البلاد نظراً لغياب أبيه
الثمانينى عن إدراك الأمور من حوله
- وماذا عندك يا قائد الشرطة من أدلة على أن
بائع الجلود هو القاتل ؟

تنهد يوسف وبعينين مفتوحتين كما الصقر ونبرة
تأكيديه ، قابضاً بيده على مقبض السيف فى
غمده

- كل الأدلة ضده يا مولاي .. لقد رآه أحد
جنودنا عند طريق المدينة ليلة القتل يحوم
حول المكان .. وهو الوحيد بين كافة صانعى
الجلود فى المدينة الذى يصنع الرقوق ..
والجلد الأدمى يصلح تماماً لهذا النوع من
الرقوق التى يصنعها .. وثبت لنا أنه يحضر
إجتماعات القوم المعارضين للسلطان .. وفى
آخر إجتماعٍ لهم كان يتحدث عن القتل
والثورة من أجل الإستيلاء على الحكم

صمت يوسف يلتقط أنفاسه ، وقبل أن يواصل
نطق السلطان المبروك حين سمع جملة الإستلاء
على الحكم فقال
- أية حكم ؟

ورغم سذاجة السؤال .. إلا أنه لا بد من الإجابة
على عظمة السلطان .. فجاءت الإجابة ، جمل
متتابة تتردد من الأفواه من الحاشية المحيطة
- أدام الله عمر السلطان وأبقاه زخراً للبلاد ..
عاش السلطان راعياً للعباد .. خساً من لا
يرضى بالسلطان حاكماً للناس

ورغم تكرار الجمل بصيغ مختلفة إلا أن ذلك
المواء الصادر عن الممتاز بن القطة المنافق
الأكبر فى البلاد للسلطان وحاشيته ، كان مختلفاً
- ومن غيرك يحمينا يا سلطان البلاد .. عاش
السلطان المبروك .. إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ..
وما ينطق عن الهوى .. عاش السلطان المبروك
كان الجمع يردد ورائه

- عاش السلطان المبروك

إستحق الممتاز بن القطة الذى يخطب فى الناس
مديحاً فى السلطان رياناً مفضوحاً ونفاقاً
معناً ، أن ينال لقباً سامياً أطلقه عليه القوم

المعارضون للسلطان .. ولم يكن اللقب مجرد
إسماءً بل تحول إلى فعلاً ، حين أصيب الممتاز
بن القطة بصداعٍ مزمن يفتك برأسه ليل نهار ،
وعجز أطباء البلاد عن مدواته .. إلا أن الطبيب
ابن رشاد أشهر من مارس الطب في البلاد
إستطاع علاج الممتاز بن القطة من الصداع ،
حيث جعله يحلق رأسه وأعطاه دهاناً يدهن منه
في الصباح والمساء .. ولما طاب الممتاز بن
القطة على هذا الدهان بعدما فشلت كافة
العلاجات من قبله .. إستفسر من ابن رشاد الذي
أخبره أنه دهانٌ للبواسير .. فيما أن مؤخرة
الرجل في رأسه ، كانت البواسير هي مصدر
الألم .. وهكذا إقتنع الممتاز بن القطة باللقب ،
وظل يخرج غازات النفاق .. والتي تظهر أمام
الناس أنها الكلمات تخرج من فمه .



إبتسم السلطان سعيداً ، بيده للجمع من حوله
محيياً .. إندمج الجمع وعلت الهتافات يقودها
الممتاز .. وكأنهم نسوا ما إجتمعوا لأجله ،
تتعالى الهتافات .. وبإشارة من جلال المبروك
ساد السكون .. ليواصل يوسف قائد الشرطة
كلماته

- صانع الجلود هذا له واقعة ترددت فى
المدينة .. حين لطم الأميرة حورية بنت
الأمير غسان ابن عم السلطان لأنها تأمره
أن يحضر لها جلود .. ولكن عفو الأمير
غسان وكرمه أبقى على حياته .. إنه مريض
حادث يا مولاي وهذا ما يدفعه للقتل ..
ويسلخ جلود ضحاياه كمحترف بما أن
الجلود هى صنعته
قال جلال المبروك وقد ضاقت عيناه ، يداعب
بأصابعه ذقنه

- يبدو كلامك منطقياً يا يوسف .. لكن هناك
الكثير فى حاجةٍ إلى تفسير .. لماذا قتل من
قتلهن تحديداً ؟ .. ولماذا النساء ؟ .. ولماذا
إمرأة الوزير بطريق ؟ .. وما تفسير
الكلمات الموجودة فى الرسالة التى تركها

علت أصوات نشيج وبكاء الوزير بطريق
المصطنعة عند ذكر إمرأته بينما رد يوسف
بحماس

- هو بين أيدينا الآن يا مولاي .. وسنعرف كل
شئ

- أخبرني بما تصل إليه أولاً بأول
- سمعاً وطاعةً يا ولي العهد

إنتهى الإجتماع السلطاني .. فى الوقت الذى
كان هناك إجتماع آخر يبدأ ، إجتماع القوم
المعارضين للسلطان فى المسجد بعد صلاة
العشاء .. الجميع حاضرون عدا أحمد ومحمود
طالع بن الأسياذ متحمساً بوجهه اللامع
المتأنق قائلاً

- كنت أشعر أن هذا الفتى حاقداً مريض ..
حين كان يتحدث عن الثورة والقتل والقوة ..
وقد صدق ظنى

قاطعه إبراهيم بن عيسى المتربع جالساً واضعاً
قبضة يده اليمنى على فخذة

- لا .. أنا متأكد أن محمود لا يفعل ذلك .. إنه
برئ .. هى مكيدة من قائد الشرطة

صاح المصطفى بن البكرى بصوته الجهورى ،
ووجهه الأسمر تكسوه تكشيرة مقتضبة
- ولماذا محمود هو من وقع عليه الاختيار
للمكيدة ؟

أجاب الشيخ عبد الله بن السعيد
- لأن هناك ربط بين صناعة الجلود ..
والجثث مسلوخة الجلود
قال أمجد بن الجلاب ونصف وجهه النحيف خلف
شاربه متوارياً ورأسه تتحرك بحيادية على
رقبته

- لم نرى بعد دليلاً على إدانته أو برائته ..
لننتظر التحقيق والمحاكمة
تنهد الوائل بن الإبراشى مستيقظاً وبهدوء
وكلمات متتدة قال

- ما يمكننا أن نفعله هو أن نحرص على أن
ينال هذا الفتى معاملة حسنة ومحاكمة عادلة
حتى تثبت إدانته أو برائته .. صحيح أنه
يميل إلى الرغبة فى القوة والقتل ، إلا أن
ذلك لا يعنى أنه هو القاتل
تنامى إلى مسامع الجمع الصوت الوقور الهادئ
بالتحية

- السلام عليكم
إتجهت الإنظار تجاه مصدر الصوت مردين
- و عليكم السلام

حدقت العيون فى وجه المأمون بن عبد الله
الرشيد بقسماته المريحة ، وهو يقترب بخطا
ثابتة ممسكاً بيده عبائته الثمينة على صدره ..
تربع جالساً وقال بهدوء موجهها كلامه للوائل
- أنا أتفق معك يا وائل .. ما يمكن فعله الآن
هو أن نحرص على ألا ينال محمود سوء
حتى تتم له محاكمة عادلة

صمت مقطب الحاجبين يرنو للأسفل ثم واصل
- كنت عازماً على الرحيل اليوم .. فقد إنتهت
راحتى فى وطنى التى لم أنعم بها لما وجدته
هنا من هموم .. لكنى أشفق على الفتى
صانع الجلود .. أنا أشعر أنه برئ ، وحتى
يأتينا الدليل علينا أن نسانده حتى لا يتأذى
كثيراً

قال الوائل بن الإبراشى
- حتماً سينال من الضرب الكثير .. ولن
يمنعهم مانع إذا أرادوا حتى أن يقتلوه .. لكن
سنفعل ما يجب أن نفعله

تدخل إبراهيم بن عيسى فى الحوار قائلاً
- وما الذى يمكن أن نفعله حتى نضغط على
الشرطة ألا يؤذوه ؟ .. هل نحشد الناس فى
الغد أمام ديوان الشرطة
رد أمجد بن الجلال

- سيجعلهم ذلك يظنون أننا نؤلب الناس عليهم
.. وربما أطلقوا الجنود ورائنا
قاطعه طالع بن الأسياذ
- أنا لا أخشى فى الحق .. دعهم يفعلون ذلك ..
وسأريك ماذا أفعل ؟

قال المصطفى بن البكرى بحماسه المعهود
- إننا لا نريدها مشاجرةً أو عداءاً بيننا وبين
الشرطة .. فقط نتجمهر فى سلام أمام
الديوان .. فسيجعلهم ذلك يحسنون معاملة
محمود

صمت الجميع وكأنهم ينتظرون من عليه
الدور فى الكلام ، وإتجهت الأنظار صوب
المأمون الذى بدا منهمكاً فى التسبيح بمسبحته
الكهرمان بين أصابع يديه .. لحظات من
الصمت قطعها المأمون حين رفع نظره من
على مسبحته وقال

- الرسالة !
قالها وصمت يرقب النظرات المتسائلة من حوله
قبل أن يواصل
- ماذا يريد القاتل أن يرسل لنا ؟
رد طالع بن الأسياد
- إنه فتى حاقد مريض .. خط بضعة كلمات
يهزى بها
صاح إبراهيم بن عيسى محتداً
- لماذا تصر يا طالع أن محمود هو القاتل ؟
تدخل المأمون فى الحوار قبل أن يحتد
- الخطايا السبع المميتة !



علت الأصوات من حوله
- (إنها أمراً قديماً) .. (قرأت بعضاً عنها)
.. (هذا جنون) ..

لم يعلق إبراهيم بن عيسى الذى قال مسترجعاً
قراءاته وإطلاعاته على هذا الموضوع
- الخطايا السبع هى الشراهة والرغبة والكسل
والحسد والجشع والغضب والغرور .. كان
عقاب صاحب أىٍ منهما هو القتل بالإعدام
شنقاً فى ميدان عام أمام جموع الناس حتى
يكون عبرة

تدخل الوائل بن الإبراشى فهو ليس أقل دراية
ولا علماً ليقول

- بدأت منذ فجر المسيحية على يد الراهب
الإغريقى (إيفاجاريو دو بونتو)
إنبعثت الكلمات تباعاً عن موضوع الخطايا
السبع المميتة .. كلٌ من لديه شئٌ عنا يقوله

الخطايا السبع المميتة ، هي مجموعة خطايا
حددتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية خلال فترة
العصور الوسطى من أجل بسط سيطرتها
وهيمنتها علي المجتمع الأوروبى الذى كان يمر
بمرحلة سيئة من الفساد والانحطاط الأخلاقى ،
ولم توضع تلك الخطايا كلها معاً في وقتٍ واحد
.. بل شرعت علي فترات مختلفة من الزمن وقد

قررت الكنيسة إقرار تلك الخطايا ومعاقبة فاعلها
بالإعدام شنقاً في ميدان عام وأمام جموع غفيرة
من الشعب حتي يكون عبرة لهم ..وقد سارت
هذه الأحكام علي جميع طوائف المجتمع من
الأمراء وحتى عامة الشعب ..وهي الشراهة
والرغبة والكسل والحسد والجشع والغضب
والغرور .



كان عدد الخطايا السبع الرئيسية ثمانٍ ، حيث
نظمهم في بداية المسيحية الراهب الإغريقي
إيفاجريو دو بونتو .. وفي القرن السادس عشر
نفذ البابا جريجورى التغييرات الأولى في هذه
القائمة مضمناً فيها الحسد و دامجاً الغرور
بالكبرياء ..أما في قائمة القرن السابع عشر
المُعاد ترتيبها ، لم تعد الكآبة تُحسب كخطيئة
حيث احتل الكسل محلها .. ونالت خطيئة
الغضب النصيب الأكبر من الجدل ..فقد رفض
عددٌ كبير من القساوسة اعتبار أن الغضب

خطيئة مميتة ، بل هو شعور إنفعالي لدى
الإنسان العادي يظهر عند سماع أخبار غير
سارة أو رؤيته لشيء يثير غضبة .. وأن أى فرد
من أفراد المجتمع معرض لأن يغضب .. لذلك لم
تعتد الكنيسة كثيراً لتلك الخطيئة .. ولكن حددت
لها إطار وهو ألا يكون الغضب زائد عن الحد
ولا يؤذى الآخرين.



حامت التساؤلات تسبح فى الهواء
- لماذا يفعل ذلك ؟ .. هل جعل نفسه حاكماً
يحكم على أصحاب الخطايا ؟ .. إنه شيطان
قال الوائل بن الإبراشى
- معنى ذلك أنه لايزال هناك جثتين أخرتين ..
الغضب والغرور
قاطعه طالع بن الأسياد
- لقد قبضوا عليه
صاح المصطفى بن البكرى

- هذا الكلام يدين صانع الجلود .. فهو فعلاً
يميل إلى القتل والعنف .. وبعدما يقتل يستفيد
بسلخ الجلد وتصنيعه ثم بيعه
تنهد إبراهيم بن عيسى وقد بدا على وجهه أنه بدأ
يشك أن محمود هو القاتل ، فقال
- إذا لم تظهر جثة الغضب أو الغرور ..
فمعنى ذلك أنه مدان

صمت الجميع بعدما أفرغ كل واحد ما فى جعبته
.. وكالعادة إتجهت الأنظار صوب المأمون
المطرق برأسه على مسبحته الكهرمان بين
أصابعه .. لحظات من الصمت أدرك منها
المأمون أنه حان عليه الدور فرفع بصره من
على المسبحة يديره فى الوجوه التى ترنوا إليه
وقال

- لقد حملت الرسالة ست كلمات على الترتيب
(الخطيئة ، قتل ، فوضى ، سلخ ، تتطهر ،
العدل) .. فإذا كانت الخطيئة هى حال البلاد
التى تغرق بالظلم والفساد وانتشار الفقر بين
العباد .. فإن القتل والثورة على الظلم
والطغيان هو الحل .. وإذا كان ذلك فإن
الفوضى ستعم كل شئ .. فإذا إنسلخت

الفوضى بعدما تهدأ الأمور كما ينسلخ الجلد
فيظهر ما تحته .. ستظهر النتيجة ألا وهي
زوال الظلم والفساد والطغيان ، وحلول
العدل

صمت المأمون يرنو إلى الوجوه المذهولة من
حوله وتابع بصوتٍ خفيض
- هذا هو فحوى الرسالة .. أنه يريدنا أن نثور
على الظلم والطغيان

قال إبراهيم بن عيسى
- هذا الكلام يدين محمود .. هل يتخذ من القتل
بهذا الشكل وسيلة لرسالة تحت على الثورة
صاح طالع بن الأسياذ
- أنا قلت أن هذا الفتى مريض .. بل مجنون
نهض المأمون قائلاً

- سأذهب في صباح الغد إلى ديوان الشرطة
ومعى رسالة تطالب بعدم إيذاء محمود ..
والإتيان بدليلٍ قاطع قبل محاكمته بمحاكمة
عادلة

قالها بعدما كان قد إنتصب واقفاً .. ثم واصل
بنبرة حزينة

- وسأغادر بعد غد وأعود لرحلاتي

قالها وهو ينصرف تاركاً الجمع يواصلون
الجدال والحوار .

فى الصباح بداخل ديوان الشرطة وقف حسيب
بن العادل يطالع رسالة .. لم تكن تلك رسالة
المأمون وإنما كانت رسالة أخرى .. شملت بضع
كلمات (محمود برئ .. أطلق سراحه ..
سأعطيك كل ما تريد) .. وتذيل الرسالة الإسم
الذى جعل عيون يوسف تبرق .. إسم حورية ..
التى ما كادت تسمع خبر مقتل امرأة الوزير
بطريق والقبض على محمود حتى همت بأن
تخرج من القصر تهرع إلى ديوان الشرطة .. إلا
أن أم إبراهيم مربيتها تمكنت من منعها بصعوبة
.. كادت تخبر أبيها بكل شئ لتجعله يتدخل لإنقاذ
محمود .. ستخبره أنه كان بصحبته فى
الصحراء وقت مقتل خيرازانة .. إلا أنها
تراجعت ، فربما دفع ذلك أبيها للانتقام من
الصعلوق الذى تجرأ وتخطى الحاجز الهائل بين
الأمرء والصعاليق .. قررت أن تنقذه هى حتى
ولو ضحت بأى شئ يطلبه منها يوسف .. فهى

تدرك أنها السبب فى القبض على محمود .. حتماً
علم يوسف ما بينهما فدبر الأمر لمحمود ..
كتبت الرسالة وأرسلتها .. والهواجس والظنون
تعمل بسريرتها .. هدأت قليلاً حين أمعنت
التفكير وهى ممددة على سريرها فى غرفتها ..
أنه إذا لم تظهر براءة محمود .. ستذهب هى إلى
المحاكمة وتشهد بأنه كان بصحبته وقت مقتل
إمرأة الوزير بطريق .. لا يهم أى شئ آخر
سوى إنقاذ محمود .



سحب يوسف بن حسيب الجالس على مكتبه فى
ديوان الشرطة نفساً عميقاً .. وإرتسمت على
وجهه ابتسامةٍ مقبلة .. أعاد قراءة جملة حورية
الأخيرة (سأفعل كل ما تريد) .. إتسعت

الإبتسامة المتشفية .. ماذا يريد منها مفكراً ..
من رفضته وأهدرت كبريائه بين يديه الآن
مستسلمة .. يا له من إحساس لذيق .. قطع شروده
جندى دالفاً

- سيدى القائد هناك جمع^{٢٨} من الناس مع القوم
المعارضين للسلطان بالخارج يحتشدون ..
وهم بهذه الرسالة مرسلون
قالها الجندى وهو يمد يده منحنيّاً بالرسالة إلى
قائد الشرطة .. ظلت يد الجندى ممدودة .. فقد
كانت يد يوسف برسالة حورية مشغولة ..
وبالمداد عليها كانت الحروف مكتوبة (أنتظر
الليلة فى قصرى .. أنتِ تعرفين كيف تتسلى ..
يا أميرتى) .. هكذا خط يوسف على ذات
الرسالة التى وصلتته من حورية وذيل كلماته
ب حبيبك يوسف .. لف الرسالة ومد يده بها
للجندى قائلاً

- أريد أن تعود هذه الرسالة من حيث أتت



قالها وهو يناول الرسالة للجندى ، بينما يتناول
الآخري منه بلا مبالاة .. وللجندى بالإنصراف
قد أشار .. قرأ المطالبة بعدم إيذاء محمود ..
ضحك بخفوت .. فصار ورق الرسالة بيديه
ممزوق .. فجأة إتسعت عيناه وفي الفراغ حدقت
.. قفز فى ذهنه سؤال ،
ماذا لو لم يكن محمود هو القائل ؟ .. بل بالفعل
إنه ليس القائل ..
تذكر يوسف أن محمود كان مع حورية عند
البئر الناضبة فى الصحراء وقت مقتل خيرازانة
.. ماذا لو ظهرت جثة أخرى .. بل حتماً
ستظهر.. فالقاتل لا يزال مطلق السراح ..
تصارعت دقات قلبه وإلتحم حاجباه ، نادى على
أحد الجنود وقال

- إجعل الرقابة مشددة على الطرقات ..
واقبضوا على من تتشككون فى أمره

قام من على مكتبه وإتجه إلى الزنزانة ولما رأى
محمود والإنتفاخات والكدمات قد أخفت ملامح
وجهه .. أنقض يوسف على الحارس الواقف
على باب الزنزانة يقبض بيده على رقبة
الحارس ويصيح

- هل أمرتكم بأن تفعلوا به ذلك .. أنتم هكذا
تقتلوه أيها الأغبياء

سحب نفسا عميقا وأرخى قبضة يده من على
رقبة الحارس الذى جحظت عيناه وكسى
الأزرق وجهه وتابع

- لا يقترب منه منكم أحد .. أطعموه شيئا
وخففوا عنه الألم



قالها يوسف وهو يخرج خارج ديوان الشرطة
ولما رآه الحشد المتجمهر ، تعالت الصيحات
والهتافات .. فأشار يوسف بيديه مطالباً إياهم
بالسكوت والإستماع إليه

- سيحظى صانع الجلود بمعاملة حسنة حتى
تتم محاكمته .. أعدكم بذلك
قال المأمون على حصانه بصوتٍ أرتجت له
أذان الموجودين
- نريد ان نراه

- إنة متعبٌ .. فقد ضربه الجنود مضطرين
حينما كان يحاول الهرب أثناء القبض عليه
.. لكنه منذ جاء الى هنا لم تمتد إليه يدٌ قط
قالها يوسف فى الوقت الذى كان المأمون ينزل
من على حصانه ويقترب منه ليقول بصوت
خفيض

- هل يمكن أن ألقى عليه نظرة ؟
لم يجد يوسف بداً سوى من أن يبتعد بجسده
ليسمح للمأمون بالدخول .. ولما رأى المأمون
محمود تجهم وجهه وقال ممتعضاً
- هكذا لم تمتد إليه يد كما قلت يا قائد الشرطة
يكظم يوسف غيظه ويقول

- لقد أصدرت أوامري بحسن معاملته .. تأكد
من ذلك

غادر المأمون بينما يوسف يفكر فى هذا
المجهول الذى ظهر فى البلاد فجأة .. وأصدر
أوامره لجنوده بمراقبته ومعرفة كل شئ عنه ..
أدرك يوسف أن هذا الرجل قدير .



- ١٥ -

بعينيها الدامعة كانت عبلة لوجه أحمد المكفهر
ناظرة .. وبصدرها نيران عذاب الضمير
متأججة .. وحين رأت عيونه عليها متلهفة ..
شعرت بقلبها بالحب له نابضاً .. أدركت عبلة
فى هذه اللحظة أنها لأحمد تهوى .. وأن ضعفه

على قلبها قد إستولى .. بادرها قائلاً بلهفة
وبنبرة صوتٍ مجهد

- كيف حالك يا عبلة ؟ .. لقد أخبرتنى رمانة
أنك متعبة .. لم أطق صبراً على أن أحضر
لأطمئن عليكِ

عبلة برأسها بعيداً عن أحمدٍ تتجافى .. عن
النظر في عيونه تتحاشى .. وكلماته على أذنيها
تتهادى

- لقد أغار اللصوص على قافلتى يا عبلة ..
لكنى أشعر أن الله سيعوضنى خيراً فى
قافلتى الثانية .. لقد أرسلت والدى
قاطعته عبلة وهى تستدير إلى وجهه بيديها
ممسكة .. وبإبهامها لما تحت عيونه ماسحة ..
تقول بهمس وأنفاسها لاهثة
- لا تحزن يا أحمد .. سيعوضك الله .. فأنت
طيب

حدق أحمد فى عينيها بعيون ثاقبة وقال
- أنا طيبٌ يا عبلة .. لكنى لست بضعيف كما
تظنين

جعلت كلماته عبلة عليه تشفق ، وقالت و عينيها
عليه تحديق

- أنت رجلٌ يا أحمد

إبتسم أحمد سعيداً بجملة عبلة .. وكأنه نسى
همومه وأحزانه .. وجد نفسه يضم عبلة بين
زراعيه حاضناً .. كابد رغبته فى أن يكون على
صدرها باكياً .. حتى لا يبدو أمامها رجلاً
ناقصاً .. سمعها تقول ورأسها على كتفه نائمة
- أنا بخير يا أحمد طالما أنت بخير .. أنا لم

أكن متعبة .. كنت حزينه من أجلك
قالتها عبلة وهى ترفع رأسها من على كتف أحمد
.. وتتنظر بحنانٍ بالغ فى عينيه ، لتجدها دامعة
، وأحمد يزدرد ريقه محاولاً كبت بكائه .. إلا
أنه فشل .. فأجهش فى البكاء .. وإنهمرت
دموعه الساخنة بغزارة على وجنتيه تلسعه ..
يشيح بوجهه ذات اليمين وذات اليسار .. يريد ألا
تراه عبلة ضعيفاً هكذا .. إلا أنه وجدها تبكى
وتتخرط فى البكاء أكثر منه .. بالكاد تمكن من
أن يوقف دموعه .. وقال بصوتٍ ملؤه الرجولة
- أنا أبكى لأنى شعرت أنكِ أخيراً تحبيننى ..

فلماذا تبكين انتِ ؟

مدت عبلة ظهر يديها تجفف دموعها من على
خدودها .. ضحكت من وراء الدموع قائلة

- نعم أنا أحبك يا أحمد
ضحك أحمد يمسح بطرف كم ثوبه ما علق حول
أنفه من سوائل بكائه وقال وسط ضحكاته البريئة
- إذن لقد سامحتينى يا عبلة .. أنا السبب فى
موت ابننا

- لا يا أحمد .. أنا السبب .. أنا من بدأت بلطم
أمك وأغضببتها .. سيعوضنا الله عن ابننا
قالتها عبلة وهى تجذب أحمد على السرير
جالسة .. إحتضنته ورأسه على كتفها واضعة ..
كالطفل بيديها على ظهره مهددة .. بينما
عينيها فى الفراغ محدقة .. وعلى القرار الذى
إتخذته قلبها ، كان عقلها مصدقاً .. ستلغى
الإتفاق مع شيخ المنصر ، بل حتى تفكر فى
إعادة نصف القافلة الأولى الذى ستحصل عليه
إلى أحمد .

الحب هو ما يجعل المرأة تتنازل عن أى شئ
حتى ولو كان إنتقامها لإبنها
قالت عبلة بنبرة واثقة
- ستصل قافلتك بأمان يا أحمد .. وسنواصل
حياتنا فى دارنا الصغيرة

قاطعها أحمد قائلاً

- لقد تمكنت من إقناع أمي بالإستقلال بحياتي

بعيداً عن القصر .. لكن جاء خبر القافلة

ليمنعني من أن أحضر لإخبارك

- ستصلح أحوالك كلها يا أحمد

قالتها عبلة وهي تمسح على وجه أحمد بحنان

وسمعه يقول

- لقد إتفقت مع أبي على تغيير مسار القافلة

القادمة حيث ستسلك الط ..

إنقطعت كلمات أحمد إثر إنقضااض عبلة بفمها

على فمه تقبله .. فلم تكن عبلة لمعرفة مسار

القافلة الجديد راغبة .. وقد أصبحت على ما

فعلته بالقافلة الأولى نادمة .

في قبلة حب صافٍ يزوبان .. وللشهيق

والزفير يتبادلان .. ورموش عيونهما يتهادبان ..

ولغريزة الجسدين يستسلمان .. وفي عالم

اللاوعي يغيبان .. أفاقا ليجدا نفسيهما عاريان ..

فوق السرير ملتحمان .. وبتيار المتعة يتدغدغان

.. وفي بحر اللذة غارقان .. فبأى شئ مدفوعان

.. إنه الحب .

فجأة توقفا عن القبلات .. نظرا لبعضهما ثم
انطلقت الضحكات .. يتعجبا كيف تحول نشيج
الحزن والبكاء إلى العبث بالملذات .. طبع أحمد
قبلة رقيقة على جبينها قائلاً

- ليعلم الله يا عبلة .. مالى فى هذه الحياة ما
أحبه سواك

ابتسمت عبلة وهى ترد قبلة أحمد بمثلها قائلة

- ليعلم الله يا أحمد .. كم أحبيتك بعدما
عاشتك .. ووجدتك رجلاً يخشى الله ..
ليس كأقرانه من أبناء الأعيان اللاهين
العابثين

قال أحمد بفرح من كلمات عبلة

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير
متاع الدنيا الزوجة الصالحة) .. وأنت

زوجتى الصالحة يا عبلة .. وكل متاعى فى
الدنيا .. سيكرمنى الله من أجلك يا عبلة

قالها أحمد وهو يخرج من حزامه صرة من
الدنانير يمد يده بها إلى عبلة قائلاً

- إستعينى بهذا المال على قضاء حوائجك ..
هو ليس بالكثير .. لكنه كل ما معى الآن

قبضت عبلة بكفيها على يد أحمد الممسكة بالمال
وقالت مبتسمة .. وحاجبها مرفوعان
- عندي ما يكفيني .. إحتفظ بالمال معك
- لا يا عبلة .. هذه نفقتك .. ثم أن القافلة
ستصل بإذن الله بعد يومين
تحت إصرار أحمد قبلت عبلة المال ، وغادر
أحمد وخلت هي بنفسها تشعر بنشوة الحب
والسعادة .. إلا أنها تذكرت أن القافلة القادمة لا
تزال بخطر .. وعليها أن تنهى ذلك الأمر ..
إرتدت ملابس الخروج وإنطلقت إلى قصر ابن
زيدون .. حين وصلت إلى الباب كشفت عن
وجهها فعرفها الحارس .. طلبت منه أن يخبر
رمانة أنها تريدها .. بعد قليل حضرت رمانة
وإصطحبت عبلة يتسللان إلى داخل القصر .



بداخل غرفة الجارية رمانة فى قصر ابن زيدون
بادرت رمانة قائلة

- هل علمتِ بمسار القافلة الجديد
قاطعتها عبلة بنبرة خافتة لكنها متحمسة مرتبكة
- لقد ألغيت الإتفاق يا رمانة .. إجعلى شيخ
المنصر يترك القافلة تمر فى سلام ولا
يمسها بسوء

رمانة مندهشة ونظراتها مريبة
- مولاتى .. ألا تريدان أن تجعلى ابن زيدون
وإمرأته يتسولون
ردت عبلة مسرعة آمرة بغضب
- أقول إنتهى الإتفاق .. يجب أن تمر قافلة
أحمد بسلام

أومأت رمانة برأسها تقول
- سمعاً وطاعةً يا مولاتى .. سأرسل إلى
شيخ المنصر برسولٍ عاجلٍ .. ربما يلحق
وربما لا

قالتها وهى تنظر بطرف عينها إلى عبلة التى
صاحت

- لابد أن يلحق

- مولاتى .. نحن لا نعرف مسار القافلة الجديد
.. فإذا فقد شيخ المنصر أثر القافلة إنتهى كل
شئ .. أما إذا لم يفقد أثرها
صمتت رمانة تسحب شهيقاً قبل أن تواصل
- ربما يلحق به الرسول قبل أن يهجم على
القافلة

زاغت عيون عبلة وقالت وكأنها تحدث نفسها
- يجب أن يلحق به
- سأرسله على الفور .. هذه الليلة
هكذا قالت رمانة ثم تابعت بصوت خفيض
- إهدأى يا سيدتى .. أنا أعلم أن أحمد كان
عندك منذ قليل

إندهشت رمانة وحدثت فى وجه عبلة حين
سمعتها تصيح بغضبٍ عارم
- لا شأن لك .. فقط إفعلى ما أمرك به
جعل ذلك رمانة تصمت متذكرة أيامها الأولى
مع سيدتها عبلة سريعة الغضب التى طالما
صرخت فى وجهها .. تأهبت عبلة للرحيل قائلة
- يجب أن تمر هذه القافلة بأمان
- أمرك يا مولاتى

خرجت عبلة دون أن تنتظر رمانة لتهيئ لها الطريق .. غير عابئة بشئ سارت حتى خرجت من القصر .. بينما رمانة جلست على طرف سريرها تستمع إلى صوت أمامها يقول - لابد أن ينتهى الأمر سريعاً
كان الصوت هو صوت نادية التى كانت مع رمانة فى غرفتها وحين حضرت عبلة .. إختبئت نادية خلف أحد الستائر وسمعت الحوار الذى دار بين عبلة ورمانة التى قالت - نعم .. لابد أن ينتهى الأمر سريعاً
- على العودة قبل أن يلحظ أحد غيابى فى قصر الوزير بطريق
هكذا قالت نادية وهى ترتدى نقابها وولت مغادرة بعدما ألقت بجوهره ثمينة إتقطتها رمانة سريعاً .

رمانة هى أخلص التابعين لنادية منذ أن كانت معها فى قصر ابن زيدون وصارت مصدر معلومات نادية عن كل ما يدور بقصر ابن زيدون بعد مغادرتها له .. فعلت رمانة ما فعلت

من بداية صداقتها بسيدتها عبلة وحتى أمر القافلتين بإيعاذ وتخطيط من نادية .

ابن زيدون على حصانه فى صدارة القافلة
متبخرًا.. هو ومن حوله الجنود للقافلة حارساً
.. وفجأة سمع صيحة

— مع

تلفت حوله قلقاً متقرباً .. ثم سمع مع ثانية أعلى
وأقوى .. توالت الصيحات

- هع .. هع .. هع ههعهههههه

ومعها تدفق اللصوص الملتزمين



يهاصرون القافلة ..

إِسْتَلَّ ابن زيدون سيفه .. وقبل أن يكتمل خروج
السيف من غمده .. كانت رأس ابن زيدون قد
طارت بضربة قوية من مقاتلٍ محترف .. مال

ابن زيدون بحمل السيف ومقاتلة اللصوص ..
عاش لا يفقه سوى فى معاشره الجوارى من
فنون .. أما الجنود المرتزقة ما أن رأوا رأس
ابن زيدون فى الهواء تطير ، حتى إنقلبوا على
أعقابهم وولّو مدبرين .. هكذا تم الإستيلاء على
القافلة بضحية واحدة .. ابن زيدون .
عاودت القافلة السير فى طريقها حتى إلتقت مع
قافلة أخرى يقودها الشيخ جليل .. إنضمت
القافلتان إلى بعضهما تحت راية الشيخ جليل
الذى قال

- أمامنا مسيرة يوم ونصل إلى السيد هارون
الوكيل صاحب القافلة



كانت هذه القافلة المهيبة هى القافلة التى غادر
الشيخ جليل لإحضارها كما أخبر هارون ..

بعدما أتى له بالقافلة الأولى .. ولم تكن هذه
القافلة سوى أموال أحمد ابن زيدون .

أمضى هارون اليوم التالي بعد قتله لخيرازانة
وسلخ جلدها فى قصره



بالجوارى العاريات



ينعم .. وعلى فرشته
الموسورة يتمدد .. لحلول الليل يترقب ..
فلموعده مع نادية ما له من مهرّب .. كلما تذكر
نادية سرت في جسده قشعريرة .. لكنه عندما
يتذكر اللفائف السبعة تهدأ السريرة .. لم يتبقى
سوى اثنتين وبعدها لن يكون هناك قتيلة ..
سيحيا بعد ذلك بأمان .. وربما بعدما يصنع
العطر يصير على الناس سلطان .. هكذا قالت له
نادية .. تتناثر صرر الدنانير هنا وهناك ..
ورشات العطر على وجهه بين الفينة والأخرى
.. لم يشعر هارون بالوقت كيف مر .. والموعّد
مع نادية قد أّزف.

وصل هارون حيث البئر الناضبة قبل نادية حتى
لا يسمع ما سمع في اللقاء السابق .. لم يمضى
الكثير من الوقت حتى كانت فرصة نادية أمامه
واقفة .. نزلت نادية ونظرات هارون المحدقة

المتعجبة ، حين رآها لعبائتها السوداء ونقابها
نازعة .. وعارية دون أية كلمة أمسكت به تخلع
عنه ملابسه واقفاً ، فصار عارياً .. قبضت
نادية بكفها الأيسر على رأس هارون تعتصر
شفتاه بشفتيها ، وضفائر شعرها من خلف رأسها
نازلة .. بالكاد نطق هارون وقال
- ماذا بك يا نادية .. لم أرك من قبل هكذا
لم يتلقى رداً من نادية التي ألقت بنفسها على
الرمال لهارون طالبة .. كما تأمر كان هارن لها
طائعاً .. إنتشت ونهض هارون عنها ليرتدى
ملابسه ، لكنه سمعها تقول
- ستصل في ظهيرة الغد قافلتك الثانية .. إتبع ما
يقوله الشيخ جليل

قالتها وهي تنهض ترتدى عبائتها وإحكمت رباط
نقابها ثم واصلت
- في مساء الغد .. تعالى وإشتريني من قصر
الوزير بطريق .. فهم يبيعون الجوارى بعد
مقتل خيرازانة
إكتفى هارون بمشاهدتها تغادر دون أن يستفسر
عن شئ .. لأنه يعلم أنها لن تقول إلا ما قالته .

فى ظهيرة الغد كان هارون عند طرف المدينة
للقافلة منتظراً .. يتعجب من التجار اللذين
حضرُوا علَّهم يشترون بعض بضاعة ينتفعون
ببيعها .. فالقوافل ندرت فى الآونة الأخيرة ..
يدرك هارون أنه يسير تحت قوة غامضة
تقودها نادبة .. هو نفسه لم يعلم بأمر القافلة
سوى من نادبة فى فجر اليوم .. فكيف علم
التجار بأمرها وحضروا .. بدت بشائر القافلة
تقترب ، دون أن تتمكن الأعين من إدراك
نهايتها .. ووصل أخيراً الشيخ جليل الذى قال
مبتسماً بملامحه الجليلة

- هذه قافلتك يا سيد هارون

لم يجد هارون ما يقوله سوى

- حمداً لله على سلامتكم يا شيخ جليل

تسير القافلة فى طرقات المدينة وقد إحتشد من
حولها الناس والعباد .. ومن حولها يسير التجار
مهطعين رؤوسهم ذليلىن .. وكانت المفاجأة حين
قال الشيخ جليل

- كل هذه البضاعة ملك السيد هارون الوكيل
وحده .. لن يبيع منها شئ
تعالى الهمهمات التى تحولت إلى صيحات
- إنها بضاعة كثيرة .. لما لا يبيعنا بعضاً
منها نفقات منه رزقنا ؟ .. وكيف سيبيعها
وحده إذن ؟ .. ولماذا يحتكر كل هذه
البضاعة وحده

هكذا ترك هارون الشيخ جليل يفعل باسمه
ما يريد .. لم يعطى قطعة واحدة من أى شئ
للفقراء والمساكين .. إنصرف التجار يضربون
كفوفهم مرددين

- حسبنا الله ونعم الوكيل
بينما عيونهم شاخصة على الخيل والبغال
والحمير والجمال والعربات الخشبية المحملة
بالبضائع من الأخشاب بأنواعها والأقمشة
بأنواعها إلى أصغر الأنية النحاسية مروراً
بالمعادن والأعشاب والملابس والجلود .

وفى المساء إشتري هارون الجارية الرومية
نادية من قصر الوزير بطريق .. مرت أيامه
التالية فى القصر على نفس المنوال وأكثر ..

على عكس ما كان هارون يتوقع ، أن وجود
نادية معه فى القصر سيقضى حريته إلا أنه
فوجئ بنادية أخرى غير التى يلقاها خارجاً فى
الصحراء .. كانت فعلاً تتصرف كجارية
وتشارك باقى الجاريات فى إمتاع سيدها .



قبل ذلك وفى اليوم الذى وصلت فيه قافلة هارون
، حيث كان من المفترض أن تصل فيه قافلة
أحمد .. كانت عبلة فى أنحاء دارها متجولة ..
مضطربة خائفة مترقبة .. ولما دنت الشمس من
مغربها .. هرعت عبلة ترتدى للخروج ملابسها
.. فتحت الباب لتذهب لقصر ابن زيدون عن

القافلة تستخبر .. ولكنها وجدت أحمد أمامها
شاحباً للموت يستحضر .. ما إن رآته حتى
وضعت كفيها تخفى وجهها ، فقد كان الخبر
المنتظر على وجهه مقروئاً .. بصوتٍ واهنٍ
والهالات السوداء غطت عينيه التي بدت وكأنها
توشك على فراق الحياة .. قال



- ضمينى يا عبلة

وسط بكائها ضمته عبلة .. أسندته يدخل إلى
غرفتها وأبوها وأمها يرقبان المشهد .. أرقدته
على السرير يتمدد وسمعته
- لقد قتلوا أبى

قالها وهو يقوم من رقدته ليجلس على طرف
السرير ، فسقطت عن رأسه عمامته ، وبان
شعره أشعثٌ أغبر .. يرنوا بعينيه الذابلة لعبلة
التي تبكى ببكاءٍ مكتوم .. واصل بصوته الواهن

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. الحمد لله
قالها وهو يطرق برأسه يرقب الأرض .. جففت
عبلة دموعها بيديها وقالت وهى تحتضن رأس
أحمد على صدرها

- لا تحزن يا أحمد .. لازل عندك الكثير
رد أحمد والدموع تلمع فى عينيه وكأنها ملتصقة
بحدقتيه متشبثة تأبى أن تنهمر

- لم يعد عندى شئ .. سأبيع القصر بما فيه ..
أو أجعل رجال بيت المال يصادروه .. عسى
أن يكفى ما على من قروضٍ لبيت المال ..
فهذه أموال الناس

رفع رأسه من على صدر عبلة ينظر فى الفراغ
وتابع

- سأبحث عن عمل أو أحترف صنعة أتكسب
منها رزقى .. ثم أستأجر داراً صغيرة
نعيش فيها

صمت يتنهد ويزدرد ريقه مقاوماً رغبة البكاء
ثم تابع ناظراً بعيونه الدامعة فى وجه عبلة
- أمى لم يعد لها الآن أحدٌ غيرى .. ستعيش
معنا يا عبلة .. أعدك أنها لن تزعجك فهى طيبة
رغم ما كان

قاطعته عبلة ضاحكة بخفوت
- لن تضطر لكل ذلك .. لازال معنا نصف
القافلتين .. هذا كان إتفاقي مع شيخ
المنصب.. *

بترت عبلة كلماتها واطعة يدها على فمها وقد
إتسعت عيناها تحديق في وجه أحمد الذي بدا لها
وكأنه لم يسمع شئ من جملتها الأخيرة .. إلا أنها
رأت الأوردة تبرز وتنتفض على جبهته .. ونور
عينيه يخبو تدريجياً خلف الدموع المتألئة وسط
ضوء نار المصباح الخافتة في الغرفة .. إنكمش
حاجباه يرتعشان .. مع أول قطرة دمع تسيل من
عين أحمد تتهادى ببطء على خده .. إنطلق
صوت بكاء عبلة مكتوماً خلف يدها التي تكمم
فمها .. ولما رأت عينيه تثبت على عينيها ، لم
تحتمل تلك النظرة ، فأسرعت تحتضن رأس

أحمد على صدرها تقول وسط بكائها بوسط



مرت عش

- سامحنى يا أحمد .. لم يكن موت ابنى على

بالأمر الهين .. وجدت نفسى أسير خلف

الجارية رمانة اللعينة

إختلطت أصوات بكاء عبلة وأحمد فى أجواء
الغرفة .. سحب أحمد رأسه من على صدر عبلة
وقام متثاقلاً .. بخطوات متعبة وصل إلى الباب
يفتحه ، ومن خلفه عبلة تجذبه صائحة

- أحمد .. سامحنى يا أحمد .. يمكن أن نبداً

حياتنا بنصف القافلتين .. سيخلف الله عليك

خرج أحمد هائماً على وجهه غير عابئ
بالدموع المنهمرة وهو سائر عارى الرأس فى
الطريق .

بينما عبلة وعليها ثياب الخروج أسرع .. إلى
قصر ابن زيدون وصلت .. وإلى غرفة الجارية
رمانة متسللة دلفت ورأت رمانة جالسة على



طرف السرير تداعب هرتها ..

بدرت عبلة صائحة بغضبٍ عارم

- لقد إنتهى كل شئٍ يا رمانة

ردت رمانة الجالسة على سريرها تداعب هرتها

- ماذا حدث يا سيدتى ؟

صاحت عبلة فى وجه رمانة محدقة

- أين نصف القافلتين كما الإتفاق ؟

ردت رمانة بهدوء وإبتسامة جعلت عبلة تزداد

غضباً

- إهدئى يا سيدتى .. قد يصل الصوت إلى

غرف الجاريات

سحبت رمانة نفساً سريعاً قبل أن تتابع

- ستصل البضاعة خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر .. وسأستأجر داراً و..
قاطعتها عجلة مسرعة وقالت محاولة خفض صوتها

- أريد أن تصل البضاعة إلى مخازن أحمد قاطعتها رمانة وهى تمرر كفها بهدوء على القطة

- سيدتى .. الفقراء يحتاجون الـ..
علا صوت عجلة تصيح

- أقول إنتهى كل شئ .. أريد البضاعة فى مخازن أحمد

ردت رمانة مبتسمة

- سمعاً وطاعةً يا مولاتى .. خلال يومين أو ثلاثة سيكون ما تريدين

ما أن قالتها رمانة حتى وضعت عجلة طرحتها على رأسها وغادرت .. فى الوقت الذى كانت رمانة تلتحف متخفية خلف نقابٍ أسود ،

وخرجت متسللة .. إلى قصر هارون الوكيل داخلة .. ولنادية بما حدث مُخبرة .. قالت نادية

وهى جالسة وقد وضعت إحدى ساقها على



الأخرى

- سننهي ذلك الأمر .. عودى يا رمانة قبل أن
ينكشف غيابك .. وسأخبرك بما تفعلين لاحقا

قالتها نادية وهى تناول رمانة عقداً ثميناً ..
تناولته رمانة على الفور سعيدة .

- ١٦ -

بعد أيام ثلاثة .. فى المساء كانت الجارية رمانة
فى دار عبلة تقول

- لقد وصل يا سيدتى نصف القافلتين كما
الاتفاق .. لكن مندوب شيخ المنصر يرفض
تسليمى البضاعة .. يريدك أنت

دون أن ترد عبلة إرتدت ملابسها وهرعت
تسابق الزمن مع رمانة .. وصلا إلى مخزنٍ
كبير .. بالبضاعة زخير .. رأت عبلة رجلاً
بالإنتظار والذي لم يكن سوى هارون في أحد
مخازن بضاعته التي احتكر بيعها لحسابه ..
قالت عبلة متلهفة

- أهذه كل البضاعة ؟

- لا .. هناك المزيد في الطريق

- أنا من إتفقت مع شيخ المنصر

قاطعها هارون

- أعلم ذلك وأنا ابنه .. سأعطيك البضاعة ..

بل يمكنني توصيلها إلى مخازن زوجك كما

تودين .. لكن

صمت برهة يبتسم بخبث ثم أرفف وهو يمد يده

يتحسس خد عبلة الواقعة أمامه

- أنا أريدك أولاً

ردت عبلة منفعلة تحقق في وجهه بذهول وهي

تدفع بيده من على وجهها

- ماذا تقصد ؟

- أنا رجلٌ أشتهي النساء .. ولا بد أن أنال

مأربى .. حتى أبلغك مأربك

هكذا قال هارون قبل أن يسمع صياح عبلة
- أمجنون أنت يا رجل .. أين من أتفقت معه
رد هارون مسرعاً

- لن ترينه ثانية .. الأمر لك .. إعطيني
نفسك تأخذين بضاعتك .. وإن لم توافقى
فهذا شأنك
صمت يسحب نفساً عميقاً ثم واصل كلماته
بهدوء مبتسماً

- لكن .. إنسى أن لك شيئاً عندنا



نزلت الجارية من على حصانها أمام باب قصر
يوسف بن حسيب .. إقترب منها أحد الحراس
يرنو إلى عينيها بينما وجهها إختفى خلف اللثام

.. أشار بأصبعه فقام حارسٌ آخر بفتح الباب ..
إتجهت الجارية حيث أشار لها الحارس ..
عبرت الحديقة وما كادت تصل لباب مبنى
القصر حتى وجدت الجارية جومانة بالإنظار
قائلة

- أهلاً بكِ أيتها الأميرة

دخلت حورية بصحبة جومانة إلى أحد الغرف ..
وقامت جومانة بنزع ملابس الجاريات التي
تخفت حورية بها متسللة من قصرها قائلة
- هكذا أمر سيدى يوسف

إمتثلت حورية المتوترة المضطربة لجومانة التي
ألبستها ثوباً مذهباً يكشف عن مفاتن جسدها ..
وكذلك صفت لها شعرها .. ثم جذبتها من يدها
تتجه بها حيث غرفة يوسف .

هكذا جاءت حورية إلى يوسف كما وصلتها
الرسالة .. مستعدة لأن تفعل أى شئ لإنقاذ
حبيبها محمود .. لم تكن ترى شيئاً حولها .. هي
فقط لا ترى أمامها سوى محمود بوجهه المجهد
على الدوام .. لا تسمع شيئاً حولها .. سوى
صوت محمود .. هي السبب فيما حدث له

وعليها أن تصلح الأمر .. هكذا كانت تفكر
حورية .

فتحت جومانة باب غرفة يوسف ودفعت بحورية
للداخل ، ثم أغلقت
الباب خلفها مغادرة



أدارت عجلة بصرها بين وجه هارون ، ووجه
رمانة التي تتصنع المفاجأة والذهول .. ولم تجد
ما تفعله سوى أن تبكى كالأطفال .. شعرت
لحظتها باضطراب .. لا تدري أهى جانية أم

مجنىً عليها .. أحاطتها رمانة بزراعيها تهمس
فى أذنها بصوتٍ كالفحيح
- دعيه يأخذ ما يريد .. لن يعلم أحد .. نأخذ
البضاعة ونعيدها إلى أحمد
كانت عبلة تهز رأسها يميناً ويساراً رافضة ..
ودموعها على خدّها سائلة .. قفزت أمام عينيها
صورة وجه أحمد فى آخر لقاء بينه وبينها منذ
ثلاثة أيام .. شعرت بنظرات عينيها الباكية الذابلة
تخترق قلبها ، هى من فعلت به ذلك .. وعليها أن
تصلح بعض ما أفسدته ، مهما كان الثمن .. لكن
هل يمكن أن يكون الثمن هو شرفها ؟



رأت حورية يوسف مرتدياً عبائة مذهبةً غالية
.. يقف منتصباً واضعاً يديه خلف ظهره مشبكاً

.. وعيونه على جسدها ناظرة .. قالت حورية
بصوتٍ متحشرج مضطرب وجسدها يرتعش
- يوسف .. أنت تعلم أن محمود برئ ، فقد
كان معي ليلتها .. أطلق سراحه ودعه لحاله
وسأعطيك كل ما تطلب

تنهد يوسف في وجهها محدقاً ورفع حاجبه
الأيسر يقول بهدوء

- كنت أدرك أنكِ أميرةٌ غريبة .. والآن
أدركت أنكِ مجنونة

صمت يقترب منها بخطواتٍ متوازنة ثابتة ،
ويديه لاتزال مشبكة خلف ظهره ثم تابع بنبرة
خشنة مخيفة وقد أمال رأسه لتقترب أنفه من
أنفها

- أهذا الصعلوق الحقير هو من أخذكِ مني ؟
قالها وهو يثبت عينيه على عينيها بنظرة ثاقبة ،
جعلت حورية تنظر للأرض متحاشية ثم واصل
- أمن أجله رفضتِ حبي وأهدرتي كرامتي
نطقت حورية بكلمات سريعة متلعثمة وفي
عينيها نظرات رجاءٍ وإستعطاف
- أطلق سراحه ودعه وشأنه .. لن أراه بعد
ذلك .. سأفعل لك كل ما تريد

إستدار يوسف فجأة بعدما سمع جملتها وفك يديه
المشبكة خلف ظهره وأطلق سراحهما قائلاً وهو
يتجه لأحد أركان الغرفة
- أهذه الدرجة تحببه ؟

قالها وهو يملأ كأساً ذهبية بالخمير .. عاد بذات
الخطى الثابتة يقترب من حورية يتجرع الخمر ،
وأشار بأصبعه السبابة باليد الممسكة بكأس
الخمير تجاه الأرض قائلاً بصوت آمر
- إركعى تحت قدميَّ

هذا هو الوعد الذى كان يوسف قد قطعه على
نفسه حين مزقت حورية رسالته فى شرفتها
وألقته فى وجهه .. أقسم يومها ليجعلنها تأتيه
راكعة ولو بعد حين .

إتسعت عينا يوسف حتى كادت تقفز من
محاجرهما .. حين رأى حورية لم تركع .. بل
ألقت بنفسها ساجدة تحت قدميه تقول بصوتها
المكتوم على السجادة

- أصدر أوامرك وأطلق سراح محمود .. وأنا
رهن إشارتك



نزل يوسف على ركبتيه وأمسك بشعر حورية
يجذبها لتعتدل من سجودها .. جرع ما تبقى فى
الكأس من الخمر جرعة واحدة وأطاح به بعيداً
، فأصطدم بالجدار محدثاً دويماً جعل جسد
حورية يقشعر فزعاً .. قال يوسف وعلامات
الذهول على وجهه وقبضة يده متشبثة بشعر
حورية تجذبه
- حتماً هذا الصعلوق بائع الجلود سحر لك -

هكذا لم يجد يوسف تفسيراً للأمر .. لأنه لا
يدرك أساساً شيئاً اسمه الحب .
الحب عند المرأة هو ما يجعلها تنسى الزمان
والمكان
فقط تحيا فى عالم الأحلام

ظل السؤال يتردد فى ذهن عبلة .. هل يمكن أن يكون الثمن هو شرفها ؟ .. ولما رأتها رمانة مترددة .. سارت بها تجاة فرشة فى أحد الأركان أعدت خصيصاً .. وباتت عبلة وسط بكائها فى شبه غيبوبة .. لم تدرى عبلة بأنها صارت على الفرشة ممددة .. ورمانة تخلع عنها ثوبها ممهدة .. تواصل بكائها عبلة مستسلمة .. أمعن هارون النظر إلى جسد عبلة وصار عارياً .. لم تكن عبلة فى حالة تسمح لها أن تدرك ما يحدث لها .. أجهدا البكاء فتوقفت عنه لاهثة .. كما تقول اللفائف لأبد من جعل المرأة فى قمة متعتها .. مر الكثير من الوقت ولا يبدو أن عبلة من الممكن أن تصل لشيء من المتعة .. فقط تبكى ثم تتوقف ثم تعاود البكاء .. كانت عبلة فى عالم آخر .. تحيا فى الذكريات منذ قابلت أحمد فى السوق وحتى نظرة عينيه فى آخر لقائتهما .. تجتر الذكريات وتبكى .. ملَّ هارون فوق عبلة ، فأشار لرمانة التى سارعت تناوله الخنجر ..

أمسك به وهوى على قلب عبلة .. لم يحدث لها
شئ .. فقط تغير صوت بكائها لحظة غرس
الخنجر فى قلبها .. ثم عاد صوت البكاء لما كان
عليه .. تعجب هارون ، فأدار الخنجر فى قلبها ،
فخرج الدم من فمها يختلط بدموعها المنهمرة ..
وتوقف البكاء .



قام يوسف ونزع عبائته بغل .. فصار عارياً
أمام حورية وصاح بغضب
- قفى وإخلعى الثوب
لم يفاجئ الأمر حورية ، لكن يوسف سمع أناتها
المكتومة .. وعيونها صارت بالدموع مملوءة ..
لم يكن الثوب الخفيف يحتاج سوى دفعة خفيفة

من يدي حورية لينزلق تحت قدميها وتصير
عارية .. توهجت أرنبه أنفها إحمراراً ،
وسرعان ما إحتقن وجهها .. وما أن علا صوت
بكائها حتى فزعت على صرخات يوسف فيها
يقول

- علام تبكين ؟

قالها وهو يهوى على وجهها بصفعةٍ قويةٍ
أسقطتها أرضاً .. ثم جذبها من شعرها
يجررها على الأرض تجاه السرير .. إعتدل
يلهث يرقبها وهي تتشنج باكية تحت قدميه ..
سحب نفساً عميقاً ونزل بجسده يقول بهمس
ووجهه محتقن

- إذا لم تتوقفى عن البكاء فإنسى أمرَ ذلك
الصلوق

هرعت حورية تمسح ما علق بوجهها من
سوائل بكائها .. تبتلع ريقها بعنف .. وتسحب



الهواء من أنفها .. فتوقف بكائها ..
نهضت من على الأرض لتقف خاشعة ذليلة
ملاصقة للسرير أمام يوسف ، الذى مد يده
يتحسس براحته وجهها ويداعب بأنامله خصلات

شعرها .. ثم أمسكها بيديه من منكبيها يدفعها
خفيفاً ، فصارت على ظهرها على السرير
ممددة .. نام فوقها وسمع أنات بكائها قد بدأت
مجدداً تتصاعد .. فهوى بلطمةٍ على وجهها
صائحاً

- يبدو أنكِ تعشقين اللطمات على وجهك أيتها
الأميرة

صمت يحدق في عينيها بنظرةٍ شريرة وهي
تكابد رغبة البكاء وتمسح بظهر يديها دموعها
ثم تابع

- تماماً .. كما لطمك الصعلوق بائع الجلود
قالها وهو يستعد لأخذ ما يريد .



قام هارون وسلخ جلد عبلة ولفه فى حقيبتة ..
ساعده رمانه وبعدها إنتهيا لفا الجثة جيداً
بالقماش .. وحملها هارون وإتجه بها حيث
حصانه بجوار باب المخزن ، وضعها عليه
وركبت رمانه خلفه .. لثم وجهه وإنطلق فى
الدروب الضيقة التى لا يحرسها الجنود .. ألقى
بجثة عبلة من فوق الحصان بأحد الدروب ..
وواصل على حصانه السير الدؤوب .. وحين
إقترب من قصر ابن زيدون سمع رمانه تقول
- سأترجل أنا من هنا حتى لا يرانا أحد .. نزل
هارون وساعد رمانه فى النزول .. ما إن
همّت رمانه مغادرة حتى ناداها
- رمانه .. لقد أرسلت نادية لك شيئاً
إبتسمت رمانه تنتظر جوهرة أو صرة من
الدنانير .. إلا أنها رأت حركة سريعة خاطفة من
هارون .. نظرت بعدها على صدرها لترى
الخنجر مغروساً فى قلبها .. وسمعت هارون
- هذا أرسلته لك نادية .. إنها تشكرك كثيراً
سقطت رمانه على الأرض وعلا صوت إرتطام
جسدها بالأرض .. فنظر هارون حوله ولما تأكد
أنه لا يراها أحد .. نزل بجسده ينزع الخنجر

من قلب رمانة ويمسح الدماء من عليه بطرف
ثوبها .. ثم إمتطى حصانه وإنطلق إلى الدار
الأجيرة يكمل العمل .. أذاب الدهن وفلتره
وتحصّل فى نهاية على قنينة زيتٍ أصغر من
أصبع اليد .

تنهد يوسف مبتسماً محدقاً فى وجه حورية
وهى تكابد رغبة البكاء .. وقبل أن يدفع ليمزق
بكراتها ، إنفتح الباب ودخلت رمانة تلهث وكأنها
كانت تعدو قادمة من مسافةٍ بعيدة .. إلّفت
يوسف فزعاً ينظر وعلى عينيه الغضب فى
وجه الجارية جومانة التى لم تعبأ بعيون يوسف
.. ولا المنظر على السرير أمامها وقالت وسط
لهاتها

- سيدى .. القاتل عاد

تلتقط أنفاسها وقد ضاقت عيون يوسف بعدما
كادت أن تلتهمها حين دخلت عليه وسمعها
تواصل

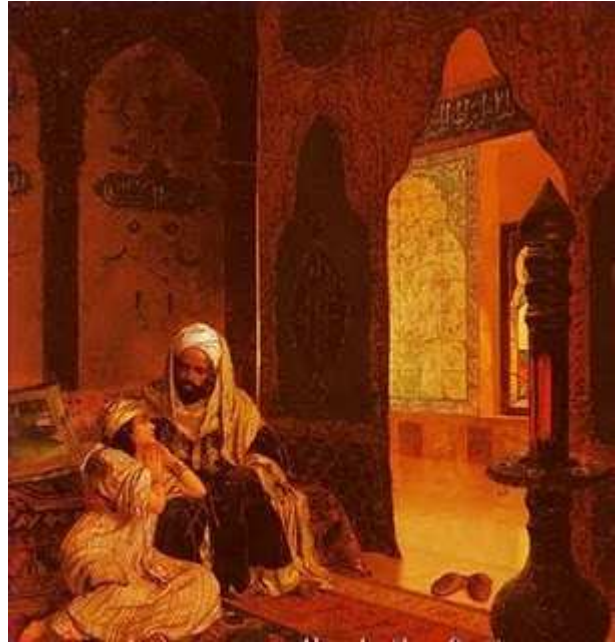
- هناك جثة مسلوخة

تلتقط بعض الأنفاس
- وجثة غير مسلوخة

قام يوسف من فوق حورية .. لم يلتفت لأصوات
بكائها التى أغرقت الغرفة .. هرع يرتدى زيه
وغادر منطلقاً .. بينما لا تدرى حورية كيف
عادت لقصرها .. تفكر .. الآن ظهرت براءة
محمود وسيُطلق سراحه .

سرت الفوضى فى البلاد بعد مقتل عبلة
والجارية رمانة .. لم يعد هناك أمان ، يخشى أية
رجلٍ فى البلاد .. صعلوقاً أو أميراً كان ، على
زوجاته وبناته وأخواته وحتى جارياته من
الخروج ، فقد يقتلهن القاتل المجهول





.. توارت النساء



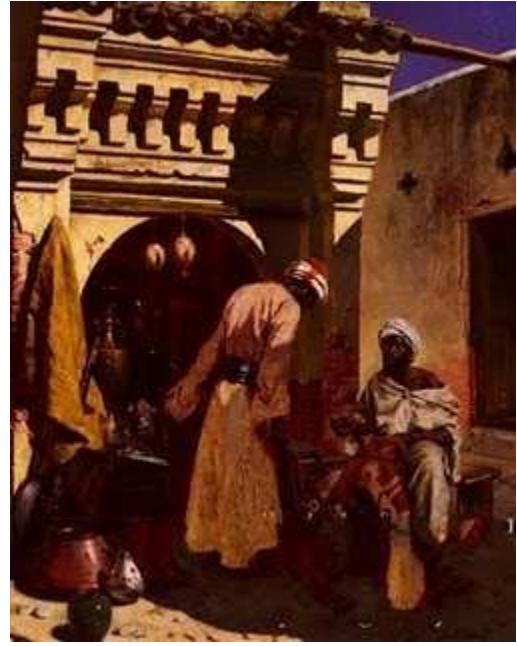
خلف الجدران





.. وبارت السلع

فى الأسواق .. كسدت الأحوال و غرقت البلاد



.. إنتشرت القصص

والأساطير تروى حكاياتٍ عن القاتل المجهول
.. يقولون أنه رسولٌ مأمور .. على أصحاب
الخطايا سطور .. ويقولون أنه سلطانٌ مظلوم
يريد أن يستعيد عرشه المسلوب .. ويقولون أنه
أميرٌ مخبول ، إحتالت عليه جارية فاتنة فسلبت
منه ثروته ، فبغض النساء جميعاً ، لذا هوى
عليهن تقتيلاً .. ويقولون أنها امرأة قتلوا ابنتها



الصغيرة فهي تنتقم
..تملك الخوف والذعر من الناس والعباد وحتى
الأمراء والأعيان ، تجاه القاتل المجهول .
هذا إلى جانب إحتكار هارون لبضاعة القافلة ،
فى البلاد نقطة فاصلة .. حدد الشيخ جليل باسم
هارون للسلع أسعاراً باهظة .. لم يقدر عليها
سوى الأمراء والأعيان والأغنياء .. بينما لم يجد
الفقراء ثمن ما يحتاجونه ، بعدما تقافزت
الأسعار بطريقةٍ مجنونة.



وكان لابد من وقفة

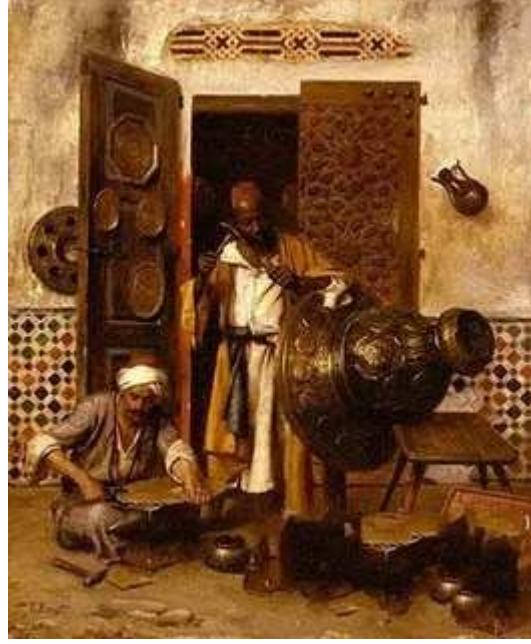
بداخل القصر السلطاني

كان السلطان المبروك وابنه ولى العهد جلال مع
الحاشية المحتشدة مجتمعين .. صرخات جلال
تشق أجواء المكان
هذا القاتل يعبث بنا .. يسخر منا .. ألا نستطيع
أن نوقفه ؟ .. لقد جعلنا أضحوكة للعباد .. لا بد
من الإتيان به بأى ثمن

فى نفس الوقت
بداخل المسجد

كان القوم المعارضون للسلطان مجتمعين ..
وبأنظارهم جميعاً تجاه المأمون مشدوهين ..
وإلى كلماته بصوته يشق سكون المسجد
مستمعين

- لقد زاد الظلم والطغيان .. تجلّى لنا ضعف
الحكام .. قاتلٌ طليق السراح يعبث بالبلاد ..
لا بد لنا من وقفة .. وعلينا بالظلم ألا نرضى



بداخل القصر السلطانى

يتحرك جلال فى المكان كالممسوس .. وعلى
وجهه تعبيرات الجنون .. يردد ويصرخ
كالمحموم

- إجعلوا فى كل شارع من الجند والحراس ..
بل فى كل دربٍ وزقاق .. بل ضعوا حارسا
أمام كل بيتٍ فى المدينة .. إذا صدق ما
يردده المعارضون عن الخطايا السبع ، فلا
يزال أمامه جثة مسلوخة أخرى وقد
يصاحبها قتلى كما حدث لجارية ابن زيدون
صمت يحدق فى وجه قائد الشرطة يوسف بن
حسيب بنظرة إرتعد لها جسد يوسف ، وواصل

مخفضاً حدة صوته ، يقترب برأسه من رأس
يوسف الجالس وقد أشاح بوجهه يتحاشى نظرة
جلال وسمعه
- هذا رهانٌ قائم بيننا وبينه .. لن ينال من
السابعة

بداخل المسجد

قال الوائل بن الإبراشي
- وماذا نفعل يا مأمون ؟
رد طالع بن الأسياد
- نحن لا نريد قتلاً ولا دماء
تدخل المصطفى بن البكري بصوته الجهوري
- لابد من حلٍ بعيدٍ عن العنف والدماء
صاح المأمون ، فعاد الجميع له مستمعون
- علينا أن نحث العاملين والموظفين
المقهورين عن عملهم لدى الأغنياء من
الأمرأء والأعيان يمتنعون .. حتى تزداد
الأجور .. وعلينا أن ننظم المظاهرات
السلمية نطالب بحقوق الفقراء من الأغنياء ،
بلا عنفٍ ولا دماء

بداخل القصر السلطاني

بالكاد نطق يوسف قابضاً بيده على مقبض
السيف في غمده يرنو بعينه لوجه جلال يطرفها
سريعاً

- قد لا يكفي ما عندنا من جنود لكل هذه

الحراسة يا مولـيـ.

قاطعه جلال صارخاً فأقشعرت أجساد

الحاضرين

- إستمعوا بجنود الجيش

قالها وهو يدير وجهه من على يوسف إلى

الوزير البشير بن الطرطاوي قائد الجند .. الذي

رد سريعاً بوجهه النحيف وعينه الغائرة

- كل جنود الجيش تحت أمر الشرطة يا

مولاي

بداخل المسجد

يقول إبراهيم بن عيسى بهدوء

- هذا يتوقف على طاعة الناس لنا ..
والتزامهم بكلامنا .. حتى لا يسود العنف
وتُسفك دماءنا
رد المأمون بحماس
- سنحرص على ألا يتجاوز ذلك الحدود

بداخل القصر السلطاني

هدأت نبرة جلال وهو يواصل كلماته بنبرة
تحدى وإصرار
- لن يعبث بنا هذا القاتل مرةً أخرى .. أريده
حيّاً لأسحقه بيدي
قالها جلال وهو يرفع زراعته اليمنى ، ويقبض
بيده معتصراً أصابعه في الهواء وكأنه يسحق
شيئاً بقبضته .

بداخل المسجد

بصوته الوقور وبنبرةٍ هادئةٍ يواصل المأمون
كلماته

- إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما
بأنفسهم .. فإذا أراد المظلومين والمقهورين
من العباد أن يحيوا حياةً كريمةً ، فعليهم ألا
يخنعوا للظالمين
قالها المأمون وهو يمد كفيه المفرودين أمام
صدره ويواصل
- والله المستعان في كل الأمور



نشط القوم المعارضون للسلطان وعلى رأسهم
المأمون .. عن حقوق العباد يدافعون .. بدأت
التظاهرات والإضرابات تنتشر في الربوع ..
إضطرت الأغنياء لرفع قيمة الأجور .. ليعود
الخدم والعمال في قصورهم يعملون .. يجلس
الخدم في البر تاركين أعمالهم



.. وتجتمع
العاملات فى الخلاء محتجبين عن أشغالهن



..ولما وجد العباد
أن الوقوف فى وجه الظلم والطغيان يفوز ..
إزدادت المظاهرات والإعتصامات والإضرابات
وإنتقلت من الربوع إلى الطرقات والدروب .

نزل ولى العهد بنفسه فى عربته الفخيمة يتجول



فى المدينة .. فرأى
بنفسه كيف عمت الفوضى وبأنت المصيبة ..
عاد وإستدعى قائد الشرطة وقائد الجند بين يديه
برؤوسٍ ذليلة .. صرخاته تشق ردهة القصر
السلطانى الفسيحة

- أريد أن يتضامن الجيش مع الشرطة لبتتر
هذه المصيبة .. لقد تركتم هؤلاء القوم بعقول
الناس يعبثون .. إنهوا هذه الفوضى بأى
طريقة .. إقبضوا على المعارضين ومن
والاهم .. وعلى كلٍ من تسول له نفسه
إشاعة الفتنة أن يذوق العذاب .. إضربوا
لدى المخربين كل بنان .. أطيحوا بالأعناق
.. على الجميع أن يعلم أن قبضة السلطان
تحكم البلاد

هكذا خرج قائد الشرطة يوسف بن حسيب ومعه
قائد الجند البشير بن الطرطاوى .. إختلط جنود
الشرطة بجنود الجيش كالشياطين فى الدروب
والطرقات والربوع والأنحاء .. وبدأت المعمة
.. وسُفكت الدماء من المظلومين والجُناة على
السواء .. الناس تقتل الجنود والجنود يقتلون
الناس .. لم يقتصر هجوم الجنود على
المتجمهرين من المتظاهرين فى الطرقات ، بل
إمتدت إلى البيوت الآمنة بمجرد سماع خبرٍ ولو
كاذب أن هذا البيت بداخله متظاهرون مختبئون
، أو أن به إجتماعاً لتنظيم إعتصامٍ أو مظاهرة
.. فعلى الفور يهاجمه الجنود ، يدمرون
ويحرقون ويقتلون .. وبعد أيامٍ من سفك الدماء
التى ملأت الشوارع والطرقات .
توقف القتال

إنتهت المعمة بنتائج مبهرة

إنتصر السلطان أو بالأحرى ولى العهد .. أو
الأصح إنتصر الظلم والطغيان

وتم إحكام السيطرة على البلاد

إمتلأت زنزانات ديوان الشرطة بالمعارضين
بما فيهم إبراهيم وابن الإبراشى وابن السادات
وابن البكرى و المأمون .. وقبلهم فى الزنزانة
قابعٌ محمود .. أما أمجد بن الجلاذ فقد ربح وفاز
لم يكن ممن فى السجن من المنزلين .. هكذا
دائماً من يكون على الحياد فهو من الرابحين .

- ١٧ -

بعدما تم إخماد الفتنة .. نشط الممتاز بن القطة
يموء بغازاته خاطباً فى الناس .. مدافعاً عن
السلطان وولى العهد ، وأنه لولا حنكة السلطان
لما خمدت الفتنة وأكلت الأخضر و اليابس ..
إلتف حوله أصحاب المصالح موالين .. ومن
الناس بعض المنافقين .. بينما حظى المأمون
بشعبية جارفة بين الناس والعباد .. فهو سيف
الحق البتار .. البطل الهمام الذى قاد ثورة
المظلومين على الطغاة .. رُويت عنه الأساطير

والحكايات .. رغم ما حدث فى البلاد من هلاك
.. إلا أن الأغنياء الآن قد صاروا يعلمون .. أن
الفقراء لهم بالمرصاد قائمون .. نوعاً ما زادت
الأجور .. يدعوا الناس للمأمون .. أن يفرّج الله
كربه ويخرجه من محبسه هو والقوم
المعارضين .



خلال أيام الفتنة ، كانت نادية فى قصر هارون
معه مختفية .. وما أن بدأت الفتنة حتى ضاعف
هارون من الحراس على القصر .. فهو يدرك
أنه سبباً هاماً بقافلته التى إحتكر بضاعتها فى
ارتفاع الأسعار وإندلاع المظاهرات
والإضرابات .. زاد من رواتب الحراس .. ليل
نهار على حراسته يتناوبون ، بينما نسى هو ما
يحدث بالخارج فإنغمس فى إشباع غرائزه

وملذاته .. يعبت لاهياً مع الجاريات .. يعج
القصر بالرقص والغناء



.. بينما نادية
تركته مع الجاريات لاهياً .. أحياناً تشارك
وأحياناً في غرفتها تحتجب .. تتمدد على الدوام



شاردة .. تنتقل بين
غرف الخدم والعبيد والجاريات عن شرودها



لاهية

.. وعندما إنتهت الفتنة وهدأت الأمور .. وقفت أمام

هارون فى غرفته تقول

- غداً تذهب إلى القاضى .. تعتق رقبتى

وتأتينى بصك حريتى

قالتها بلهجةٍ آمرة وبعينيهما نظرةٌ قاهرة .. إبتسم

هارون وعلى وجهه علامات الإستفسار وقال

- هل سترحلين ؟

ردت نادية مسرعة وهى تقترب من هارون

أكثر ، ليشعر بأنفاسها

- لا أنا معك يا هارون .. لم نصنع عطرنا بعد

رد هارون الذى كان يتمنى أن ترحل نادية عنه

، لينعم بملذاته بعيداً عن القتل

- ومتى السابعة والأخيرة ؟ .. لأتزوجك

وتصيرى لدى أميرة

ضحكت نادية وقالت بهمس ودلال

- أتريدُ حقاً أن تتزوجنى يا هارون ؟

رد هارون بحماس بينما زاغت عيناه
- اليوم إن أردتِ -

طبعت نادية قبلة على فم هارون وقالت
- بعدما تأتيينى بصك حريتي فى الغد .. أريد
أن أنعم معك بليلة ساحرة عند البئر الناضبة
.. فمذ فترةٍ طويلة قبل الفتنة بأيام لم نتقابل
هناك

قالتها وطرف لسانها يعبث على شفثيها بالكلمات
، فابتسم هارون قائلاً
- حتى يحين الوقت .. ستمر الساعات على
كالدهر

قالها بينما نادية تعطيه ظهرها مغادرة تتبختر .

فى الغد دخل هارون إلى غرفة نادية بعد
الظهيرة يناولها صك حريتها فقد صارت الآن
حريرة وقال

- أنتِ حرة يا نادية .. لم تعودى جارية بعد



اليوم

قالها وهو يجلس على طرف السرير ، وهى
ممدة إلى جواره .. زاغت عيناه ورسم على
وجهه ابتسامة باهتة يسأل

- نادية .. لقد مضى بيننا وقتٌ طويل ..

وصرنا معاً تحت سقفٍ واحد .. ألا

تخبرينى بحكايتك ؟

مدت نادية يدها تخلع عمامة هارون وتمسح
بكفها على شعره قائلة بلا مبالاة

- أية حكاية يا هارون ؟

قطب هارون حاجبيه وقال

- لماذا كلماتك معى دائماً مقتضبة ؟ .. أشعر

أنك تخفين عنى الكثير

صمت حين وجد أصابع نادية قد نزلت زحفاً
من على شعره ووصلت تداعب شفاهه .. تنهد

ينظر فى عيني نادية الزرقاء الآخاذه بـرموشها
السوداء الهدباء ، وواصل بكلمات بطيئة متقطعة
- كيف تحكمين سيطرتك على الأمور هكذا ؟
.. تتديرين ما حولك كقطع الشطرنج بين
يدى لاعبٍ ماهر .. من أين أتيت بالمال
والجواهر والقوافل .. وحتى تلك اللفائف أين
عثرت عليها ؟ .. وما أنت سوى جارية
إتسعت عينا هارون ليتدارك جملته الأخيرة قائلا

- حتماً أنت لست بجارية .. ما حكايتك ؟
توتر هارون حين رأى على وجهها ملامح
غامضة ، وعينيها ترنوا فى الفراغ ناظرة ..
وفجأة تبدلت ملامحها لتضحك وتضحك .. إبتسم
هارون لضحكتها مندهشاً .. قلبت نفسها من
على ظهرها لتصير ممددة على جنبها ، تسند
رأسها على زراعها المنصوبة .. تبتر ضحكاتها
وتقول ببطء

- ما أنا يا هارون إلا جارية .. إشترانى رجل^{٢٨}
عربى^{٢٨} من بلادى .. هو من علمنى لغتكم
وعاداتكم .. ظللت معه سنوات .. أحببته
وعشقتة .. وعثرت عنده على هذه اللفائف ..

إستهواني ما فيها .. فوددت أن أصبح بدلاً
من جارية أميرة .. غارت منى زوجته
فدفعته إلى بيعى .. باعنى إلى أم مرمر التى
علمتنى الرقص والشعر والغناء .. ثم باعتنى
إلى ابن زيدون .. لم يكن تفكيرى فى اللفائف
يفارقنى .. والعطر الذى سيجعلنى أميرة ..
و حين رأيتك هناك عند ابن زيدون ..
وأدركت كم أنت مغرمٌ بالعطور .. تيقنت
أن القدر قد أرسلك لى لتعاوننى على صنع
العطر المسحور .. فجئت متسللة إليك
وأعطيتك وأتمتك على صندوق اللفائف
السبعة

تنهد هارون ، فلم يكن فيما قالت نادية شيئاً
بالنسبة له مجهول وقال
وعلى وجهه علامات الفضول

- وهل ما جاء فى اللفائف حقيقى يا نادية ؟
ردت نادية بعدما علت حاجباها المثيرة فى
جاذبية

- لن نخسر شيئاً .. دعنا نكمل ونرى .. فمن
قتلناهم أصحاب خطايا تستوجب القتل
قاطعها هارون

- سمعت ما يتردد عن الخطايا السبع وحكايتها
منذ العصور الوسطى .. لكنى أشعر أن من
قتلناهم أبرياء
حدقت نادية فى وجهه وتقلصت ملامحها لتقول
محتدة

- أبرياء ؟ .. الشرهة رشيدة التى لاتكف عن
إلتهام الطعام .. والرغبة فى العاهرة وردة ..
والقردة الكسولة ميمونة زوجتك ..
والحسودة البخيلة التى عاشرتها بنفسى أم
مرمر .. والجشعة خيرازانة التى تحت
زوجها على قبول الرشاوى .. والغاضبة
دوماً عبلة التى أفلست زوجها إنتقاماً ..
والجارية الجاسوسة على ابن زيدون رمانة
، كان يجب التخلص منها حتى لا يفتضح
أمرنا .. كلهن أبرياء ؟

جالت عيون هارون فى أرجاء الغرفة يقول
- لكنى كنت أشعر فى لحظات قتلهن بغير ذلك
قالها هارون وصمت ينتظر الرد من نادية ..
وجاءه الرد .. لم يكن كلمات ، وإنما زغرة
مخيفة من عينيها الزرقاء جعلته يتلعثم قائلاً
- والمال والجواهر والقافلتين ؟

تنهدت نادية وإبتسمت تقول وهى لاتزال على
وضعها راقدة على جنبها ، وهارون جالس على
طرف السرير إلى جوارها

- لم أكن أملك سوى الجوهرة التى أعطيتك
إياها لتستقطب بها وردة .. والجواهر والمال
الذى أعطيتك إياه لتشتري القصر وما فيه
هو كنز أم مرمر .. حين كنت عندها قبل
بيعى لابن زيدون ، رأيته ذات مرة تتسلل
وتخفى المال فى صندوقٍ كبير مخبأ تحت
سريرها .. أخذت الكنز عندما كنت أنت
عندها .. أما القافلتين مجرد إتفاق بينى وبين
شيخ المنصر .. أخبره بمسار القافلة فيهمج
ويستولى عليها وأحصل أنا على النصف
مقابل ذلك .. القافلة الأولى كانت ملك الرجل
العربى الذى أحببته وباعنى ضعفاً أمام
زوجته .. أردت الإنتقام .. راسلتنى جارية
عنده ، صديقةً لى وعلمت منها بمسار
القافلة .. أما الثانية فهى نصفى قافلتى ابن
زيدون علمت بمسارهما من رمانة
صمتت تلتقط أنفاسها متنهدة ثم قالت
- هذا كل شئ .. ما أنا إلا جارية

بترت جملتها تتناول صك حريتها من جوارها ثم
تداركت

- أقصد كنت جارية .. والآن صرت حرة
قالتها وهى تلوح بصك حريتها ضاحكة أمام
وجه هارون الذى سأل

- وكيف وصلتِ لشيخ المنصر ؟
ردت نادية باسمه

- هو ليس بغريب أنت تعرفه
صمتت ترقب عيني هارون المتسائلة ثم
واصلت

- إنه الشيخ جليل .. شيخ المنصر



إبتسم هارون محققاً فى وجهها الفاتن قائلاً
- أنتِ جِنِيَّةٌ ولستِ من عالم الإنس

قالها وهو يشعر بداخله أنه رغم تفسيرات نادية وإجاباتها على تساؤلاته ، إلا أن هناك شيئاً ما ناقصٌ حتى تكتمل الصورة .. أفاق من شروده على يد نادية تمسح على وجهه وتقول بحنان لم يعتاده هارون منها

- اذهب الآن وإنعم بالنوم لتستريح .. فأنا أريدك الليلة منتبهاً متيقظاً .. سنغادر للبئر الناضبة عند منتصف الليل
أخرجت نادية طرف لسانها تمرره على شفتيها قبل أن تردف
- فأنا متشوقة لك

عند منتصف الليل كان هارون على حصانه ومن خلفه نادية .. منطلقان إلى الصحراء .. كان في الأمر جديد ، ليس فقط أن هارون ونادية على حصانٍ واحدٍ وإنما لم تكن نادية مختفية وراء ثوبها الأسود .. بل كانت ترتدى ملابس الحرائر زاهية الألوان ، كاشفة عن وجهها تحتضن هارون من الخلف بزراعيها .. وصلاً حيث البئر الناضبة .. نزلت نادية تنزع ملابسها

سريعاً وتكومها بعيداً .. تبعها هارون وصار
هو الآخر عارياً .. سمعها تقول

- هارون إلحق بى

قالتها وهى تجرى بعيداً .. فجرى هارون
ورائها ضاحكاً سعيداً .. تحت ضوء القمر
المكتمل بدراً كانت نادية تتحرك كالفراشة ..
بينما هارون يلهث ورائها فتوقف من التعب
يركع مستنداً بيديه على ركبتيه يقول وسط لهاته
- لا يمكننى اللحاق بكِ

تضحك نادية وهى تقترب وشعرها الكستنائى
يتطاير بنسيم الصحراء الوديعة



.. لما رآها هارون
تقترب منه إعتدل واقفاً ، وفجأة جرى ورائها ،

كاد أن يمسك بها إلا أنها أفلتت ، فسقط فوق
الرمال على وجهه ورمال الصحراء تنغرس في
جلده .. ضحكات نادية المتلاحقة بسعادة تتردد
في المكان .. إقتربت تساعد هارون على
الوقوف ثم إستدارت تمشي متهادية حافية على
الرمال .. أغمضت عيناها ورفعت رأسها إلى
السماء تلتقط أنفاساً عميقة هادئة وتصفق بيديها
أمامها .. رأى هارون وكأنه إستمد من مشهدها
طاقة الحياة ، إنطلق يعدو ورائها .. شعرت هي
به ، وقبل أن تنطلق كان هارون على وسطها
بزراعيه قابضاً يصيح
- لقد أمسكت بك .. أخيراً نلت منك -



قالها بينما ضحكاته تختلط بضحكات نادية ..
وسقطا على الرمال .. ليذوبا في قبلة شهوانية

طويلة .. إعتلى بعدها هارون جسد نادية التى
قامت وأمسكت هارون من يده تجذبه تجاه البئر
أرقدت هارون على بطنه فوق الرمال إلى جوار
سور البئر وبدأت تدليك ظهره برفق .. قلبته
على ظهره وهوت عليه .. شعرت بهارون
يقترب وهو يهمس

- ماذا تفعلين بى يا نادية ؟ .. لا أستمتع مع
غيرك مثلما أستمتع معكى
قالها وهو يرى نادية تبتعد خطوات ثم تعود قائلة
- أنا لم أرى رجلاً يعشق النساء مثلك يا
هارون

قالتها وهى تزيح خصلات شعرها المنسدلة على
جبينها وتعاود عملها، وفى الوقت الذى إنتفض
فيه جسد هارون ، مدت نادية يدها تمسك
بالخنجر الذى أحضرته منذ قليل من طيات
ملابسها ، وهوت به تغرسه فى قلب هارون
وتديره بعنف .. رفعت رأسها ترنوا إلى وجه
هارون وعيونه المفتوحة المكدقة بعدما إنطفأ
نور الحياة فىهما .. قامت تستنشق الهواء بتلذذ
وهدوء .. عادت تجلس على جثة هارون تسلخ
الجلد على مهل .. وبعدما إنتهت لفت الجلد فى

حقيبتها .. وحملت الجثة المسلوخة وألقت بها فى
البئر الناضبة .. شرعت تمسح الدماء قدر
إستطاعتها بملابس هارون .. ثم توارى جسدها
الذى لايزال ملطخ ببعض الدماء بعدما إرتدت
ملابسها .. ألقت بملابس هارون فى البئر علّها
تدفئه إذا إشتد البرد .. إمتطت حصانها وإنطلقت
إلى دار هارون الأجيّة .



توقف هارون عن قراءة اللفائف من بعد اللفافة
الثالثة .. فكانت نادية هى التى توجهه إلى
صاحبة الخطيئة بدءاً من الرابعة أم مرمر .. لذا
لم يدرك هارون أن اللفافة السابعة والأخيرة هى
لرجلٍ وليست لإمرأة .. خطيئة الغرور .. ورغم
أن هارون لم يكن مغرور .. إلا أن ذلك لا يهم
فى الموضوع .

وصلت نادية إلى الدار الأجيّة .. أعدت العدة وإنهمكت فى كشط طبقة الدهن من جلد هارون .. أذابتها فى المرجل على النار ثم فلترتها بقطعة قماش من الدانتيل ، وبعدها أضافت الملح وأعادت غلى الزيت ثم فلترته مجدداً لتتحصل فى النهاية على قنينة الزيت التى تماثل اصبع اليد .

اللحظة المنتظرة قد حانت .. جمعت نادية زيوت النساء الست وزيت هارون وخلطتهم ببعضهم فى قنينة كبيرة ثم أحضرت بعض ماء الجير والذى يُستخدم فى صناعة الجلود.. وأرادت أن تخلط الزيت بالماء ، لكن الزيت لا يختلط بالماء ، فلا يمكن أن يختلط الزيتُ بالماء .. هنا أحضرت نادية سائل صابونى يُستخدم فى الإستحمام ، ويتم جلبه للبلاد عن طريق القوافل الوافدة من بلاد الفرس والروم .. يقتصر إستخدامه على الأمراء والأعيان لثمنه الغالى .. أضافت نادية بعضاً من السائل الصابونى على الزيت ورجته جيداً .. ثم أضافت فوقه ماء الجير ، فامتزج الزيت بالماء فى قوام متجانس ..

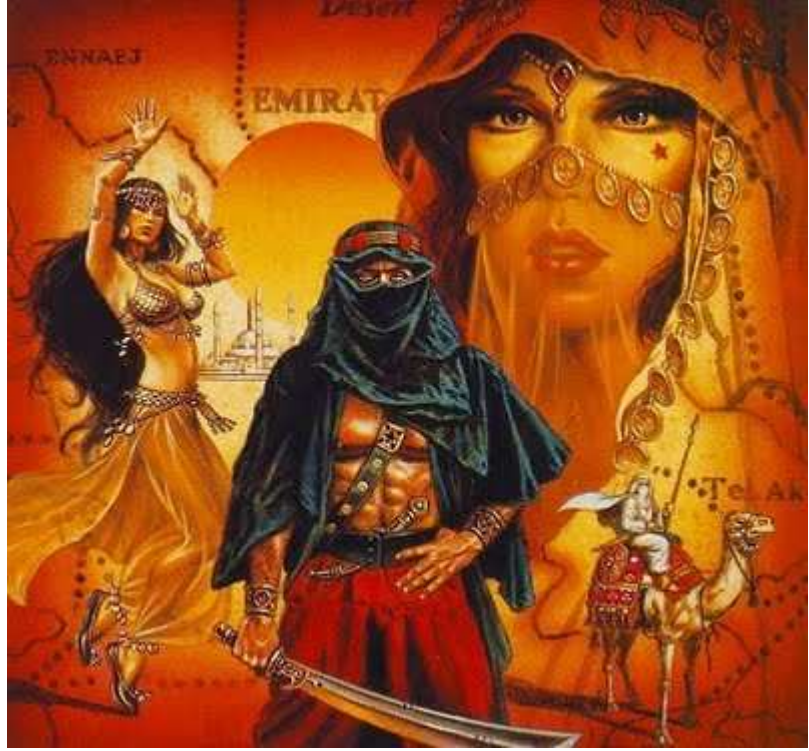
قامت نادية بلفتريته من بعض الدهنيات العالقة
عدة مرات .. لتتحصل فى النهاية على ما يقرب
من ربع لتر من سائل أصفر لزجاً بعض الشيء
.. والذى لم يكن عطر .. وكانت نادية تعلم ذلك .

لم تكن اللفائف تتحدث عن صناعة عطر .. وإنما
كانت تتحدث عن سائل يجعلك تتحكم فى الأمور
من حولك .. ولما وجدت نادية هارون المهوروس
بالعطور .. وإستعلمت عنه فوجدته مفلساً

مديون .. أدركت أنه النموذج المثالى الذى يمكن
أن يمتثل لأوامرها ويساعدها فى صناعة السائل
.. أوهمته أن السائل الذى تتحدث عنه اللفائف

هو عطر .. ترشه على جسدك ويشتمه من
حولك فيصيروا لك طائعين ذليلين .. لأوامرك
منفذين .. وبهذا تكون سلطاناً وسيداً على الناس
من حولك .. كان ذلك أسطورة قديمة ، إستغلتها
نادية للإيقاع بهارون الفريسة ، الذى سار خلفها
ليس فقط بسبب عقله المخبول بالعطور ، ولكن
لأنه وجدها تقوده من الإفلاس والديون إلى حياة
العز والجوارى والقصور .. ولما إستهواه النعيم
، وفكر أن يتوقف عن القتل والتسليخ .. تلقى

تهديد نادية والوعيد .. وأدرك أنها تستطيع أن
تعيده فريسةً للدائنين .. فواصل معها الطريق
.. لما تأمر مطيع .. حتى صار جثةً فى البئر
الناضبة مكين .



كذلك لم تكن صناعة السائل لها علاقة بالخطايا
السبع .. فقط هى نوعٌ من التدبير .. إنما يعتمد
الأمر على النسبة والتناسب .. معادلة من واحد
إلى ستة .. هذا كل شئ .. يمكنك أن تصنع
السائل من دهون ستة إناث ودهن ذكرٍ واحد ..
كذلك يمكن صناعة السائل من دهن أنثى واحدة
وسُدسُ دهن ذكر .. حيث تقسم الدهون
المستخلصة من الرجل وتستخدم السُدس منها

فقط .. وكذلك دهن أنتئين يحتاج لثلاث دهن رجل .. وهكذا لابد أن تحافظ على النسبة والتناسب .. واحد إلى ستة .. الفرق فقط في كمية السائل الناتج .

أما عن ماهية هذا السائل .. فلم يكن أحد يعلمها في ذاك العصر .. لكن العلم والكيمياء في عصرنا الآن ، أوضحت لنا الأمر.

عملية الإثارة الجنسية عند المرأة تبدأ بالتعرض لمثير جنسى .. ويحكم هذه العملية وأعراضها عدد من الهرمونات والمواد الكيميائية المفرزة في الدم ، وعلى رأسها هرمون البروجيستيرون والإستروجين .. وهما المسئولان عن مظاهر الإثارة الجنسية عند المرأة .. يتم إختزان جزء من هرمون البروجيستيرون والإستروجين أثناء ممارسة الجنس في النسيج الدهنى تحت الجلد .. ثم يُعاد إفرازه من النسيج الدهنى للدم تدريجياً بعد إنتهاء الممارسة الجنسية ، حيث يتم تكسير هذه الهرمونات في الكبد وإخراجها في البول .

أما الإثارة الجنسية فى الرجل فهى تخضع
لهرمون التستوستيرون ، ويتم إختزان جزء منه
تحت الجلد أثناء الإثارة الجنسية ثم يُعاد إفرازه
فى الدم بعد زوال الإثارة .

وفقاً لذلك يكون الدهن المكشوط من جلد النساء
بعد الجنس مباشرةً مشبع بالبروجيستيرون
والإستروجين .. وعند إذابة الدهن وفلترته ، يتم
إستخلاص البروجيستيرون والإستروجين فى
قوام زيتى .. ثم يتم إضافة الملح حيث يتولى
الصوديوم الموجود بالمح فى التفاعل مع
الجزئيات الدهنية لتذوب بتقليل توترها السطحى
.. ومع إعادة الفلتره نحصل على البروجيستيرون
والإستروجين فى قوام زيتى نقى .. ونفس الأمر
مع دهن الرجل ، فنحصل على التستوستيرون
فى قوام زيتى نقى .. وبخلط الزيت بماء الجير
 Ca(OH)_2 بمساعدة الصابون الذى يقلل
التوتر السطحى للزيت فيتغلغل بين جزيئات
الماء وبعد تكرار الفلتره عدة مرات للتخلص من
أية شوائب ، نحصل على سائل أصفر نقى له
لزوجه خفيفة .. والذى هو عبارة عن إتحاد

المركبات الكيميائية الثلاثة البروجيسترون والإستروجين والتستوستيرون الذكرى بنسبة ١:٦:٦ بالتفاعل مع ماء الجير Ca(OH)_2 ، حيث يتم تكسير الروابط الثنائية بين ذرات الكربون والأكسجين ويحدث الإتحاد الكيميائي لينتج مركب جديد نتيجة هذا التفاعل ويصبح هو المكون لهذا السائل .



هذا هو السائل الغامض الذى قُتل من أجله ستة نساءٍ ورجل .

أما ماذا يفعلُ هذا السائل ؟ .. وكيف يجعلك تتحكم فى الأمور من حولك ؟

لا يعرف أحد

ولا حتى نادية

ذهبت نادية بصحبة بعض جاريات هارون إلى ديوان الشرطة بعد يومين تبلغ عن إختفاء هارون .. بحث عنه رجال الشرطة فى الطرقات والبيوت .. كانوا يعتقدون أنه فى الغالب صار جثة .. فأتجهوا لأطراف المدينة يبحثون .. ووصل جنديان إلى حيث جثة هارون فى البئر الناضبة .. نظرا من على حصانيهما حول البئر .. فلم يجدا شيئا .. لم يكلف أحدهما نفسه بالنزول من على حصانه والنظر إلى قاع البئر .. وهكذا صار هارون من المفقودين فى بئر النسيان .. إنصرفت الشرطة عن البحث عن هارون لأمر آخر ، وهو قمع المظاهرات والإضرابات التى بدأت فى الظهور مجدداً .. ولكنها هذه المرة ليست من الفقراء والمساكين وإنما من العاملين بالدواوين وحتى كبار الموظفين .. لم تعد تصل رواتب العاملين فى الدواوين التابعة للحكم السلطانى .. وأولها ديوان

التجارة وديوان الصناعة وديوان القضاء ..
إحتملوا تأخر الرواتب قبيل إندلاع الفتنة ..
وصبروا على تقسيطها لهم وقت إعتمال الفتنة ..
لكنها إنقطعت عنهم فى الآونة الأخيرة بعد إنتهاء
الفتنة .. ومع إرتفاع الأسعار وما حدث فى البلاد
من إضرابات ومظاهرات ، وكسدت الأحوال ..
وجدوا أنفسهم يتسولون .. فنظموا المظاهرات
والإعتصامات والإضرابات .. بعيداً عن القوم
المعارضين اللذين لا يزالون فى السجن منزولين



أوشك السلطان المبروك بنصيحةٍ من ابنه وولى
عهده جلال ، أن يأمر بالإفراج عن القوم
المعارضين .. حتى يظهر أمام الناس والعباد
بمظهر السلطان الأمين .. إلا أن مشكلة الرواتب

والأجور المتأخرة عن الدواوين .. غيرت مسار
القوم المعارضين .

ووقف جلال واضعاً يديه فى وسطه بثيابه
الأنيقة ، بينما الوزير بطريق المسئول عن بيت
المال يجلس أمامه خاشعاً ذليلاً ، بداخل ساحة
القصر السلطانى الفسيحة ، عند الظهيرة .
يقول جلال بهدوء بينما عيناه تومض بلهيب
الغضب

- ما الذى منع من وصول رواتب الدواوين
من بيت المال أيها الوزير ؟
رد الوزير بطريق مطأطئ رأسه التى توارت
صلعتها تحت عمامته وقال
- لا يوجد ما يكفى فى بيت المال مولاي
الأمير

رفع جلال يديه من وسطه وجعلهما يلتفان على
صدره وقال وهو يشيح بوجهه عن رأس الوزير
بطريق المنكسة
- وأين تذهب الأموال من الضرائب التى يدفعها
العباد إذن ؟

تنهد الوزير بطريق ورفع رأسه ليظهر وجهه
المستدير بحاجبيه الكثين يقول مسرعاً كمن
يتخلص من حملٍ ثَقِيلٍ على صدره

- القروض هي المشكلة يا مولاي .. عندما
سأنت أحوال البلاد .. تعثر أغلب التجار عن
سداد ما عليهم من قروض .. فكانوا يسددون
شهرًا ، وشهرًا عن السداد يمتنعون .. وبعد
إندلاع الفتنة وكساد حال البلاد .. لم يعد
أصحاب القروض لما عليهم يدفعون
ما إن أنهى الوزير بطريق جملته حتى إرتعد
جسده على صيحةٍ مدويةٍ من جلال يصيح
- ماذا تقولُ يا رجل ؟ .. إليس عندك من
الضمانات ما سمح لك بإعطائهم القروض ؟
لم يكن عند الوزير بطريق ضمانات ، هو فقط
يعطى القروض مقابل الرشاوى بلا حتى
إحتياطات .. فإضطر للإجابة كاذباً
- عندي يا مولاي كل الضمانات .. و
قاطعه جلال يواصل محتداً بعدما إقترب منه
يحدق في عينيه
- قم بمصادرة ما أخذته عليهم من ضمانات ..
لا بد أن تنتهى هذه المشكلة خلال أيام

وقبل أن ينطق الوزير بطريق بشئ .. كان
جلال يشيح له بيده صائحا

- هيا إبدأ من الآن

أسرع الوزير بطريق إلى بيت المال يفكر ماذا
يفعل فى هذه المصيبة ؟ .. وسرعان ما إنتشر
الخبر فى المدينة .. بينما إنصرف جلال يبحث
عن حلٍ لتلك الفجيعة ، مع صديقه ابن العز
صاحب الثروة المهيبة .

مرت الأيام التالية وتعاضمت الفجيعة .. زادت
الإضرابات والإعتصامات والمظاهرات ..
وإمتدت من العاملين بالدواوين إلى الناس من
الفقراء والمساكين



.. إلا أن

الأمر الأدهى .. هروب أصحاب القروض تحت
سقف الليل .. وقد أخفى .. حمل أصحاب القروض

أموالهم وكنوزهم مما خف وزنه وغلا ثمنه ،
يتسللون وأهليهم فى ظلمة الليل هاربين من
البلاد مختفيين .. إلى بلاد الهند والسند وحتى
بلاد الصين .. ومنهم إلى بلاد الأعداء من
البرامكة يلوذون .. أو حتى إلى بلاد الفرس
والروم يلجأون .. إفتضح أمر الوزير بطريق
الذى لم يجد سوى مصادرة بيوت وقصور
أصحاب القروض الهاربين .. ولخدمهم وعبيدهم
وجواريهم آخذين .. لا يهتم الضمانات ،
فأصحابها أساساً ليسوا موجودين .. ديوان
الجيش وديوان الشرطة لرواتبهم قابضون ..
وباقى الدواوين من المال معدمون .. أدى القهر
والغيرة إلى تزايد سوء الأمور .. وواصل
أصحاب القروض الهروب .. من يعترض
طريقهم فى الطرقات والدروب من الحراس
يرشون .. فالرشوة هى مفتاح النجاة والهروب
.. باتت فتنة جديدة على الأبواب .. تتطور الأمر
لهروب بعض الأمراء والأعيان ، لا يوجد عليهم
لبيت المال قروض ، لكنهم أصبحوا على حياتهم
فى البلاد لا يأمنون .. وعمت الفوضى البلاد .



بداخل القصر السلطاني فى الصباح
وقف جلال المبروك إلى جوار أبيه الجالس على
العرش ، ومن بين يديه يجلس الوزير يوسف بن
حسيب قائد الشرطة .. والوزير بشير بن
الطرطاوى قائد الجند والوزير بطريق بن الغالى
مسئول بيت المال .. إتجه جلال ناحية صديقه
أحمد بن العز وقال
- لقد أصدر السلطان أمراً بتعيينك وزيراً
على بيت المال

قالها وهو يشير بيديه بإشارة فهمها الحراس ..
فألقوا القبض على الوزير بطريق وإختفى عن
الأعين دون أن ينطق بشئ ، أو حتى تبدو على
وجهه أية إنفعالات .. فقد كان يعلم النهاية
وينتظرها .. جلس أحمد بن العز فى المكان الذى
خلا من الوزير بطريق ، وأيضاً لم تظهر على

وجهه أية تعبيرات بعد تعيينه وزيراً على بيت
المال ، وكأنه كان يعلم ويتوقع ، بل ينتظر
ويترقب .. وقف جلال فى المسافة التى تفصل
بين كرسي قائد الجند وكرسي قائد الشرطة وقال
بنبرة حادة

- على جنود الجيش والشرطة أن يصادروا
كل أملاك أصحاب القروض الفارين منهم
والموجودين

صمت يتنهد ويواصل

- أعلم أن ذلك لن يكفى .. خذوا من أعيان
البلاد وأغنيائها بعض أموالهم .. ومن لن
يمتثل لكم

صمت يرنوا إلى الأرض وأردف

- خذوا أمواله بالقوة

صمت يميل رأسه على كتفه الأيمن وحدث فى
الفراغ مفكراً ثم واصل بهدوء

- لابد للضرائب أن تزيد .. إجمعوا ما

تستطيعوا من أموال .. وإملأوا بها بيت

المال .. هذا هو السبيل الوحيد لمنع الفتنة
التى باتت على الأبواب

إتجه جلال إلى أبيه السلطان يساعده على
النهوض من على كرسى العرش .. وقال وهو
يغادر مع أبيه
- نفذوا كل ما يقوله وزير بيت المال

نظر الوزير بشير العجوز إلى أحمد بن العز
نظرة غاضبة .. فكيف يعمل تحت إمرة من
يصغره بالكثير .. بينما هو وزير الجند القابع فى
منصبه من سنين .. أما يوسف فرغم أنه فى
الوزارة حديث إلا أن طبع شخصيته يرفض أن
يكون تحت إمرة وزيرٍ مثله جديد .. لاحظ أحمد
بن العز نظرات البشير ويوسف .. فابتسم يعدل
عمامته بيده .. لتظهر خصلات شعره المفروق
من المنتصف وتتدلى على جبينه ويقول
- هيا بنا نبداً

قالها وهو ينهض مغادراً ومن ورائه البشير
ويوسف تابعاً .

بداخل السجن فى المساء وتحت ضوء النيران
المشتعلة فى الأركان تنير المكان

كان القوم المعارضون فى حلقةٍ جالسين ..
يتحاورون ويتناقشون ويتجادلون .. كانوا يفعلون
ذلك من قبل مُخَيَّرين .. والآن يفعلونه فى السجن
مُسَيَّرين ..تسمع الجمل والعبارات متتابعة من
الأفواه لاهثة

- (فتنةٌ ثانية على الأبواب) .. (لقد إستيقظ
أخيراً العباد) .. (قد تودى إلى خروجنا
من السجن) .. (أشعر هذه المرة أن النهاية
ستكون مختلفة) .. (لا يجدون من يشتري
الأملاك التى صادروها من أصحاب
القروض ، ولا زال بيت المال خاوياً على
عروشه) .. (يهرب الأغنياء والأعيان
وحتى الأمراء) .. (البلاد غرقت ولا بد من
إنقاذ)
وفجأة توقفت الكلمات وإتجه الجميع بأنظارهم
إلى المأمون الجالسُ بأحد الأركان .. متفوقاً
على نفسه لا يشارك فى الجدل .. وإنطلقت
الأسئلة

- (مالك يا مأمون قد صرت صامتاً على
الدوام ؟) .. (لم نعد نسمع أرائك بيننا فيما

يحدث) .. (لماذا أنت منعزلٌ عنا ؟) .. ()
ألم يعد يهكم حال الوطن ؟)
رفع المأمون رأسه ليرد بصوتٍ شاحبٍ خفيض
، لكنه لا يخلو من وقاره المعهود
- ما يهمنى أن أخرج من هنا .. ولن يمر علىَّ
يومٌ إلا وقد أكون قد عدت من حيث أتيت ..
أنا رحالة .. جئت أزور وطني وأشفقت على
حاله

صمت وقطب حاجبيه وبرقت عينيه بدموع لم
تنزل منها وتابع بكلماتٍ متقطعة
- لكن الوطن غرق ومات .. والميت لا يعود إلى
الحياة .. سأودع وطني ذاهبٌ بغير رجعة ، ما
أن ترى عيناى الشمس

صاح محمود يحدق فى وجه المأمون
- أتريدُ أن تهرب والوطن يحتاجك ؟
حدق الجميع فى وجه محمود المحتقن حين نطق
بجملته .. بينما المأمون لم يبدو عليه أنه سمع
شيئاً .. وعاد القوم يتجادلون ويتناقشون
ويتحاورن .

إمتثل البشير ويوسف لأوامر وزير بيت المال
أحمد بن العز طائعين .. تمكنوا من جمع بعض
الأموال السائلة بعضها باللين وأغلبها بالقوة ..
إلا أن أغلب ما جمعه لم يكن دراهم ودنانير ،
إنما كان قصوراً وبيوت وخدم وجواري
وعبيد .. عرضوا كل هذا للبيع على الأمراء
والأغنياء والأعيان .. لكن أحد لا يريد أن يشتري
.. اضطروا إلى عرضها بأسعارٍ زهيدة عليهم
يبيعونها ويحصلون بدلاً منها على الدراهم
والدنانير .. تمكنوا من بيع القليل من القصور
والبيوت والممتلكات بثمنٍ بخس .. ورغم أن
من يملك المال يجد في ذلك فرصة ثمينة ،
فالقصر الذي يساوي آلاف الدنانير معروض
بمئات ، والجواري والخدم والعبيد معروضة
بأبخس الأسعار .. لكنهم إحتجوا عن الشراء ،
فمن ذا الذي يشتري شيئاً عُرضةً لأن يُصادر
منه بعد ذلك في أية لحظة .. توقفت
المظاهرات والإضرابات في إنتظار ما ستسفر
عنه حملة ابن العز لملئ بيت المال بالدنانير ..
مرت الأيام وبدأت الدواوين في دفع المستحقات
المتأخرة .

بداخل ديوان التجارة فى الصباح ، ووسط مدخل
الديوان الفسيح .

جلس الصرّاف زعبوب بن مرجان على كرسى
أمام منضدة عليها من أمامه الأوراق ولفائف
البردى المدون عليها حسابات الديوان .. ومن
خلفه أكوامٌ من الأنية النحاسية والفخارية
والأقمشة والستائر والوسائد التى يحظى بها
الأغنياء فى القصور .. إلى جانب عدد كبير من
الجوارى والخدم والعبيد .. وقف عليها عددٌ من
مساعدى زعبوب .. ومن أمام زعبوب إحتشد
العاملون بالديوان والموظفون



.. كان

زعبوب أسمر الوجه تثيرك تقاسيم وجهه
المنبججة إلى الضحك حين تمعن فى النظر إلى
وجهه .. أما طريقته فى الكلام وإن كان ما يقوله
جاداً ، فلن تستطع أن تقاوم الضحكات .. لا

تفارق ز عبوب إبتسامة عريضة وكأنها خلقت
على وجهه لا تتبدل ولا تتغير مهما كانت
الظروف .. فتح ز عبوب أحد اللفائف يرنوا
بإبتسامته العريضة وينادى
- عنتر بن مخلوف

إتجه واحدٌ من المحتشدين أمام ز عبوب ووقف
منتصباً منتظراً .. غمس ز عبوب الريشة فى
المداد يضع علامة أمام الإسم ويقول
- عنتر عنتر عنتر .. أه .. لك شهراً متأخراً
قالها ثم إلتفت ينظر خلفه وأشار لأحد مساعديه
قائلاً

- هات هذه ومعها هذه
أسرع المساعد يحضر ما أشار عليه ز عبوب
ويناوله لعنتر .. إندهش عنتر متعجباً وهو
يتناول سلطانية مذهبة مخصصة للفاكهة ومعها
قطعة قماش حريرية وصاح
- وماذا أفعل بهذه .. أنا أريد الدنانير لأشتري
طعاماً لأبنائى

قاطعه ز عبوب والإبتسامة لا تفارق وجهه ،
وأضاق عينيه ورفع حاجبه الأيسر

- ياااااااااا رجل .. ياااااااااااااااااا رجل .. هذه

سلطانية مذهبة لتضع فيها الموز والتفاح

والعنب والتين

صمت ز عبوب ومد يده يتحسس قطعة القماش

الحريرية فى يد عنتر ليواصل وقد إتسعت

إبتسامته

- وهذه قطعة^{٢٨} حريرية من بلاد الهند .. لا

يوجد مثلها فى البلاد يمكنك أن تهديها إلى

زوجتك تصنع منها ثوباً لتسر قلبها

قالها ز عبوب وهو يغمز بعينه اليمنى إلى عنتر

المتع وجه وصاح

- أنا لا يوجد عندى فاكهة أضعها فى

السلطانية .. وزوجتى لا تريد ثوباً بل تريد

خبزاً

قاطعه ز عبوب بحنق وزهق دون أن تفارقه

الإبتسامة قائلاً

- إذا لم تكن تريدها .. فأذهب إلى السوق وقم

ببيعها ، فثمنها أكثر من راتب الشهر لديك

عندنا .. هيا يا رجل .. هيا

لم يجد عنتر سوى المضى إلى السوق يضرب

كفاً بكف يردد

- حسبى الله ونعم الوكيل

بينما واصل زعوب بن مرجان فتح لفافة ثانية
ينادى

- الأشهب بن شبيب

إِتْجِهْ وَاحِدٌ^{٢٨} وَوَقِفْ أَمَامَ زُعْبُوبِ الْمَمْعَنِ فِي
الْلفَافَةِ يَضَعُ الْعَلَامَةَ بِالرِّيشَةِ بَعْدَ غَمْسِهَا فِي
الْمَدَادِ يَرُدُّ

- الأشهب الأشهب الأشهب .. أه .. لك ثلاثة

قالها ز عبوب وهو يستدير يدير بصره في

البضاعة خلفه مفكراً .. فراتب ثلاثة أشهر كثير
.. ثم أشار لأحد مساعديه
- هذه .. وهذه .. وتلك

صاح الأشهب وهم يناولوه سيفاً وقطعة أنية

قديمة وجارية حسناء بيضاء تقف أمامه
- أنا أريد الدنيا....

قاطعه زعبوب مسرعاً

- يَااااااااااااااااا رَجُلٌ .. يَاااااااااااااااا رَجُلٌ .. هذه

قطعة آنية أثرية منذ عصر الإغريق تساوى
آلاف الدنانير .. وهذا سيف²⁸ بتار تدافع به
عن نفسك

صمت ز عبوب يمد يده يمسك بذقن الجارية
الحسنا ويحرك حاجبيه لها فى دلال والإبتسامة
المتسعة غطت وجهه، ثم تابع بصوتٍ خفيض
أقرب إلى الهمس

- وهذه جارية من بلاد الشام .. تجيد الرقص والغناء .. وتجيد فنون الـ

بتر كلمته الأخيرة ضاحكاً وعينيه لا تنزل عن
وجه الجارية .. وما كاد زعبوب يسمع الأشهب
يصيح

- أنا لا أريد الـ

قاطعه مسرعاً ينهره ويدفعه بيده مبتسماً
- اذهب إلى السوق وقم ببيع أغراضك ..
فتمناها أكثر مما لديك عندنا .. هيا .. هيا
يارجل

لم يجد الأشهب بداً سوى الإمتثال وغادر يردد
والجاريه تتبعه
- لا حول ولا قوة إلا بالله

بينما زعبوب بن مرجان يفتح لفافة أخرى
وينادي

- مسرور بن الفرحان
وقف رجل نحيف^{٢٨} شاحب^{٢٩} بائس^{٣٠} حزين مهموم
.. ملامح وجهه لا تعرف الفرحة وأبعد ما يكون
عن السرور .. حلق زعبوب في وجه يتأمل
المفارقة بين الشكل والإسم وسأل بإبتسامته
العريضة

- أنت مسرور بن الفرحان ؟
أوماً الرجل برأسه ولم ينطق بشئ .. فغمس
زعبوب ريشته في الحبر يضع علامه على
الاسم مردداً

- مسرور مسرور مسرور .. آه .. لك راتب ستة أشهر

قالها ز عيوب لكنه قطب حاجبيه مسرعاً ..
فالراتب المدون أمام الاسم لا يتعدى دراهم
معدودة ، لا يتناسب مع عمل ستة شهور .. فسأل
مندهشاً

[illegible]

قالها وهو يستدير وأشار إلى أحد مساعديه
- هذه

تناول مسرور هوائية من ريش على خشبة طويلة
.. من تلك التي يهوى بها الخدم على الأمراء
والسلاطين وهم جالسين على عروشهم .. وهم
زعوب أن يشرح للرجل أنها هوائية ثمينة
مصنوعة من الخشب الزان وريش النعام .. إلا
أنه وجد الرجل يمسك بالهوائية ويغادر دون أن
ينطق ببنت شفة .

وهكذا يحصل العاملون والموظفون في الديوان
على مستحققاتهم ، بضاعة بدلاً من الأموال ..
وكذلك فعلت باقي الدواوين .

إتجه الناس بالبضاعة يعرضونها في السوق ..
فما من مشترى بسبب كساد الأحوال .. اضطروا
لعرض ما لديهم بأسعار زهيدة .. تمكن البعض
من بيع ما لديه بdraهم قليلة .. بالكاد اشتروا
بعض الطعام ليسد رمق جوع أبنائهم .. دوناً
عن باقي الناس الذين ينادون صائحين في
السوق على ما معهم من أشياء يعرضونها للبيع
.. وقف مسرور بن الفرخان الكناس .. ممسكاً

بالهواية ينظر أمامه صامتاً بعيون حزينة دامعة ..
تحركت عيناه حين رأى رجلاً شاباً يقترب منه .. لم يبدو على مظهره أنه من الأغنياء والأعيان .. وقف الشاب أمام مسرور وأخرج من الحزام حول جلبابه صرةً صغيرةً من الدنانير .. فك رباطها وتناول بعض القطع المالية ، ومد يده بها لمسرور .. أخذها مسرور ينظر فيها ، فوجدها أكثر من ثمن هواية ، بل أكثر من راتب الستة أشهر التي لم يتقاضها .. أراد الشاب ألا يجعله يشعر أنه يتصدق عليه ، فأخذ منه الهواية يتصنع أنه يتفحصها جيداً وكأنه يتأكد أنها تساوى الثمن .. ثم أخذها ومضى في طريقه دونما ينطق بشيء .. بينما مسرور يعاود التأمل في القطع المالية على كفه ، وإبتسم ، فأخيراً عرف وجهه بعض ملامح السرور .. كان ذلك الشاب الذي إشتري الهواية هو أحمد بن زيدون .. بائع اللبن والورود الذي عاد إلى فرشته في السوق .. يجمع أنية اللبن الفارغة ومقاطف الورود ويمضى إلى داره الفقيرة المتواضعة عائداً يحتضن الهواية تحت إبطه.

- ١٨ -

بعد مقتل عبلة وابن زيدون .. كان يمكن لأحمد
فى أحوال البلاد العادية أن يبيع القصر بما فيه
من أثاث وخدم وجوارى وعبيد .. سيكفى ثمنه
لسداد القروض التى عليه لبیت المال ويفيض
القليل الذى يمكن أن يبدأ به حياته من جديد .. إلا
أن الفتنة وما بعدها من كساد الأحوال ، لم تمكنه
من ذلك .. فلم يجد سوى مشترى واحد يريد أن
يشترى القصر بما فيه بثمنٍ ضئيل لا يكفى
نصف القروض التى على أحمد لبیت المال .. لذا
لم يكن أمام أحمد سوى أن يترك القصر لرجال
بيت المال بما فيه يصادروه .. لم يأخذ من
القصر سوى ثلاثة أشياء .. الأولى هى أمه التى
لم يعد لديها غيره فى الحياة .. والثانية هى
الجارية صفية الوفية التى لم تهرب مع من
هربوا من الجاريات قبل مصادرة القصر ،
وأصرت على الذهاب مع أحمد وأمه حيث

يرحلون .. والثالثة هى الأزهار والورود التى
قطفها أحمد من حديقة القصر مترامية الأطراف
بمساعدة صفية



.. إستأجر

أحمد داراً من غرفة واحدة بما تبقى معه من
دنانير.. يقضى هو و صفية وأمه حاجتهم فى
الخلاء خلف الدار ، بعدما تربوا على حمامات
القصر الفخيم ، وعكف مع صفية وأمه على
العناية بالأزهار والورود وتستيفها .. فإمتلأ



الدار بها ..

ورغم كساد الأحوال ، إلا أن أحمد وجد الله
يسوقه لرزقه ، فكان يتجول بالأزهار والورود
فى أحياء المدينة التى تعج بالأغنياء والأعيان ..



فباع الكثير وبدأ
الرزق يأتى وبالكاد يكفى ما يحتاجه .. ما كان

يؤرق أحمد ليس ما صار إليه حاله بعد حياة
العز والقصور .. وإنما أنه يظل يفكر في عبلة
وتتبلل وسادته المهترئة تحت رأسه على الأرض
نائماً يبكيها حزناً .. وكذلك أنه يجب أن يبحث
عن مصدر رزقٍ آخر .. فالأزهار والورود
أوشكت على النفاذ .. ولا يوجد عنده حديقة ليأتي
بغيرها.

ذات ليلة نام أحمد على عبلة باكياً .. فرأى في
المنام أنه يجلس إلى جوار عبلة في السوق
ملاصقاً .. على الفرشة يبيع اللبن مع عبلة
سعيداً ضاحكاً .. إستيقظ من النوم مبتسماً
مبكراً .. وخرج إلى أحد تجار اللبن ممن
يملكون المواشى ذاهباً .. إتفق معه على أن
يحصل على اللبن ويبيعه في السوق ثم يسدد له
الثمن وينال ربحه .. وهكذا صار أحمد بائعاً
للبن والورود ، وحتى تنفذ الورود والأزهار كان
يوزع وقته بين التجول في الأحياء يبيع الورود ،
والجلوس في السوق يبيع اللبن .. أحب ذلك مع
الوقت وكأنه يتلمس في بيع اللبن ذكرى لعبلة .

ذات صباح إستيقظ يتأهب للذهاب للسوق فرأى
أمه تغش اللبن بالماء .. فصاح غاضباً
- يا أمى .. من غشنا فليس منا
ردت أمه محتدة

- كلهم يفعلون ذلك .. وحتى من يشتري اللبن
يعلم ذلك .. أيرضيك الربح الزهيد الذى
تحصل عليه
إتجه أحمد إلى أمه ووضع يده على كتفها حانياً
يقول بهدوء

- أمى .. يبارك لنا الله فى الحلال القليل خير^{٢٨}
من حرامٍ كثير

قالها ثم إتجه يرفع إناء اللبن المغشوش ويسكبه
بأحد أركان الغرفة على الأرض .. ثم خرج
يحضر غيره .. حملت الجارية صفية كما العادة
الأزهار والورود بينما حمل أحمد اللبن وذهبا
إلى السوق .. فرد الفرشة على الأرض ورتب
الأزهار والورود واللبن بمساعدة صفية التى ما
أن يستقر أحمد جالساً على فرشته حتى تغادر
هى عائده لأم أحمد تكنس الدار الصغيرة ذات
الغرفة الواحدة وتعد الطعام ثم تجلس تحزم هى

وأم أحمد الورود .. هكذا كان يمضى كل يوم
بعدما فارقتهم حياة العز والنعيم .

فى هذا اليوم عاد أحمد إلى الدار وأسرعت
الجارية صفية تحمل عنه ما تبقى معه من ورود
.. وتتناول أوعية اللبن الفارغة .. حيث لم يمر
الكثير من الوقت إلا وأصبح أحمد لا يعود أبداً
ببواقى من اللبن لم تُباع .. فقد زاع صيته فى
السوق أنه يبيع اللبن غير مغشوش .. الزبائن
يتركون كافة بائعى اللبن ويشترى من أحمد ..
فتضاعفت الكميات التى يبيعها وإزداد رزقه ..
حين رأت أم أحمد الهوآية قالت ضاحكة
- من أين جئت بهذه ؟ .. لقد ذكرتنى بأيام
القصر

رد أحمد وهو يجلس ليسترىح على فرشة على
الأرض

- صدقة أعطيتها لفقير .. وأخذت هذه حتى لا
يشعر أنى أتصدق عليه
صاحت أم أحمد
- صدقة ؟ .. ونحن فى هذه الظروف

- يا أمى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة)
صمتت الأم ولم ترد بينما تتدخلت الجارية صفية
الوفية وقالت بهدوء ، فهي بطبعها هادئة قليلة
الكلام

- شحاذ ولا تريد أن تشعره أنك تتصدق عليه
رد أحمد

- إنه ليس شحاذ .. هو من أولئك العاملين
الذين يعطونهم بدلاً من أجورهم المتأخره
بضاعة .. وكان واقف يعرضها فى السوق ،
فأعطيته ما تيسر وأخذت هذه منه
رأى أحمد فى عيني صفية نظرة حانية بل نظرة
حبٍ شعر أحمد بها فأبعد نظره عن عينيها
وسمعها تقول
- سيبارك الله لك يا سيدى

تناول أحمد مع صفية وأمه طعام الغداء ، ثم قام
يحمل الأزهار والورود ليتجول بها فى الطرقات
يبيع .. عاد فى المساء وتناول مع صفية وأمه
طعام العشاء .. أطفأ نار المصباح ونام .. كان
أحمد ينام على فرشةٍ بجوار أحد الجدران ..

بينما تنام أمه على فرشة بجوار الجدار المقابل ..
وفى المنتصف صفية على فرشتها .. أفاقت
صفية من نومها لتشعر بشئٍ يتحرك فى الظلام
لا تراه .. أدركت أنه أحمد يصلى الفجر كعادته
.. شعرت به يخرج من الدار .. فقامت ورائه ،
ووجدته يجلس فى الخلاء خلف الدار على
الأرض يحيط رجليه المنصوبة بزراعيه يتنسم
هواء الفجر .. شعر أحمد بها تقترب فالتفت
برأسه إليها ليجدها تجلس إلى جواره على
الأرض مبتسمة بوجهها القمحي الجميل صغير
التقاطيع .. وشعرها متناثر على رأسها بلا غطاء
.. تنظر بعينيها العسلية إلى وجه أحمد ، فيرى
هو فيها ذات النظرة التى إعتادها منها .. بادرت
صفية قائلة

- سيدى .. لقد مر الكثير من الوقت وأنت لا
زلت حزيناً على الدوام
تنهد أحمد يقول بصوتٍ خفيضٍ وقد إكتسى
وجهه بعلامات القناعة والرضا
- الحمد لله على كل شئٍ
قالت صفية بصوتها الهادئ وهى تلم شعرها
خلف رأسها

- أشعرُ بك يا سيدى .. أنت لازلت تفكر فى
صمتت صفية مترددة ثم أَلقت بما تبقى من
الجملة السابقة

- زوجتك عبلة

ما إن سمع أحمد الاسم حتى تغيرت ملامح
وجهه وبدا عليه الحزن .. لا أحد يعلم أن عبلة
هى السبب فيما آلت إليه حال أحمد وأمرها مع
القافلتين .. إحتفظ أحمد بذلك بصدرة ولم يعلمه
أحد غيره .. بل إلتمس لها العذر ، فما حدث لها
فى القصر كان عليها شديد .. تمنى لو ظلت على
قيد الحياة ليواصل حياته معها غير عابئاً
بالماضى .. يدين لها بالفضل فيما حدث له من
تغير .. لم يعد أحمد الخجول الضعيف الطيب ..
بل صار جريئاً قوياً لكنه ظل طيب .. أفاق من
شروده على يد صفية تمر على خده ، فباعد
وجهه عن يدها قائلاً

- ما الذى أيقظك الآن يا صفية ؟

إمتعض وجه صفية الطفولى البرئ وردت
بهدهوء وبنبرة مكسورة الخاطر
- كنت أريد أن أجلس إليك

شعر أحمد بنبرة صوتها الكسيرة، فأراد أن يجبر
بخاطرها فقال قبل أن تهم هي لتنهض من
جواره

- أنا لم أرى أوفى منك يا صفية طوال حياتي
تعجب أحمد مقطباً حاجبيه حين رأى ما فعلته
جملته الأخيرة بصفية .. حيث تهلل وجهها
وإتسعت إبتسامة جميلة صافية على وجهها ..
وبرقت عيناها ترنوا إلى عينيهِ بنظرة حبٍ



صافى ..

كالعادة أبعد أحمد عينيهِ عن عيون صفية
وسمعها

- لقد ولدتنى أُمى عندكم فى القصر .. نشأت
وتربيت جارية عندكم .. كنت طفلةً صغيرة

ألهو معك فى الحديقة .. ولما كبرنا ولم نعد
أطفالاً نلهو ، لم أكن أراك كثيراً .. وجدتك
بالجوارى غير شغوفاً .. حاولت أن أتقرب
إليك كثيراً .. لأجعلك تتذكرنى .. أنا الطفلة
الصغيرة التى كنت ألهو معك فى الحديقة ..
كنت أريد أن أجعلك تتذكر يوم كنا فى
العاشرة وجعلتك تتسلق الشجرة الكبيرة فى
الحديقة لتحضر لى تفاحة .. لكنك سقطت
وأنت تهبط من على الشجرةِ بالتفاحة ،
وعاقبتنى أمك

صمتت وزادت إبتسامتها لتواصل وقد عاد أحمد
بوجهه ينظر إلى عينيها

- هل تعلم أننى لم أكل هذه التفاحة .. ظلمت
أحتفظ بها وأرعاها ، لكنها فسدت وزالت من
الوجود .. جئت أنت إلى غرفتى تواسينى يوم
ماتت أمى ، شعرتُ يومها أنك تذكرتنى بعدما
صرت بنت العشرين .. لكنك إنصرفت ولم تأتى
ثانيةً .. كنت أتلل من فترةٍ إلى أخرى لأراك ..
ويوم زواجك كنت أرقص مع الجاريات سعيدة
من أجلك .. لكننى وجدت نفسى أبكى ليلتها وأنا
أحاول النوم ، لا أعلم لماذا ؟ .. وبعد ما حدث

بين زوجتك وأمك ، كنت حزينة من أجلك ؟ ..
و حين حضر رجال بيت المال ، لم أكن أحتمل
مجرد التفكير أننى قد أصير ملك يمين رجلٍ
غيرك .. كان لابد أن أظلَّ جوارك ؟ .. هل تعلم
لماذا ؟

صمتت صفية والدموع بدأت تترقرق فى عينيها
العسلية الرقيقة .. وتواصل قائلة مع أول دمعة
تسقط من عينيها تتهاذى على خدها الأملس
- لأنى كنت أشعر أنك يوماً ما ستتذكرنى



قالتها والدموع تتتابع من عينيها .. بينما أحمد
المحقق فى وجهها يستعيد ذكريات طفولته ، مع
تلك الفتاة الصغيرة التى كانت تتركه أمه يلهو

معها فى حديقة القصر



، ولما كبر

قليلًا علم أنها ابنة جارية فى القصر .. كان
يحب دائماً أن يستعرض أمامها قدراته
الرجولية وهو ابن العاشرة .. يتسلق الأشجار
ويحضر لها الثمار .. يقطف لها الورود
والأزهار .. تذكر فعلاً يوم أن ضربتها أمه
بعدما سقط من على شجرة وجرحت جبهته ..
لكنه تذكر شيئاً لم يسمعه من صفية وهى تقص
الذكريات .. لم تكن تلك الطفلة التى كان يلهو
معها إسمها صفية .. فلم يكن يعرف لها إسمًا
ولم يهتم بأن يسألها .. كان دوماً يناديها (يا فتاة
(.. فوجد نفسه يبتسم ويقول
- أهو أنتِ يا فتاة ؟!

ما إن سمعت صفية أحمد يناديها بـ (يا فتاة) ..
حتى أدركت أنه تذكرها .. فما كان منها سوى
أن إنخرطت في البكاء وألقت بنفسها بين
زراعيه .. فأعتدل أحمد يحتضنها واضعاً يده
على رأسها الملقاه فوق كتفه .. جالسين على
الأرض في الخلاء خلف الدار في الفجر والهواء
العليل المشبع برائحة يومٍ جديد يخترق أنوفهما
.. أمسك أحمد رأس صفية بين كفيه ، بإبهاميه
يمسح دموعها .. قاما عائدين إلى الدار ، يريد
أحمد أن ينعم بساعة نومٍ قبل الصباح ليذهب.



لم تكن حورية تقوى على الصبر مكتوفة الأيدي
، وحبیبها محمود فى السجن .. فرغم ظهور
برائته إلا أن يوسف لن يطلق سراحه .. فهو قابع
فى السجن مع القوم المعارضين .. لأنه واحدٌ
منهم .. لذا فكرت حورية وتدبرت ووضعت
خطة لتهريب محمود وربما تتمكن من تهريب
القوم المعارضين معه .. ورغم أنها تعلم أن
الجارية مسعودة جاسوسة لا يمكن الوثوق بها ،
إلا أنها لجأت إليها تغدق عليها بالمال والجواهر
، فهى على صلاتٍ وثيقة بجنود الشرطة
التابعين ليوسف فى ديوان الشرطة .. راسلت
بعض الجنود برسائل عن طريق الجارية
مسعودة وتوصلت للإتفاق .. فسيحصل الجنود
منها على المال الكثير .. مقابل تيسير أمر
الهروب الكبير .. لكن حورية تحتاج لمعاونة ..
تسللت من قصرها فى الظهيرة مغادرة فى
ملابس الجاريات ملثمة .. أما الجارية مسعودة ،
فلا يمكن إئتمانها على وعودٍ موثوقة .. ما أن
رأت الأميرة حورية تغادر حتى أرسلت ليوسف
.. هكذا رشيدة ترضى ضميرها نفذت ما طلبه
يوسف بإخباره بمغادرة الأميرة من القصر ..

ولم تخبره باتفاق الجنود على تهريب محمود ،
فذلك خارج الإتفاق بينها وبين يوسف .. ذلك
كان له ثمنٌ آخر قبضته من حورية .. وقف
الجندي برسالة مسعودة على حصانه يرنوا إلى
حورية تبتعد .. فكر قليلاً هل يذهب بالرسالة
ليوسف قائد الشرطة .. ربما يغضب عليه ويسأل
- ولماذا لم تتعقبها وتعرف أين ذهبت ؟

ظل متردداً فالتعليمات تنص على أنه يبلغ ما
تأتى به الجارية مسعودة على الفور .. ووصل
تردده إلى الحصان تحته فبدأ يتحرك بحركاتٍ
عشوائية .. تلفت الجندي حوله عساه يجد من
يثق به لإرساله إلى يوسف بالرسالة لكنه لم يجد
.. رأى حورية تختفى تدريجياً عن مجال رؤيته
.. فأسرع يدس الرسالة فى طياتِ سترته الجلدية
.. ويلكز باطن الحصان بقدميه ويشد اللجام ..
صائحاً - هع

وإنطلق يتعقب حورية التى وصلت لدار محمود
.. فوقف الجندي بعيداً يتابع .

أم محمود لا تكف عن البكاء على ابنها ليل نهار
منذ القبض عليه، وتشاركها أختي محمود ..
تجمعت النسوة من الجيران تواسيها .. يأس

الأم من بياتها الدائم أمام ديوان الشرطة فلن
يدعوها ترى ابنها .. كذلك الفتنة والقبض على
المعارضين وظهور براءة محمود بمقتل عبلة
الذى أنقذ حياة محمود .. أخبروها أن ابنها مع
المعارضون فى السجن لا يناله أذى حتى يعفو
عنهم السلطان .. فعادت إلى دارها تشارك أم
عبلة الأتراح والأحزان .. تبكى أم محمود ابنها
المحبوس .. وتبكى أم عبلة ابنتها القتيلة ..
تشارك بعض النسوة من الجيران على فترات ..
كانت أم محمود جالسة مع أم عبلة كالعادة
ينتحبان .. فسمعا صوت طرقاتٍ على الباب ..
وما أن فتحت أم محمود الباب ورأت حورية
أمامها حتى إنقضت تقبض على رقبتها تصيح
- أنتِ السبب .. لقد دبروا له كل ذلك بسببك
كابدت حورية للتخلص من براثن أم محمود
تقول لاهثة بحماس

- أقسم لكِ جئت لأنقذ محمود .. صدقيني
حدقت أم محمود فى وجه حورية تحاول
التصديق من علامات الجدية المرتسمة على
وجه حورية الجميل ، وسمعتها تقول
- أريد معاونة من أصدقاء محمود المخلصين

ردت أم محمود بعد وقت لتقول

- لا أعرف له أصدقاء

سقطت رأس حورية على كتفها يأساً ..

وإمتعض وجهها ، إلا أنها حدقت حين سمعت أم محمود تتدارك

- ربما صديق واحد كان يأتي ليزوره

سألت حورية بلهفة وسرعة

- من ؟

ردت الأم أحمد ابن زيدون

قالتها أم محمود بصوت خفيض .. حتى لا

تسمعها أم عبلة الجالسة بردهة الدار .. حتى لا

تتذكر ابنتها وتبكي منتحبة .. إلا أنها فعلاً

سمعت وبكت .. سألت حورية

- وأين أجده ؟

- لا أعلم .. كان غنياً وضاعت ثروته

جاء صوت أم عبلة من الداخل صائحاً

- يبيع اللبن فى السوق .. ويسكن مع أمه فى

حى الصالحية الفقير .. إسألى عنه هناك

لم تكن حورية تعلم أن هناك حياً فى المدينة

يُسمى الصالحية .. لكنها إنطلقت تسأل فى

طريقها والجندى يتعقبها .. بينما أم محمود تعود
للجلوس على الأرض بجوار أم عبلّة سائلة
- يبيع اللبن فى السوق ؟ بعدما كان من أكبر
تجار البلاد
ردت أم عبلّة

- إنه شابٌ طيبٌ صالحٌ .. يمر علىَّ بين
الحين والآخر ويعطينى بعض المال منذ أن
ماتت عبلّة

ما إن خرجت كلمة عبلّة من فمها حتى شرعت
فى البكاء والنحيب وتبعثها أم محمود .

كان أحمد بن زيدون من السوق للتو عائداً ..
ورغم أن الورود والأزهار نفدت ولم يعد بائعاً
للزهور والورود .. إلا أن الله عوضه فلم يقل
الرزق الذى يأتیه بل زاد .. حيث إزدادت سمعته
الطيبة فى السوق باللبن الغير مغشوش .. فزادت
زبائنه وزاد رزقه .. بدأ أحمد يجد فى حياته
الجديدة سعادة .. بعدما أحب صفية وتزوجها
فصارت بذلك حرة وتزوجها .. عشق أحمد
حياته الفقيرة مع أمه و زوجته الحامل فى ابنه
صفية .. كان دوماً ينادى صفية (يا فتاة) .. وجد

أحمد أن لديه وقت فراغ بعد إنتهاء بيعه اللبن فى السوق ..ودوماً يشعر أنه للورود والزهور مديون .. لذا أشغل وقت فراغه بعد السوق بزراعة الأرض الخلاء خلف الدار بالزهور والورود .. ينتظر إكتمال نموها حتى إلى بيعها يعود .. فلولاها لما بدأ هذه الحياة الفقيرة السعيدة .. آمن حقاً أن السعادة لا علاقة لها بالمال .. إنها هبةٌ من الإله .. حرمة من المال ، ومنحه السعادة .. يحمد أحمد ربه ليل نهار .. لا يكف عن إخراج الصدقات .. إنها حكمة الإله الحكيم القدير .

إبتعد أحمد عما يحدث من حوله فى البلاد .. لايرغب سوى فى عيش حياته هذة فى هدوء وأمان .. ولكن تصاريف الإله يبدو أنها تريد أمراً آخر .

جالساً يتناول مع زوجته وأمه الغداء .. وإذا بطرقاتٍ على الباب .. قام يفتح ليجد جارية تكشف عن وجهها بإزاحة اللثام .. بادرت قائلة - أنا الأميرة حورية ابنة الأمير غسان .. أحتاج مساعدتك لإنقاذ صديقك محمود

حذق أحمد فى وجهها خائفاً .. ولم يكن خوفه
على شئ سوى أنه أحس أن حياته هذه والسعادة
التي يحسها قد تتبدل .. وقبل أن يرد جاء صوت
أمه يصيح

- نحن نعيش فى حالنا .. وما لنا بغيرنا
قال أحمد

- تفضلى أيتها الأميرة
دخلت حورية تجلس على الفرشة ونظرات
صفية وأم أحمد الغاضبة مصوبة إليها .. وسأل
أحمد

- أية مساعدة تريدين ؟
ردت حورية بهدوء

- لقد إتفقت مع عدد من الجنود فى ديوان
الشرطة .. ليمهدوا لمحمود طريقاً للهروب
.. أحتاج إلى مساعدتك فى المجئ معى ..
فقد علمت أن محمود ليس له صديق سواك

- ومتى الموعد ؟

- منتصف الليل

صاحت أم أحمد

- ما لنا شأنٌ بذلك

قامت حورية لتغادر قائلة

- سأنتظرك عند منتصف الليل على أول
طريق ديوان الشرطة

أوماً أحمد برأسه .. لكن حورية توقفت فجأة
وأشارت تجاه الشرفة الموجودة فى دار أحمد
والتي هى عبارة عن غرفة واحدة .. ليجد ظل
من يتجسس عليهم .. إقتربت حورية من أحمد
تهمس فى أذنه

- كنت أشعر وأنا قادمة أن هناك من يتعقبنى
.. قد يفسد ذلك الأمر كله

قالتها وهى تشير لأحمد بالحديث .. حتى لا
يشعر الجاسوس بشئ .. بدأ أحمد يتكلم
- وكيف إتفقتى مع الجنود فى ديوان الشرطة
؟

قالها وهو يدير نظره فى المكان ، فوقعت عينه
على الهوائية التى أخذها متصدقا على مسرور
الكناس .. تناولها وهو يسمع حورية تقول
- لقد تدبرت أمر الإتفاق .. ولا بد من تنفيذه
كان أحمد قد فتح الباب بخفة متسللاً خارج الدار
حيث يتصنت الجاسوس .. وقبل أن يهوى عليه
بعضا الهوائية المصنوعة من الخشب الزان ..

شعر به الجندي فإستدار مستلاً سيفه كمحترف .. ورفع يهوى على أحمد الذي دافع عن حياته بحركة غريزية .. حيث جعل عصا الهواية في مواجهة سيف الجندي الذي إصطدم بها محدثاً صوتاً مكتوماً ، وإرتعدت يد الجنى القابضة على مقبض السيف من الارتطام وسقط السيف من يده تحت قدمي أحمد .. الذي مال يلتقط السيف بطاقة الحياة .. ويوجهه على صدر الجندي الذي شهق رعباً .. وتيقن أنه صار في عالم الأموات .. يبتلع أحمد ريقه لاهثاً .. يكابد ليغرس السيف في صدر الجندي .. إلا أنه وجد وجهه يحتقن وعينه تزيغ هائمة .. ثم ترك السيف ليسقط من يده .. وأستدار مغادراً من أمام الجندي الرافع زراعيه مستسلماً مندهشاً .. هرع الجندي خلف أحمد بعدما أمسك بسيفه ، وأمسك بأحمد من كتفه صائحاً بقسمات وجهه المنحوتة

- لماذا لم تقتلني يا رجل ؟

لم يستدر أحمد ولم يرد ووصل إلى باب الدار ليجد الجندي يدفعه في كتفه صائحاً بقوة

- لماذا لم تقتلني يا رجل ؟ .. أجبني

قالها الجندي المحترف في إراقة الدماء



.. يريد جواباً على شئ
لم يره من قبل أمام عينيه التي إعتادت على
القتل والدماء .. وسمع أحمد يرد بصوتٍ
خفيض

- لأننى لا أستطيع أن أقتل أحد
قالها أحمد وعلى وجهه علامات تبعث فى
صدرك الراحة والسلام .. فوجد الجندي يبتسم
فى وجهه ويقول

- لقد سمعت ما دار بينك وبين الأميرة ..
أعدك أن ذلك لن يصل لمخلوق
قالها بنبرة حادة جادة ، وهو يمد يده برسالة
ويواصل

- هذه الرسالة كان يجب أن تصل إلى قائد
الشرطة

تناول أحمد الرسالة .. وشعر بيدي الجندي تربت
على كتفيه .. وسمع صوته يقول
- وفقكما الله

قالها وإنصرف .. بينما دخل أحمد ممسكاً
بالهواية .. وسمع حورية .. التي كانت تتابع
حوار أحمد مع الجندي
- هذا الرجل صادق

قالتها مغادرة .. بينما أمسك أحمد بالهواية
يتفحصها مندهشاً .. كيف صدت تلك العصا
الخشبية ضربة سيف الجندي القوية وأسقطت
السيف من يده .. وما كادت يديه تصل إلى
الموضع الذي هوى عليه السيف في العصا ،
حتى إنشطرت نصفين في يد أحمد .. ووجد
صورة وجه مسرور البائس الحزين ممسكاً
بالهواية في السوق ترتسم أمام ناظرته ، والذي
دفع منظره أحمد للإشفاق عليه وإعطائه بعض
المال وأخذ منه الهواية .. وسمع صوتاً يهمس
في نفسه

- ما نقص مال عبدٍ من صدقة

إبتسم أحمد .. فالصدقةُ إذن هي من أنقذت حياته
وليست عصا الهواية .. إتسعت إبتسامته وضحك
ثم ضحك ، وسط علامات الدهشة على وجه
زوجته وأمه .. لم تتنبيه محاولات زوجته صفية
وأمه عن الخروج عند منتصف الليل لملاقاة
حورية وإنقاذ صديقه محمود .

- ١٩ -

إبراهيم بن الشاعر المساعد الأول لقائد الشرطة
يوسف بن حسيب ، والمسئول عن أمن المدينة ..
لم يرضى بأن يتولى يوسف ذلك الشاب الصغير
قيادة الشرطة في البلاد ، بينما هو الأكبر سناً
والأقدم كان الأحق بذلك المنصب .. لذا ظل
يضمّر الحقد ليوسف .. ساعياً في الخفاء
للإطاحة به .. إستغل ما يحدث في البلاد من
مظاهرات وإضرابات وإعتصامات بسبب كساد
الأحوال وعدم قدرة بيت المال على دفع رواتب
العاملين والموظفين بالدواوين .. ظل ديوان
الشرطة ومعه ديوان الجيش لا يعانون من هذه
المشكلة .. لأنهما أهم ديوانين في البلاد ، فلهما
الأولوية في المرتبات .. لكن عندما عجز بيت

المال تحت إمرة الوزير الجديد أحمد بن العز
عن بيع ماصادروه من أملاك مقابل الدنانير ..
وإضطروا لدفع الرواتب والأجور المتأخرة
بضاعة مما صادروها بدلاً من المال .. وأدى
ذلك للمزيد من الغضب .. لكن ركن الناس إلى
ترديد (ما باليد حيلة) .. ومع الوقت وصلت
المشكلة إلى ديوان الشرطة وديوان الجيش .. فقد
بدأت روايتهم تتأخر ويحصلون عليها ناقصة ..
وسرت الأنباء بين العسكر والجنود أنهم سينالون
بضاعة لا يجدون لها مشترى ، مثلما يحدث في
باقي الدواوين .. وجد إبراهيم بن الشاعر في
ذلك فرصة للإطاحة بيوسف وقنص منصب
قيادة الشرطة .. لذا نظم حملة إضراب بين
الجنود ستبدأ من ديوان الشرطة نفسه .. وإذا لم
يتم الإستجابة للمطالب .. سيمتد ذلك لحراس
الطرق والدروب وستعم الفوضى .. أراد
إبراهيم بن الشاعر أن يضرب عصفورين بحجر
.. فأبرم الإتفاق مع الأميرة حورية من أجل
تهريب بائع الجلود وأخذ المال الكثير .. وسيبدو
الأمر أنه ليس تأمر لتهريب بائع الجلود .. وإنما
هو إضراب للجنود أدى إلى هروب من في

السجون .. حتماً سيؤدى ذلك إلى عزل يوسف ،
وبما أنه هو المساعد الأول فحتماً سيصبح قائد
الشرطة .. يمكنه بعد ذلك إعادة تصحيح الأمور.

لذا فلم تكن حورية مضطرة إلى دفع المال
للجنود .. لأن الإضراب سيبدأ الليلة وسيخرج
كل من فى السجون .. لكنها لم تكن تعلم.



وقف أحمد على بداية الطريق المؤدى إلى ديوان
الشرطة ينتظر .. ورأى جندياً ملثماً على
حصانه يقترب .. حذق فزعاً لكنه وجد الجندى
يقف أمامه وصوت حورية من خلف اللثام يقول
- هيا يا أحمد

إمتطى أحمد الحصان خلف حورية المتخفية
بزى الجنود .. ولما وصلا إلى ديوان الشرطة ..
نزلت حورية تبحث عن الحارس على الباب
لتقول له كلمة السر فيسمح لها بالدخول ، فلم تجد
أحداً يحرس الباب .. ورأت محمود مع القوم
المعارضين من الديوان خارجين .. فكت اللثام
فراها محمود إلى جوار أحمد ابن زيدون ..
هرع إليها يقول

- ما الذى جاء بكِ إلى هنا ؟
- جنّت حسب إتفاق لأجعلك تهرب من هنا
- لقد أضرب الجنود عن العمل .. فتحوا لنا
باب السجن وغادروا
قالها محمود وهو ينتبه إلى أحمد الذى يعانق
إبراهيم بن عيسى وباقى القوم المعارضين يقول
- حمداً لله على سلامتكم
ولما فرغ أحمد منهم .. إلتفت إلى محمود مبتسماً
.. وتعانق الصديقان بحرارة .. صوت حورية
يقول

- لقد إستأجرت داراً لك تختبئ فيها
ولما رأت عيون الباقيين يحدقون فيها .. تابعت
موجهه كلماتها إلى الجميع

- هيا بنا.. يبدوا أنهم لأمرٍ آخر يدبرون



سارت حورية جاذبة حصانها ، ومن خلفها سار
الجميع .. فى الدروب والطرقات بعد منتصف
الليل يتسللون .. وبعد أكثر من ساعة سيراً على
الاقدام وصلوا إلى الدار الأجيّة التى إستأجرتها



حورية لمحمود

دلفوا إليها ولم يجدوا سوى بعض طعام لا يكفى
للجميع .. فقد رتبت حورية الأمر فقط لمحمود ..

عكف القوم يتدبرون أحوالهم



.. بينما غادرت حورية
بعدها ودعت محمود .. أعطوا إلى أحمد بن
زيدون رسائل إلى ذويهم ليطمأنوا عليهم ..
ويرسلوا إليهم بطعامٍ وشراب .. إنهمك أحمد
طوال الليل سيراً على قدميه ليوصل الرسائل ..
كانت فحوى الرسائل كلها تقريباً واحدة ..
تطمئن الأهل وتطلب المدد .. وكذلك محمود لم
يرسل برسالة .. فقال أحمد لأم محمود بعدما
أشرقت الشمس وقد إنتهى من إيصال كل
الرسائل .. وكذلك لم يعد يقوى على الوقوف

- إطمئنى يا أم محمود .. محمود فى آمان مع
باقى القوم .. لم يعد فى السجن .. سأخبرك
بأحواله على الدوام
قالها أحمد وهو ينصرف عائداً إلى داره .. بينما
أم محمود تسترجع كلمات حورية فى ظهيرة
اليوم عن إنقاذ محمود .. عاد أحمد لتلقاه أمه
وزوجته اللتين لم تناما قلقاً عليه .

فى الصباح بداخل ديوان الشرطة يصيح يوسف
فى وجه مساعده الأول إبراهيم بن الشاعر
- ما معنى أن يمتنع الجنود عن العمل ؟ .. ألا
تعنى ما يمكن أن يحدث بسبب إضراب
الجنود

رد ابن الشاعر بنبرة هادئة وعينية تلمع بوميض
خبث يقرأه يوسف

- يحتاجون رواتبهم من الدنانير .. ويطلبون
زيادة الأجور

قاطعة يوسف غاضباً يصيح
- حتماً هناك مؤامرة .. إلقى القبض على كل
الجنود الممتنعين عن العمل ، وألقى بهم فى
السجون

رد ابن الشاعر بذات الهدوء ونبرة مشوبة
بلامبالاة

- لا يوجد من الجنود ما يمكن بهم القبض على
أحد

وقبل أن يرد يوسف .. دخل جندي يلقي بالتحية
قابضاً على مقبض السيف يقول
- سيدى القائد .. إستدعاء سلطانى يريدك على
الفور

تنهد يوسف ينظر فى وجه مساعده الأول ،
فراى على وجهه إبتسامة ، أدرك منها الأمر ..
فأقترب منه واضعاً يده على كتفه يقول وهو
يضيق عينيه

- ربما يجعلك هذا الإستدعاء قائداً للشرطة يا
إبراهيم

صمت يداعب بأصبعه ذقنه وتابع وهو يشير
بأصبعه تجاه وجه إبراهيم

- لكن إذا لم يحدث ذلك .. فسيكون
قالها ويده المشيرة لوجه إبراهيم تتحول لقبضة
تعتصر الهواء

فى الصبأح بءاأل القصر السلطانى كانت
الحاشىة مءشءة .. و على رأسهم قائد الجند وقائد
الشرطة ووزىر بىء المال .. وصرخاء جلال
المبروك ءشق المكان فى وءوء أبىه السلطان
على عرشه صامءاً

- هل ءعلما ماذا يمكن أن ىءء من جراء
إضراب جنوء الشرطة والجند ؟
هكذا قال جلال مخاطباً يوسف والبشىر .. وءابع
- لاء أن ءءوقف هءه المهزلة فوراً
صمء جلال المبروك لاهءاً مءقاً فى الفراغ
وقال بصوءٍ مخىف هاءئ
- جئءوا شباب البلاد وأصنعوا منهم جنوءاً
ءءق الجميع فى وءه جلال منءهشىن .

كان هءا الأمر الذى أصدره جلال .. هو خاءمة
الأسباب ءى أءء إلى إنءلاع الفءنة ءاءىة ..
بمجرد أن بءأ الجنوء اللذى لم ىمءنعوا عن العمل
فى أءء شباب البلاد من الفقراء من ءىارهم



بالقوة .. إلا

وقامت الحشود من العباد والناس بمهاجمة
الجنود قليلة العدد .. وسُفكت الدماء .. هرع
الجنود فارين من الناس يختبئون فى ديارهم ..
فمن يمشى فى أحد الدروب أو الطرقات بزي
جندى ، لا يعنى ذلك سوى أنه يواجه الهلاك
المحقق .. لم يقتصر الأمر على ذلك .. بل إندفع
الناسُ يهاجمون الجنود فى ديارهم .. عمت
الفوضى فلم يعد هناك حارساً واحداً يحرس
شئ .. هاجمت جموع الفقراء قصور وبيوت
الأمرأء والأغنياء والأعيان .. يأخذون كل ما
تطوله أياديهم من أشياء .. فترى إثنين يحملان
أريكة من أحد القصور ويجرون بها .. وترى
واحداً يحمل جارية على كتفه سرقها من أحد

بيوت الأعيان ويعدوا بها إلى داره .. حتى
الأواني النحاسية الصغيرة تراها بين الناس
يهرعون بها .. عمت السرقة والسلب والنهب ..
ربما يلتفت أحد ليمينه ، فيُسرق منه ما على
يساره .. إختبأ الأمراء والأعيان والأغنياء في
ديارهم خائفين ، ليس فقط على ممتلكاتهم وإنما
على حياتهم أيضاً .. الأدهى من ذلك أن الجنود
أنفسهم إرتدوا ملابس عامة الناس والعباد ،
وشاركوا في مهاجمة القصور والبيوت يأخذون
كل ما تطوله أياديهم .. لدرجة أن المسروقات
كانت تتناثر في الشارع والطرقات على الأرض
تسقط من الفارين بها .. ولأن الشعب المبارك
يميل إلى الضحك والفكاهات بطبعه ، حتى في
هذه الظروف إنطلقت الفكاهات التي كان
أشهرها .. أن أسداً كان يجلس إلى جوار لبؤته
على يمينه ، وعندما إلتفت يساراً يرقب ، لم يجد
اللبؤة إلى جواره .. سرقوها منه .



أدرك إبراهيم بن الشاعر أن ما خطط له قد
أودى بالبلاد إلى الهلاك .. لن يصبح قائداً
للشرطة في البلاد .. فلم يعد هناك بلاد .. يجلس
هو مختبئاً في داره يخشى بطش الناس .. لكنه
لا بد أن يجد حلاً .. أسرع على حصانه مرتدياً
ملابس عامة الناس متجهاً إلى قصر السلطان
.. طلب الإذن ودخل للقاء ولي العهد جلال الذي
كان جالساً بصحبة صديقه وزير بيت المال
أحمد بن العز يتباحثان عن حلٍ لإنقاذ البلاد ..
استقبل جلال إبراهيم بن الشاعر بنظرة إستفهام
، فقال إبراهيم

- مولاي ولي العهد .. عندي ما يصلح الامور
رد ولي العهد مسرعاً
- هات ما عندك
تنهد إبراهيم وواصل

- أحتاج لكل المال الموجود فى بيت المال ..
وحتى هنا فى قصر السلطان .. وسوف أردّه
بعد ذلك

قال جلال متلهفاً

- ماذا تريد أن تفعل ؟

- سأعلن فى البلاد عن الحاجة لشباب ورجال
لتجنيدهم مقابل المال .. عشرة دنانير فى
اليوم كفيلة بأن تجعل الناس يتوقفون عما
يفعلون ويطلبون التجنيد طمعاً فى الدنانير
.. بعدها يمكننا إعادة الجنود المحترفين ممن
فى ديارهم من الناس مختبئين .. سنتمكن من
إخماد الفتنة يا مولاي

نهض جلال محدقاً فى وجه إبراهيم يقول

- فكرة رائعة يا .. ما أسمك ؟

- إبراهيم المساعد الأول لقائد الشرطة

- من الآن أن قائد الشرطة والجنود معاً

قالها جلال وهو يصفق بيده فيدخل أحد الحراس
ويتلقى الأمر

- إجمعوا كل ما فى القصر من مال

سرعان ما كان أمام جلال وإبراهيم ثلاثة

صناديق كبيرة مملوءة بالدنانير والقطع الذهبية

والفضية .. تمكن إبراهيم بن الشاعر من تثبيتها
على حصانه بمساعدة حراس القصر .. وركب
على حصانه منطلقاً .. واثناء عدوه على
الحصان فى أحد الطرقات ، سمع صوتاً لا يرى
صاحبه

- هذا واحدٌ من المسؤولين فى الشرطة .. لقد
رأيتُه من قبل

ما كاد الصوت ينتهى من الجملة حتى ظهر
أربعة رجال يعترضون طريق إبراهيم الذى
إستل سيفه وغرسه فى صدر أول رجلٍ وصل
إليه .. يشد اللجام ويلكز بطن الحصان بقدميه
ليزيد السرعة ويهرب .. إلا أن جذبه من رجل
لذيل الحصان الذى صهل متألماً .. وآخر هوى
على قدم الحصان الأمامية بضربة سيف قطعها
، فسقط الحصان أرضاً .. وسقطت الصناديق
الثلاثة لتتناثر الدنانير والقطع الذهبية على
الأرض .. وقبل أن ينهض إبراهيم كان السيف
مستقراً فى صدره فجحظ غير مصدق أنه
يموت بعدما صار قائداً للشرطة والجند .. بينما
عكف الرجال الثلاثة يجمعون الدنانير فى طيات
أثوابهم وحملوا الصناديق الثلاثة وأختفوا تاركين

جثة إبراهيم وجثة الرجل الذى قُتل منهم ، إلى
جوار الحصان مبتور القدم الذى يصهل بشدة
متألماً وسط بركة من الدماء .

خلال تلك الأيام كان أحمد بن زيدون هو حلقة
الوصل بين القوم المختبئين وما يحدث بالخارج
.. وعندما دخل عليهم هذا الصباح صائحاً يقول
- يبدو أن البلاد قد إنتهت .. لأبد لنا من
التدخل

ما كاد يقولها حتى صاح المأمون
- أخيراً إستيقظ المظلومين والمقهورين ..
كنت أود أن أغادر لأننى وجدت الظلم
والطغيان أقوى سبيلاً .. لكن الناس ثاروا
من دوننا ضد الظلم والطغيان والفساد .. هم
الآن يحتاجون إلينا لنقودهم ونوجههم
طريقهم

نهض محمود يحدق فى وجه المأمون مبتسماً
يقول بحماس

- هذا ما كان يجب أن نفعله منذ بدأت الفتنة
من أيام

صاح طالع ابن السادات وعلى وجهه علامات
الخوف

- إذا قبض علينا الجنود وعدنا للسجن ، فلن
نتمكن من مساندة الناس
رد الوائل بن الإبراشى بهدوء
- الناسُ ستحمينا لأنهم يدركون أننا إلى
جوارهم

قاطعه الشيخ عبد الله السعيد
- لا تنسى أنهم يهاجمون الأغنياء والأعيان
دون تفريق .. لقد هاجموا قصرى والله سلم
قال مصطفى بن البكرى بصوته الجهورى
ووجهه الأسمر يلمع بحماس

- ليس معنى أننا نملك المال .. أننا مثل باقى
الأغنياء والأعيان من الظالمين الباخسين
لحقوق الناس .. لكن فى هذه الفتنة الناس
مندفعة لا تميز بين الخبيث والطيب
تنهد إبراهيم بن عيسى يقول

- لابد أن نكون الآن مع الناس .. لكنى ضد
القتل والعنف والدماء
صاح محمود محتداً

- القتل والعنف والدماء تملأ البلاد .. بنا أو
بدوننا الناس ثائرة .. نحن لا نحرصهم فقط
نخبرهم بما يفعلون
قال طالع ابن الأسياد
- وإذا قبض علينا .. فمن يخبرنا ماذا نفعل ؟
تدخل أحمد بن زيدون قائلاً
- لا يوجد جنود فى الطرقات يقبضون على
أحد .. فهم مختبئين خوفاً من بطش الناس
قال المأمون بصوته الوقور وملامح وجهه
المريحة تكسوها الهدوء
- أريد أن نجمع الناس بسرعة
رد محمود وقد إتسعت عيناه متحمساً يقول
- يمكننى أن أجمع الكثير من الناس فى ساحة
المسجد الكبير
وقال أحمد بن زيدون
- وأنا معك يا محمود
حرق المأمون فى وجوه القوم من حوله يقول
- كل ما سنفعله أننا سنجعل الناس لا يهاجمون
ويسرقون بيوت الأغنياء .. سنجعلهم
يتجهون إلى القصر
صمت ينهض ناظراً فى الفراغ ويواصل

- القصر السلطاني

إرتعشت أجساد القوم من حوله يحدقون .. وقبل
أن ينطق أحدهم بكلمة .. كان المأمون يغادر
قائلاً

- موعدنا عند الظهر فى ساحة المسجد الكبير



خرج المأمون وتبعه أحمد ومحمود .. بينما باقى
القوم فى وجوههم ينظرون .. وقاموا إلى ساحة
المسجد الكبير يتجهون .. ينتظرون ويترقبون .

عند الظهر بساحة المسجد الكبير .. كان محمود
وأحمد قد تمكنوا من حشد خمسون ألفاً من
الرجال والشباب .. كان من يعلم يخبر من لا يعلم
.. والحاضر يبلغ الغائب .. فانتشر الخبر وإحتشد
الناس .. على مئذنة المسجد كان المؤذن يؤذن



.. صلوا الظهر



، وصعد

المأمون على المنبر ليقول
- الحمد لله الذي وهبنا عقولاً تدرك .. وألباباً
تفهم .. والصلاة والسلام على نبينا خاتم
المرسلين سراجاً منيراً للعالمين
تنهد المأمون وعلا صوته يواصل

- إن الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما
بأنفسهم .. صدق الله العظيم .. فإن أردنا أن
ننال الحياة الكريمة ونقهر الفساد والظلم
والطغيان .. فعلينا أن نغير خنوعنا للظلم
والطغيان حتى يغير الله حالنا
صمت المأمون يقطب حاجبيه يرنوا فى الوجوه
المعلقة عليه ويواصل
- لقد زاد الفساد وطغى .. وكسدت أحوالنا ولم
يعد بينا أمنٌ ولا أمان .. ولكن ماذا نفعل ؟
قال المأمون جملته الأخيرة وقد أخفض نبرة
صوته فجأة لتعلو بعدها ويواصل
- هل مهاجمة الأغنياء وسلب أموالهم هو
الحل .. حتى إن كانوا من الباخسين لحقوقكم
الظالمين لكم
صمت المأمون يفرد زراعيه فى الهواء
ويواصل وعلى وجهه علامات الحزن
- المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسرقه
تقلصت ملامح وجهه ليواصل بنبرةٍ عالية يرتج
صداها فى المكان
- الظالم الأكبر هو من أغرق البلاد .. لو حكم
بالعدل لما صارت هكذا الأحوال .. علينا أن

نسترد بلادنا ممن حكموها بالظلم والفساد ..
ويتولى علينا من يراعى الله فينا ويحكمنا
بالعدل والكتاب .. وما جزاء الظالمين إلا أن
يُقتلوا .. حى على الجهاد .. حى على الجهاد
.. الله أكبر .. الله أكبر

ردد الجميع من خلفه

- الله أكبر .. الله أكبر

نزل المأمون يقود الآلاف المتزايدة يرددون

- الله أكبر الله أكبر

صعد المؤذن المئذنة يصيح بعلو صوته

- الله أكبر الله أكبر .. حى على الجهاد .. الله

أكبر الله أكبر حى على الجهاد .. أشهد أن لا

إله إلا الله .. حى على الجهاد .. أشهد أن

محمداً رسول الله حى على الجهاد

تزايدت الحشود حتى بلغت مائة ألف يحطمون

ما فى طريقهم ، متجهين إلى القصر السلطانى

يرددون

- الله أكبر .. الله أكبر

وانطلقت ثورة الصعاليق



كان هناك تحطيم وتكسير وتهشيم لكل ما
يعترضهم فى الطريق .. ولكن لم تكن هناك دماء
.. لم تكن هناك جنود تابعة للسلطان يقاتلونهم ..
بل خرج معظم الجنود المختبئون من ديارهم
يتجهون مع الناس لإزاحة السلطان الذى أغرق
البلاد .. حتى الأعيان والأغنياء بعضهم خرج
مع الناس يصيح الله أكبر .. فهم أيضاً
متضررين من الحكم السلطانى الذى فشل فى
حمايتهم .. أما باقى الأمراء والأعيان فقد حملوا
ماخف وزنه وغلا ثمنه مع أهلهم وأنطلقوا من
البلاد هاربين .. فى هذه اللحظة بدأت الدماء ..
فمن تقع عينه من الفقراء على أحد من الأغنياء
يهرب من البلاد إلا وقاتله وفتك به وأستولى
على ما معه .

بداخل القصر السلطاني
يجلس السلطان المبروك بعيون دامعة على
عرشه ، وشفته السفلى تتدلى ، بينما يداه قابضة
على العرش .. فى الوقت الذى يجرى جلال فى
أنحاء وأرجاء القصر يصيح
- أيها الحراس .. أين الحراس ؟

لم يكن هناك حراس .. هربوا جميعهم .. فمن
ذا الذى ينتظر قدوم مائة ألفٍ من الثائرين
ويزيد .. حتى الخدم والجوارى تسللوا من
القصر هاربين .. لم يعد فى القصر سوى
السلطان وأبنة وأهله .. حتى أحمد بن العز
الذى كان جالسا منذ قليل مع جلال إختفى ..
بحث عنه جلال فلم يجده .. فما كان من جلال
المبروك سوى الجلوس أمام أبيه القابع على
العرش .. تتصارع نظراتهما إلى بعضهما



دون كلام ..
قطع جلال حوار النظرات الصامت بإبتسامة
أعقبها بضحكة خافتة ثم نهض ممسكاً بمقبض
سيفه ، حين سمع صيحات التكبير قد بدأت
تصل إلى أذنيه .. وإتجه إلى باب القصر
ووقف منتصباً واضعاً يديه في وسطه ..
تفصله عن الباب الخارجى الحديقة الغناء ..
ظل مترقباً منتظراً على هذا الوضع ..
وصيحات التكبير تعلو وتقترب
- الله أكبر .. الله أكبر

تواصل الحشود المؤلفة زحفها المحموم ، حتى
وصلت إلى باب القصر السلطاني وإعترأها

الجنون .. كان القومُ المعارضون وسط الحشود
مفترقين ، وعندما وصلوا لباب القصر كانوا
حول المأمون ملتفين .. إندفع محمود وأحمد
وعددٌ من الناس يقتحمون الباب وافتح .. دخلوا
يعبروا الحديقة إلى مبنى القصر ورأوا جلال
واقفاً شامخ الرأس لا يبالى .. تقدم المأمون تجاه
جلال يفصل بينهما السلم المؤدى لباب القصر ..
وبادر المأمون قائلاً

- أنا لا أريد قتلاً ولا دماء .. يمكنك أن ترحل
مع أبيك وأهلك فى سلام
لم يرد جلال سوى بإخراج سيفه من غمده يشير
به إلى المأمون .. الذى فهم أن جلال يريد
المبارزة فأستل السيف وبدأت المبارزة ..
المأمون ذلك الرحالة الورع ما له بفنون
المبارزة من شئون .. على عكس جلال المبروك
ابن السلطان وولى العهد الذى تمرس على
المبارزة منذ صغره من فنون .. فكانت المبارزة
غير عادلة .. تسيدها جلال على المأمون الذى
إمتلأ جسده بجروحٍ بسيطة .. ومع ضربة سيفٍ
قوية من جلال طار السيف من يد المأمون ..
وما أن رفع جلال سيفه يصيح بصرخة النصر

ليهوى على المأمون ، حتى صاح المأمون (الله أكبر) قالها بصوتٍ كالرعد .. وهو يلقي بجسده على جلال وسقطاً معاً أرضاً ، وطاح السيف من يد جلال .. ظل الجسدان يتدحرجان معاً على عشب الحديقة .. ومحمود يحدق مترقباً يخشى على المأمون .. كاد محمود أن يتدخل .. إلا أنه رأى المأمون ينهال على وجه جلال



باللكمات .. ويهرع ممسكاً بالسيف الملقى على الأرض ويقف مصوباً إياه على رقبة جلال .. صاح الجميع مهالين - الله أكبر .. الله أكبر

ينتظر الجميع أن يغرس المأمون سيفه في صدر
جلال .. إلا أنه قال

- أكرر لك .. أنا لا أريد قتلاً ولا دماء ..

يمكنك أن ترحل مع أبيك وأهلك في سلام

نهض جلال وتوجه ببطء تجاه سيفه وتناوله

يضعه في غمده .. ونظر إلى المأمون بنظرة ثم

مضى داخلاً القصر ، يجمع أغراضه ليغادر

البلاد مع أبيه وأهله .. بينما دخل المأمون القصر

وعلى يساره أحمد وعلى يمينه محمود، ومن

ورائهم القوم المعارضون ، والناس المحتشدون

.. وقفوا جميعاً في ساحة القصر السلطاني

الفسيح أمام العرش وصاح المأمون

- اللهم لك الحمد .. نصرت عبادك على

الظالمين



توقفت صيحات التكبير ليرنوا القوم المعارضون
فى وجوههم .. يتسائلون بنظراتهم ، وماذا بعد ؟
.. لحظات من الصمت والسكون قطعها محمود
صائحاً

- عاش السلطان المأمون
مضت ثوانى قبل أن يصيح بعض من
المحتشدين

- عاش السلطان المأمون
ردد محمود بحماسٍ أكثر وأكثر

- عاش السلطان المأمون
وردد من ورائه الناس أجمعون

- عاش السلطان المأمون
رفع المأمون يده ليمنع الناس من الهتاف .. وقال
وهو خفيض الرأس وعيناه تبرق بالدموع

- أنا لست بسلطان .. أنا رحالة جئت أزور
وطنى فهمنى ما آلت إليه أحواله .. سأعود
حيث أتيت .. إختاروا من بينكم من يصلح
لكم أموركم وبائعوه

رد محمود مسرعاً

- لن يكون علينا سلطانٌ غيرك .. نبايعك
جميعاً

قالها محمود فى الوقت الذى إرتفعت الصيحات

- عاش السلطان المأمون .. عاش السلطان

المأمون

بينما أسرع ثلاثة رجالٍ يحملون المأمون

ويتجهون به ناحية كرسى العرش .. وأجلسوه

فوقه .. والجميع يرددون

- عاش السلطان المأمون .. عاش السلطان

المأمون

قام المأمون من على العرش بعيونه الدامعة ..

وسجد على الأرض شكراً لله ، ثم قام يرنو

بحنان تجاه ابن عيسى وابن الإبراشى وابن

الأسياذ والشيخ عبد الله السعيد وابن البكرى ..

ليقول بصوتٍ حنون

- أنتم أصدقائى وإخوتى .. كونوا بجانبى

وأعينونى على إصلاح بلادنا

قالها والدموع تنسال من عينيه .. إلتف حوله

القوم يربتون على كتفه وتتردد العبارات

- (أعانك الله يا سلطان البلاد) .. (نحن معك

وإلى جوارك) .. (جعلك الله نصيراً للبلاد

(

وعادت الهتافات

- عاش السلطان المأمون .. عاش السلطان
المأمون

كان محمود هو أسعد الحاضرين .. لكنه فجأة
كمن تذكر شيئاً .. أسرع يتلفت حوله ثم إتجه
إلى المأمون الجالس على العرش وقال
- مولاي السلطان .. أحتاج لسيفك
قبل أن يرد المأمون .. هرع محمود يمد يده يفك
السيف من حول وسط المأمون .. ويرتديه حول
وسطه وينطلق مغادراً .. فى حديقة القصر
السلطاني وقف محمود يتلفت حوله باحثاً عن
حصان ، فرأى رجلاً يمتطى حصاناً بالقرب
منه .. توجه إليه قائلاً
- يا أخى أحتاج هذا الحصان لأمر هام
رد الرجل قائلاً

- دعك عنى أيها الفتى
فما كان من محمود سوى أن دفع الرجل وأسقطه
من على الحصان وإمتطاه هو .. قفز الحصان
بقدميه الأماميه مطلقاً صهيله .. فاستجمع
محمود ما علمته حورية من فنون الفروسية ..
حيث أمال جزعه للأمام وشد اللجام ولكز بقدميه

بطن الحصان الذى إستكان له وإنطلق تجاه
قصر حورية .

فى الوقت الذى غادر أحمد بن زيدون ليطمئن
على زوجته وأمه .. وفى الطريق تتناثر الدماء
وأشلاء الجثث فى الإشتباكات القتالية بين الناس
والأغنياء .. الثائرون يهاجمون القصور
والبيوت ويستولون على ما فيها .. فلا يخرج
أحدٌ يحمل فى يده شئ وتبدو على سيماء وجهه
أنه من الأغنياء والأعيان إلا وفتك به الناس
الثائرون .. وجد أحمد بن زيدون رجلاً يعترض
طريقه صائحاً

- ألسـت أنت ابن الماـجن الزنديـق ابن زيدون
حدق أحمد فى وجه الرجل وسمعه يواصل
- أخرج ما معك من مال قبل أن أقتلك
لم يكن الرجل يعلم بما آلت إليه أحوال أحمد
الذى قال

- ما أنا بابن زيدون الذى تعرفه .. لقد
قاطعه الرجل محتداً وهو يضع السيف على
صدر أحمد

- أنت تكذب .. أنت أحمد بن زيدون .. هيا
أخرج المال يا ابن الأعيان

- لا يوجد عندي مال
هكذا رد أحمد ، ورأى الرجل يرفع السيف
ليهوى به على رقبتة .. أغمض أحمد عينيه
وأدرك أنها النهاية .

فى الوقت الذى كان محمود قد وصل إلى قصر
حورية ورأى حشدٌ من الناس يحاون كسر باب
الحديقة المؤدى لمبنى القصر .. نزل من على
الحصان وأسرع يصيح
- حورية .. حورية

أعيتة الحيل مع باقى الحشد فى إختراق الباب
الحصين ، فقال وهو يلهث
- لابد من حرق الباب

قالها وهو يركب حصانه ذاهباً وسرعان ما عاد
ممسكاً بجذوةٍ من النار.. أشعل النار فى
الخشب المحيط بمزلاج الباب الكبير .. لم
تمضى دقائق .. حتى كان الحشد يعبر الحديقة
وعلى رأسهم محمود يعدو ممسكاً بالسيف
يصيح

- حورية .. حورية

بشیر یصح

- أين حورية؟

يَمْلَأُ وَجْهَهُ

- ألسنت أنت الصعلوق الذى لطم أختى ؟

صدر بشیر صائحا

दोस्तों -

رأى محمود الدم يتدفق من صدر بشير وفمه ..
بينما عيناه لا تزال تنظر فى وجه محمود
بغضب .. تنهد محمود وإتسعت عيناه يقول وسط
لهاته

- نعم .. أنا ذلك الصعلوق الذى دست بقدمك
على وجهه ، وأقسم ليقتلك .. لكنى تركت
أقسمى من أجل أختك .. والآن جعلنى الله
أبراً بقسمى

قالها محمود وهو يتجه ليتناول سيفه ويدلف إلى
داخل القصر عدواً ينادى
- حورية .. حورية

وجد جارية تقترب منه وسط الحشد الذى يأخذ
كل ما تطوله أيادهم من محتويات القصر
ويحملونها خارجين .. لتقول الجارية بفزع
- أنا من كنت آتيك برسائل الأميرة .. لقد
إختطفها يوسف بن حسيب

قاطعها محمود سائلاً وعيناه تبرق بالنار
- أين ذهب بها ؟

- لا أعرف

نظر محمود فى الأرض وقد شل تفكيره .. ثم
رفع رأسه على صوت يقول وهو يقترب

- إلى بلاد البرامكة
قالتها أم إبراهيم مربية حورية وهى تبكى ..
ليسألها

- وأين الطريق ؟ .. كيف ألحق بهم ؟
لم يكن محمود يعلم أى طريق يسلكه ليلحق
بحورية .. وكذلك الجارية وأم إبراهيم .. أسرع
محمود هائماً على وجهه .. فتعثرت قدمه بجسد
بشير الذى لازال ينازع خروج روحه .. فمال
محمود عليه يقول

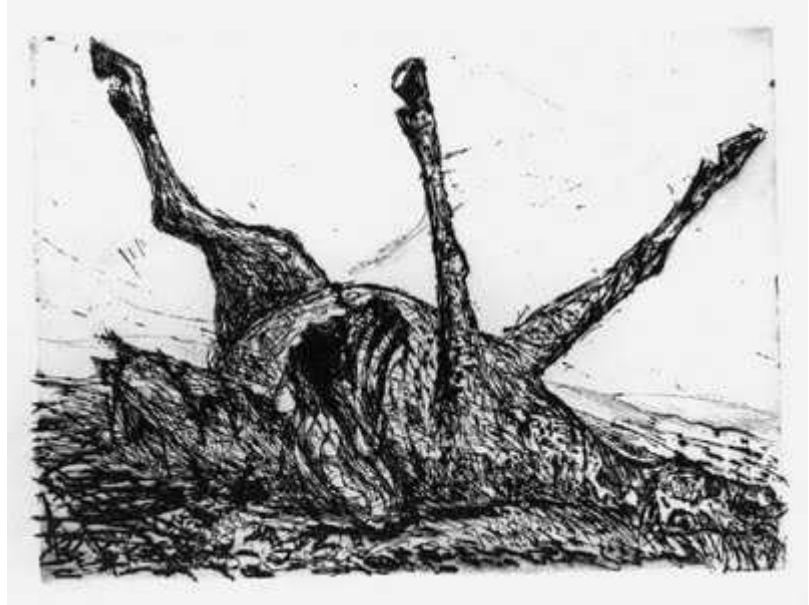
- لقد أختطف يوسف أختك يهرب بها إلى بلاد
البرامكة .. أى طريق يمكننى أن ألحق بهم ؟
قالها محمود وهو لا يتوقع أن يجيبه بشير الذى
أدرك أن جانب محمود هو الآن الجانب
المنتصر بعد الثورة .. وحتماً ستكون أخته
بأمان فى هذا الجانب لذا قال بصوتٍ واهنٍ
مبحوح

- أسلك طريق البئر الناضبة .. إلحق بها
قالها بشير وفارق الحياة .. بينما ابتسم محمود
الذى لم يحفظ طريقاً مثلما حفظ طريق البئر
الناضبة .

سمع أحمد بن زيدون وهو مغمض العينين
ينتظر المصير المحتوم .. شهقة مكتومة ، ففتح
عينيه ليرى الرجل الذى أوشك أن يقتله يخر
صريعاً إثر طعنة من رجلٍ على حصان ..
نظر محمود للرجل فوجده ذلك الجندى
الجاسوس الذى كان يتعقب حورية .. ولم يقتله
أحمد .. حياه الرجل يقول
- ها أنت مدينٌ لى بحياتك مثلما أنا مدينٌ لك
بحياتى .. أين أنت ذاهب ؟
- إلى دارى
- إركب
قالها الرجل بنبرة آمرة .. ركب أحمد خلفه
وصاح الرجل يشد اللجام
- هع
وصل أحمد لداره ونزل محيياً الرجل الذى
إنطلق مغادراً .. دخل أحمد لتستقبله أمه
وزوجته صفية بالأحضان والدموع .. بينما هو
مبتسماً يقول
- لقد زال الظلم والطغيان .. وتولى رجلٌ
عادل زمام أمورنا

- ٢٠ -

ينطلق محمود على الحصان تجاه البئر الناضبة
.. ما أن وصل إلى طرف المدينة وبدأت قدمي
الحصان تغوص في رمال الصحراء .. حتى
وجد الدماء وأشلاء الجثث من الفقراء والأغنياء
تغطي الرمال على السواء .. تمتزج قعقة
السيوف وصهيل الخيول في مشاهد قتالية بين
الأمراء والأغنياء والأعيان الفارين بكنوزهم ،
وبين الناس والعباد الثائرين يريدون أموالهم ..
جثث خيولٍ على الرمال راقدة



.. وعرباتٍ
خشبية مقلوبة وحولها الجثث مطعونة .. يواصل
الثوار ملاحقة الأغنياء وقتالهم بالسيوف وما
تطوله أياديهم مما يصلح للقتال .. ويستولون

على الجواهر والأموال .. محمود على حصانه
راكضاً ممسكاً بسيفه فى الهواء ملوحاً .. لا
يدرى كيف يعثر على حورية وسط هذا الزحام
والقتال ، فأخذ يصيح وينادى



- حورية .. حورية
فما من مجيب على ندائاته .. يقترب ويقترب من
البئر الناضبة وينادى
- حورية .. حورية
كلما رآه أحد الهاربين من الأغنياء بمظهره
البادى عليه أنه واحدٌ من الصعاليق .. إستلَّ
السيف وهمَّ بمهاجمة محمود .. إلا أنه يخفض
السيف عندما يراه يتجاوزَه فى هدوء



.. إقترب

محمود حيث البئر الناضبة والتي لا يعرف شيئاً
بعدها .. فعاود النداء بأعلى صوته

- حورية .. حورية

فجأة جئة جوابٌ على ندائه بصوتٍ خفيض
- محمود

حدق محمود تجاه الصوت الخفيض بذهول ..
فرأى من بعيد عربة صغيرة يجرها حصان ..
إتجه نحوها وحصانه يعدوا كالرهبان .. لكنه
وجد رجلاً على حصانه يعدو في مواجهته ..
صاح محمود يشد اللجام ويلكز بطن الحصان
فيسرع ويسرع ويصيح

- هع .. هع

إبتسم يوسف الذى كان يعدو على حصانه تجاه
محمود حين سمع صيحته .. وجذب اللجام

وتوقف مكانه واتسعت إبتسامته .. إستل سيفه
بهدوء .. وأغمض عينه اليمنى بينما إتسعت
العين اليسرى على آخرها وعلا حاجبه الأيسر
فى تحدى رهيب .. ظل يدير السيف بيده اليمنى
يصوبه تجاه محمود الذى يقترب يواصل
صيحاته الحماسية .. بحركة رائعة من قناصٍ
محترف ، قذف يوسف بالسيف تجاه محمود
صائحاً

۱۰ -

دار السيف كمروحة يشق الهواء منطلقاً تجاه محمود الذى لم يرى سيف يوسف من شدة سرعته تحت أشعة الشمس الساطعة .. وشعر محمود بشئ يدفعه ويسقطه من على الحصان .. إنها حقاً قصة رائعة .



5 |||||

- محمود .. محمود

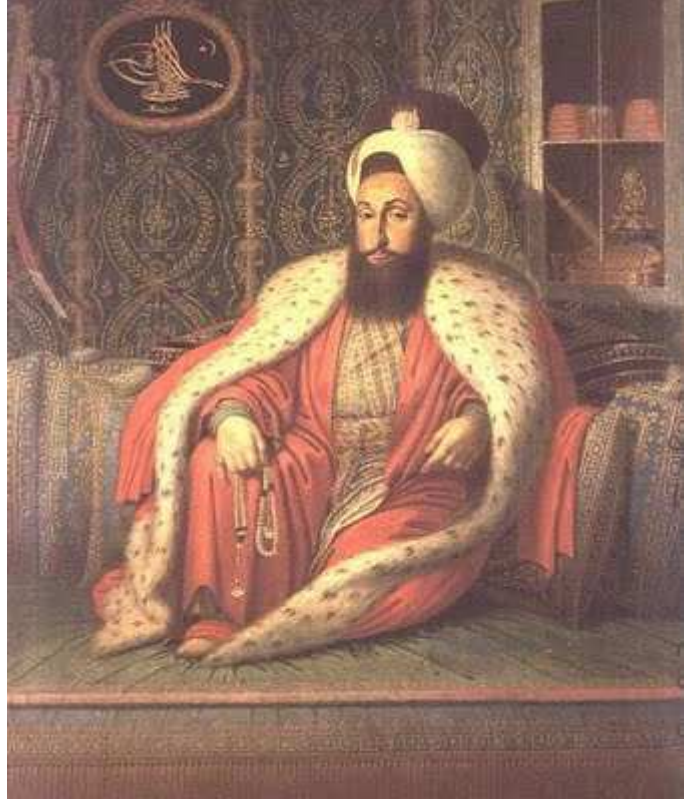
ویو اصل

يوسف بصوتٍ كفحيح الثعبان

- لا تفتأ تذكر الأميرة أيها العاشق طوال
حياتك

قالها يوسف وهو يجرح مؤخرة حصان محمود
بسيفه .. فصلل الحصان متألماً من الجرح
وانطلق يعدو من الألم هائماً ، يجر محمود
خلفه على الرمال على بطنه ممدداً .. شعر
محمود برمال الصحراء تتطاير فى فمه مختلطة
بدماء كتفه النازف .. بينما يخترق أذنيه صوت
حورية الباكي - محمود .. محمود
ظل الصوت يضعف ويختفى تدريجياً حتى
تلاشى، وفقد محمود الوعي .. الحصان يعدو
يجر محمود المقيد فى عكس الإتجاه الذى
تحركت فيه العربة الخشبية التى فيها حورية
ومعها حسيب بن العادل وزوجته أم يوسف
والجارية جومانة والصناديق المملوءة بالمال
والجواهر .. بينما يوسف على حصانه مجاوراً
للحصان الذى يجر العربة .. وصوت بكاء
ونحيب حورية يعلو .. فيستمع يوسف منتشياً
كلما علا صوت بكائها .

فى هذا الوقت كان السلطان المأمون يجلس على
عرشه يوزع المناصب بين أعوانه من القوم



.. فجعل إبراهيم

بن عيسى وزيراً لبیت المال یرعى الله ويحفظه
فى أموال الناس والعباد .. وجعل الوائل بن
الإبراشى وزيراً للجند .. وجعل المصطفى بن
البكرى وزيراً قائداً للشرطة .. وجعل عبد الله
السعيد وزيراً على ديوان القضاء .. وجعل
طالع بن الأسياد وزيراً على ديوان التجارة ..
إلتف الجميع حوله طائعين مرددين
- سينصلح حال البلاد على أيدينا بإذن الله ..
حماك الله ورعاك يا سلطان البلاد

إستمعوا جميعاً لتعليمات وتوجيهات السلطان
الحكيم .. كيف يبدأ النهوض بأحوال البلاد .
أذنَ لهم السلطان المأمون بالإنصراف ليبدأو
أعمالهم .. بينما غادر هو إلى غرفته فى القصر
بعدما هرع الحراس بعد الثورة يعودون إلى
أعمالهم .. والخدم والعبيد والجاريات على
ترتيب القصر للسلطان الجديد قد عادوا منكبين
يعملون بكامل طاقاتهم .. وبداخل غرفة السلطان
شرع المأمون بنزع ملابسه المتسخة التى لم
يلبس غيرها منذ كان فى السجن .. فسمع صوتاً
قادماً من أحد الأركان يقول
- أنت عظيم مولاي السلطان
إلتفت المأمون ينظر حيث الصوت ، ليجد نادية
جالسة بأحد الأركان ممسكة بوردة حمراء ، تمد
يدها بها للمأمون الذى تناولها يقول مبتسماً فى
هدوء

- كيف حالك يا نادية ؟
قالها وهو يضع الوردة على كرسى بالجوار .

المأمون بن عبد الله الرشيد هو ذلك التاجر
الرحالة ، ولد فى البلاد المباركة وعاش طفولته
فيها .. إلا أنه غادر البلاد صغيراً مع أسرته ..
أحب السفر وعشق الترحال .. هو ذلك الرجل
العربى الذى إشتري الجارية نادية من بلاد
الروم فى أحد رحلاته هناك .. رأى فيها جمالاً
ساحراً مسيطراً .. عاشت معه هى سنوات
أحبته وعشقت هواه .. تعلمت منه لغة وعادات
وتقاليد العرب .. ولما تعب من كثرة السفر
والترحال .. وأراد أن يستقر به المقام .. لم يجد
أفضل من وطنه الذى ولد فيه .. البلاد المباركة
.. زرع فيها رجاله وجواسيسه يجندون له فيها
التابعين .. كان بعيداً عنها لكنه كان يراها رأى
العين بما يصل إليه من تابعيه .. إستغل سعة
علمه وذكائه الخارق مستغلاً أحوال البلاد ..
فرسم الخطة بإقتدار .. خط بيده اللفائف السبعة
وأعطاها لجاريته الهائمة به نادية .. أرسلها لأم
مرمر .. وبدأت الحكاية التى أحكم المأمون رسم
خطوطها بمهارة قدير ، وحنكة خبير .. هو من
كان يختار الضحايا من النساء بدءاً من الرابعة
أم مرممر .. فلم تكن الثلاثة الأولى تشكل فرقاً

..هى مجرد بداية.. كان يرسل الرسائل لنادية مع تابعيه ونادية ما عليها سوى التنفيذ .. هو من أخبر نادية بكنز أم مرم تحت السرير .. علم بما يحدث فى إجتماعات القوم المعارضين ، وحتى حكاية الأميرة مع بائع الجلود .. لذا حين وصل إلى البلاد تمكن من إستغلال محمود .. هو من أرسل القافلة الأولى لهارون مع تابعه شيخ المنصر الشيخ جليل .. هو من دبر أمر قافلتى ابن زيدون .. وإحتكار هارون للبضاعة .. ولما فشل فى صنع الثورة بعد الفتنة الأولى .. ساعده تخبط الحكم السلطانى ومشاكل القروض ، وإندلاع الفتنة الثانية التى تمكن من صنع الثورة منها .. ووصل للقصر السلطانى وصار سلطاناً على البلاد.

أما نادية جاريته المخلصة العاشقة لهواه المتدلّهة فى حبه .. فهى كانت تعلم أن الأمر سيصل فى النهاية لأن يكون حبيبها المأمون ذو شأنٍ كبير ، وكانت تعتقد أن السائل الذى تصنعه هو ما سيفعل ذلك .. إلا أنها فوجئت بالثورة التى قادها المأمون ووصوله للعرش سلطاناً على البلاد .. دون أن يساعده السائل الغامض فى شئ ..

أدركت حينها أن القتل وإحتكار القافلة هو من
أدى إلى الثورة .. لكنها حتى الآن لا تعلم سر
السائل الغامض .. ولا أحد يعلم ..
سوى السلطان المأمون .

تصفق نادية بيديها إعجاباً بحبيب قلبها المأمون
.. وتواصل كلماتها فى غرفة السلطان
- لم أكن أتخيل أن الأمور ستسير هكذا
قالتها فى الوقت الذى كان المأمون قد تخلص من
ملابسه المتسخة والرائحة النتنة تركم أنفه ..
وضع على جسده ثوباً خفيفاً وهو يخرج متجهاً
للحمام قائلاً

- حميمنى يا نادية .. فمنذ دخلت السجن لم
يلامس جسدى الماء
تبعته نادية إلى الحمام .. والخدم والعبيد
يسابقونهم إلى الحمام لإعداده .

بداخل الحمام



تجرد

المأمون من الثوب الخفيف وتعرت نادية



.. وجعلته نادية

يجلس على مصطبة مرتفعة بداخل حوض الماء
.. وعكفت على تمسيد وتدليك أجزاء ظهره من
الكتفين متهادية للأسفل وقالت

- لیتک تعلم کم أحبك وأعشقك يا مأمون
قالتها بنبرة حبٍ صافٍ جعلت المأمون یرد
بنبرة حانية

- أعلم يا حبيبتي

- ما إن سمعت نادية كلمة حبيبتي حتى
إرتعش لها جسدها .. وزاد نبض قلبها ،
ودمعت عيناها .. إغتسلا سوياً ثم توجهها
لغرفة السلطان .. دخل المأمون وجلس على
طرف السرير السلطاني الوثير یرنو لنادية
تجفف شعرها أمام المرأة



ثم توجهت نادية إلى
أحد الأركان فى الغرفة وأحضرت قنينة
السائل الغامض تقول

- هذا ما طلبته يا مولاي السلطان
صمتت تنظر لوجه المأمون بفضول قبل أن
تواصل

- كنت أظن أن هذا ما سيجعلك سيداً على
الناس .. ولم أكن أعلم أنك تخطط لتسير
الأمر كما سارت

لم تتلقى نادية تعقيباً من المأمون وهو يتناول
القنينة من يدها ، فإكتسى وجهها بعلامات
الفضول لتسأل وعيناها الزرقاء الأخاذة تشع
بالوميض وسط القناديل التي تضيء الغرفة
بنيرانها الذهبية المتألئة

- ما هذا السائل يا مأمون ؟

إتجه المأمون يصب كأسين من الخمر ويناول
أحدهما لنادية .

بعدما فقد محمود الوعي .. لم يمضى على زحفه
على بطنه مجروراً خلف الحصان الكثير ..
حيث علق جسد محمود بسور البئر الناضبة ..
ومع محاولات الحصان للتملص من الحبل الذي
يربطه بمحمود العالق بسور البئر ممدداً فاقد

الوعى على الرمال .. إنفك سرج الحصان
المربوط به الحبل .. وجرى الحصان يدور فى
المكان يواصل صهيل الألم بسبب جرح مؤخرته
الغائر الذى ينزف .. أفاق محمود على صوت
الفارين من حوله ، والتائرين فى ملاحقتهم ..
كان ماحدث له كفيلاً بإخماد طاقته تماماً .. لكن
الصوت الخفيض المتلاشى تدريجياً لحورية
الباكية

- محمود .. محمود

ظل يتردد صداه فى أذنيه ووصل إلى قلبه
فنبض يضخ الدماء إلى جسده يبعث فيه طاقة
الحياة .. فك رباط الحبل من حول يديه بمساعدة
فمه .. ومزق ثوبه الذى يرتديه وصار نصفه
الأعلى عارياً .. أحكم ربط جرح كتفه النازف
بقطع ثوبه ليمنع الدماء النازفة .. نهض متثاقلاً
وصوت حورية الباكي يناديه

- محمود .. محمود

مشى خطواتٍ يترنح حوله يبحث عن الحصان
وسط العربات والخيول التى يعدو عليها
الهاربين .. وصيحات الثوار الملاحقين .. رأى
الحصان يقفز ويتألم بعيداً .. إتجه محمود نحوه

يترنح .. كلما إقترب من الحصان وجده يعدو
مبتعداً هائجاً يصهل متألماً ويقفز كالممسوس
بقدميه الأمامية .. تسارعت خطوات محمود ..
دمعت عيناه وصوت حورية يعلو بأذنيه
- محمود .. محمود

الآن حورية تبتعد وتبتعد .. وقف مكانه يبكي
وهو يرى الحصان يبتعد ويبتعد.. لم يكن محمود
يعرف أن الحصان يبتعد لأنه يملك الحاسة
السادسة .. فكان شعور الحصان بجثة هارون
المتحللة إلى هيكل عظمى فى قاع البئر الناضبة
يخيفه .. ألقى محمود بنفسه على الرمال .. جالسا
يشاهد الأميرة التى لطمها على وجهها فى
حديقة قصرها وهى تجرى من أمامه باكية ..
رأها أمامه فى السوق على فرشته جالسا ..
إنخرط فى البكاء .. وهى من أمامه على
الحصان تحت المطر .. وعلا نسيجه لما أحس
بها بين أحضانها فى داره تهمس
- أنا أحبك يا محمود

ظلت مشاهد الذكريات تتابع على عقله وصوت
يخترق أذنيه .. لم يكن صوت حورية تناديه ..
بل كان صهيل الحصان من خلفه



.. إستدار

فرأى الحصان قريباً .. نهض يقترب لكنه وجد
الحصان يبتعد .. فجأة تذكر كلمات حورية ليلة
كانت تعلمه الفروسية

- عليك أن تجعله يز عن لك .. أمعن فى عينيه
بنظرة قوية ومسيطرة

ظلت الجملة تتردد فى أذنى محمود .. فمسح
دموعه بظهر يده ، أمعن النظر فى عين
الحصان بنظرة قوية ومسيطرة .. إقترب خطوة
.. لم يبتعد الحصان لكنه ظل يقفز مكانه متألماً
من الجرح النازف .. ظل محمود يحدق بذات
النظرة وصار وجهه وكأنه نارٌ محرقة .. وجد
محمود نفسه قد وصل للحصان الذى صار بلا
سرج .. كابد محمود لإمتطاء الحصان بلا سرج
وظل يفشل .. ليس فقط لعدم وجود السرج الملقى

هناك إلى جوار البئر .. ولكن لأن الحصان يقفز
بسهولة متألماً



.. تذكر

محمود كيف كانت حورية تعلمه كيفية إمتطاء
الحصان بأكثر من طريقة .. تخيلها متذكراً
وهي تبتعد عن الحصان خطوات وتجري نحوه
ثم تقفز عليه .. تراجع محمود بضع خطوات ..
وحدق بعينه يستجمع كل قواه ثم جرى صائحاً

- أAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAAهـ

وقفز على ظهر الحصان مثلما رأى حورية تفعل .. فوجد نفسه وقد صار على ظهر الحصان على بطنه .. إعتدل لاهثاً .. وأمسك بعُرف الحصان يتشبث بشعر عنقه .. إلا أن الحصان ظل يجرى هنا وهناك يقفز يصهل متألماً .. لكز محمود

بطن الحصان وخبط بيده اليسرى على مؤخرته
.. فهوت يد محمود دون أن يقصد على الجرح
النازف الذى جرحه يوسف للحصان .. فأطلق
الحصان صهيلاً مدوياً .. وإنطلق يعدو هارباً
من الألم .. تأكد محمود أنه على المسار الصحيح
، حين وجد نفسه منطلقاً فوق العلامات التى
تركها جسده المجرور على الرمال .. لكنه فى
الإتجاه المعاكس .. مع جرى الحصان يزداد ألم
الجرح .. فيزيد الحصان من سرعته عساه
يهرب من الألم .. كاد محمود يسقط من على
ظهر الحصان من فرط سرعته الرهيبة ..
والهواء يلفح وجهه ويدفع بجسده للخلف من
شدته بسبب سرعة الرهوان المنطلق يسهل ..
يعدو ويعدو ويجرى ويجرى .. شعر محمود بأن
الحصان طائرٌ لا تكاد أقدامه تلامس الرمال ..
بدأت العربة الخشبية تظهر فى الأفق .. تتضح
صورتها وتتضح .. شاهد محمود يوسف على
حصانه يسير جوار العربة .. كيف يوقف محمود
الحصان المنطلق .. لا يوجد لجام يشده .. فلم
يجد بداً سوى أن يقفز على يوسف بمجرد أن
إقترب منه .. هوى جسده محمود فوق جسد

يوسف ليسقطا على الأرض .. وينهض محمود
ليلقى بجسده فوق يوسف الذى أعمته المفاجأة ..
فهوى محمود على وجه يوسف بقبضة يده
يصرخ كالمجنون .. تتوالى الضربات وفم
يوسف ينزف .. أسرع حسيب بن العادل من
عربته ليهوى على محمود القابع فوق ابنه وسط
صرخات الجارية جومانة وأم يوسف .. إلا أن
حورية ألقت بجسدها على حسيب فإختل توازنه
وسقط وطاشت ضربة سيفه ليشعر بها محمود
تلامس جسده .. أخذ محمود السيف الذى سقط
جواره وغرسه فى صدر يوسف صارخاً
- ~~~~~ أه

وقام ليرى حسيب ينهال على حورية ركلاً وهى
متشبثة بقدمه ممددة على الرمال تمنعه من
الوصول إلى محمود



.. فجری

محمود تجاهه ممسكاً بالسيف جاعلاً نصله
للأمام .. فشقق حسيب عندما عبر السيف صدره
لينفذ من خلفه ، وسقط صريعاً .. بينما هوى
محمود على ركبتيه على الرمال جوار حورية
الملقاة على الرمال .. أمسك محمود برأس
حورية والدماء تنسال من أنفها بسبب ركلات
حسيب لوجهها .. قبض رأسه على رأسها يحدق
في وجهها بعيون متسعة على آخرهما .. وكأنها
يتأكد أنها حورية ، غير مصدق أنه إستعادها ،
بعدما أيقن أنها ذهبت .. وإنهالت دموعهما ..
إحتضن محمود رأس حورية على صدره ..
يتلفت حوله تماماً كالمجنون يخشى أن يأخذها
أحد من بين يديه



.. أفاق على

صرخات أم يوسف والجارية جومانة .. ورأى
بعض الثائرين يقتربون من بعيد صائحين .. قام
هو وحورية يستندان على بعضهما لاهثان ..
يتجهان تجاه الحصان .. وصلا إليه يحاولان
الصعود .. فسقط الحصان ميتاً .. مات الحصان
من أجل حورية ومحمود .. ظل ينزف ويتألم ..
الحصان مخلوق له حاسة تميزه عن باقى
المخلوقات ، فهو يمكن أن يشعر بمشاعر
صاحبه .. لذا شعر بما كان يشعر به محمود
وقرأ نظرة عينيه .. وظل يعدو ويعدو وجرحه
ينزف حتى فقد دماؤه وتوقف قلبه ومات .. رأى
محمود نظرة سعيدة فى عين الحصان لحظة

فراقه للحياة .. نزل على ركبتيه يتحسس رقبة
الحصان بامتنان يقول لاهثاً
- شكراً لك يا صديقى



قالها محمود وهو يحدق فى جرح الحصان الذى
توقفت الدماء عن التدفق منه ، لأن الدماء نفذت

قام محمود و حورية عائدان حيث العربة ..
ماكادا يصلان ويمسك محمود بحصان يوسف ..
حتى أدركهما الثائرون صائحون



.. تختلط

صيحاتهم بصرخات جومانة وأم يوسف .. وقف
الجمع يحدق فى محمود البادية عليه أنه واحد
منهم .. وحرية الملطخ وجهها بالدماء .. وراؤ
جنتى يوسف وأبيه ، فقال أحدهم
- أنت الذى قتلتها

رد محمود بصوت واهن

- نعم

إذن عليك أنت أن تختار نصيبك من المال
والنساء الثلاثة .. ونتقاسم نحن الباقي .. رد
محمود

- سأخذ الحصان وهذه

قالها محمود مشيراً لحصان يوسف وحورية ،
ثم أردف

- خذوا أنتم ما تشاءون

أسرع الجميع .. يتقاسمون صناديق الأموال
والجواهر وجومانة وأم يوسف فيما بينهم غنيمة

.

بينما ركب محمود على حصان يوسف ومن
خلفه حورية .. رأى محمود المنديل الذى عليه
دمه مربوط حول معصم حورية .. فأخرج هو
من خلف حزامه على نصفه الأعلى العارى
قطعة الطرحة التى عليها دمها .. فابتسمت

حورية تهمس بصوت شاحب مكدود

- ألم أقل لك أنه إذا تبادل حبيبان دمائهما ،

فإنهما لا يفترقا أبداً

أوماً محمود برأسه باسماء ، وشد اللجام يلكز
بطن الحصان بقدميه .. فأصدر الحصان صهيلاً
وإنطلق خلفاً ورائه عفرة من الرمال

نظر المأمون مبتسماً إلى وجه نادية ، وهما
واقفان إلى جوار السرير ، وهى ترشف الخمر

التي صبها لها حبيبها وعشق قلبها ، وسمعته
يقول

- إنه سُم

هكذا أجاب السلطان المأمون على تسائل نادية
عن السائل الغامض الذي صنعتته من دهن جثث
سته إناثٍ ورجل .. فإتسعت عيناها محدقة وهي
ترشف رشفتها الثانية من كأس الخمر .. وتقول
- لكن اللفائف التي أعطيتني إياها كانت تقول
أنه سائل يجعلك تتحكم في الأمور من حولك
ضحك المأمون وعينه تلتمع بوميض شرير ،
ويرشف بعد الخمر من كأسه ، ويتنهد ويقول
بصوتٍ حادٍ

- إنه سمٌ قاتل .. يتم إمتصاصه من الجوف
قبل أن يصل إلى المعدة .. يجعل القلب
يخفق بقوة ثم يتوقف .. يمكن به أن أزيح من
يعترض طريقى دون دماء

صمت يرنو لأنفاس نادية المتزايدة وهي تزدرد
ما تبقى من كأس الخمر ثم تابع بإبتسامة هادئة
- فأنا لا أحب الدماء كما تعلمين .. ثم أن
طريقة صنعه ساعدتني أن أصل هنا

إبتلعت نادية ريقها تلهث من جراء تزايد
ضربات قلبها وتقول
- أنت مخلوقٌ يجمع عقول الأذكىاء فى عقلٍ
واحد حمله بداخل رأسه
صمتت تلتقط أنفاسها وتتابع
- كيف عرفت ذلك السم
- أنا أهوى الكيمياء
قالها المأمون بعدما إبتلع ما تبقى من الخمر فى
كأسه .. يتنهد باسماء ويقول
- كان يجب من تجربة السم قبل إستخدامه يا
نادية

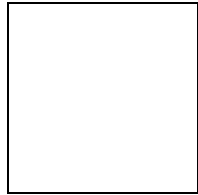
قالها المأمون وهو يستدير متجهاً تجاه أنية
الخمر ويضع الكأس ، ثم يعود ليرقب أنفاس
نادية التى تتسارع وإهتزازات صدرها من جراء
إزدیاد نبض قلبها ويتابع كلماته وهو ينظر فى
عيني نادية ووجهها الذى شحب
- لقد وضعت لك فى الكأس قطرات منه
إبتسمت نادية ، وضمت شفيتها تمرر طرف
لسانها عليها .. إتسعت إبتسامتها أكثر وأكثر ، ثم
ضحكت بخفوت وعيناها الزرقاء الجميلة تدمع

.. ومع أول دمعة تنسال ، قالت وهى تلهث
واضعة يدها على قلبها ، فقد بدأت تشعر بآلم

- لم أحب رجلاً فى حياتى غيرك يا مأمون
قالتها وهى تضحك بخفوت ودموعها تنسال من
عينيها الزرقاء التى تنظر لمأمون بنظراتٍ
ملؤها الحب .. فرد المأمون بضحكة خافتة يقول
- شكراً لكِ يا نادية

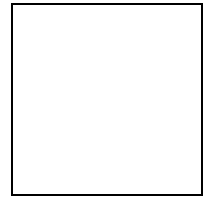
قالها السلطان المأمون وعلى وجهه علامات
الشكر والإمتنان الشديد .. ردت نادية وعينيها
تزيغ

- عفواً يا مولاي
قالتها وهى تسقط عارية بعدما توقف قلبها

وفارقت الحياة  .. ظل المأمون ينظر لها
من مكانه واقفاً يرنو لها بإمتنان .. ثم إتجه لباب
الغرفة وصفق بيديه صائحاً
- حراس

هرع حارسين إليه على الفور .. فأمرهما
- إحملا هذه الجثة وإدفنوها فى حديقة القصر

قالها المأمون بصوته الوقور .. حمل الجنديان
جثة نادية خارجين بها وسمعا السلطان يقول
- لا تنسوا أن تضعوا هذه على رأس قبرها
قالها السلطان المأمون وهو يناول أحد الحارسين
الوردة الحمراء التي أعطتها نادية له .



مرت الأيام التالية ، وأصبح الأمن والأمان يعم
البلاد .. تعاون السلطان المأمون مع وزرائه من
القوم فى إصلاح الأحوال .. عاد الجنود
والحراس ينتشرون فى الدروب والطرق ..
إنصلحت الأحوال .. وتم توزيع ما تركه من
هرب من الأمراء والأعيان والأغنياء على
الفقراء من الناس والعباد .. عمّ العدل فى البلاد
.

تزوج محمود من حورية وعاشا مع أمه فى
قصرٍ وهبه له السلطان المأمون من قصور من
هرب من الأمراء .. كان دوماً يزور السلطان

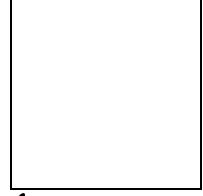
ويجلس إليه .. ومضت الأيام ليجد محمود نفسه
أكبر تاجرٍ للجلود فى البلاد وأنجب من حورية
البنين والبنات .

حزن أحمد بن زيدون لأنه إضطر تحت إلحاح
زوجته صفية وأمه لأن يترك حياة الفقراء التى
أحبها .. وعادوا إلى قصرهم .. قصر ابن زيدون
، بعدما رده له السلطان المأمون .. مضت الأيام
ليعود أحمد بن زيدون واحداً من أكبر تجار
البلاد كما كان .. وأنجب من صفية البنين
والبنات .

ظلا أحمد ومحمود على صداقتهما التى توطدت
أكثر مع مرور الأيام

ما أن إستتب للمأمون حكم البلاد .. حتى شرع
يتخلص من حاشيته ممن ساعدوه فى بلوغ
العرش .. مستخدماً السم الذى صنعت له نادبة
وأرسل تابعيه يدسون السم حيث يأمر .. مرت
الأيام ليتخلص المأمون من شركائه فى حكم

البلاد .. ويستبد هو بالحكم وحده لا شريك له .



حيث بدأ الأغنياء يزدادون ثراءً .. والفقراء
يزدادون فقراً .. وانقسمت البلاد إلى قلة غنية
تملك كل شئ .. وغالبية فقيرة لا تملك من ذلك
شئ .

وبذلك ينتهى عصر البلاد المباركة

ويبدأ عصر البلاد المأمونة

لك الله أيتها البلاد المأمونة

النهاية

محمود مودى

modybebe7@yahoo.com

www.moodyerosia.blogspot.com

فى الختام

هذه الرواية تمثل واقع البلد كما أراه أنا .. مجرد وجهة نظر شخصية ، قد نتفق وقد نختلف ، فأنا أرى مشكلة الوطن هى إنقسامه إلى قلة تملك كل شئ وغالبية لا تملك من ذلك شئ .. حيث تتجه الأحوال إلى إختزال طبقات الشعب فى تلك الطبقتين بشكل متسارع .. وأنا لا أرى المشكلة فى السلطة ولا فى المعارضة ، وإنما المشكلة الحقيقية فى المواطن الذى غلب الموروث الثقافى لديه على عقله وتفكيره فجعله يفتقد الحد الأدنى من الثقافة والشخصية والتفكير لأى مواطن يمكن أن نصفه بالمتحضر .. الطبيعة النفسية للمواطن إختفت ملامحها وراء وأنا مالى .. ما باليد حيلة .. مشى حالك .. إن شالله تولع حتى .. والدليل سهل وبسيط .. شيل ال ٨٥ مليون مصرى ووديهم اليابان ، وهات ٨٥ مليون يابانى وحطهم فى مصر وشوف حال البلدين بعد ١٠ سنين .. فى تصورى أن المواطن اليابنى المفكر الدؤوب فى العمل هيقدر

يتعامل مع أوضاع البلد وينمو بها .. إذا كانت
المشكلة فى الزيادة السكانية اللى بتاكل معدلات
التنمية .. هتلاقى مافيش حد بيخلف أكثر من
اتنين .. وإذا كانت المشكلة فى التكدس السكانى
حول الوادى والدلتا ، هتلاقى اليابانيون
يرصفون الطرق من النيل تجاه الصحراء
لإنشاء مدن سكانية جديدة من أجل إعادة التوزيع
السكانى .. ولما يقولهم الدكتور فاروق الباز إن
فى أبحاث بتقول إن مصر القديمة كان فيها أنهار
بتجرى فى الصحراء الغربية وممكن نفحت أبار
على أماكن الأنهار اللى إندفنت دى مش هايقولوا
عليه راجل لاسع وهيروحووا ويشتغلوا .. هتتغير
خريطة البلد تماما فى عشر سنين .. هتلاقى
ديمقراطية ونظام مؤسسات حقيقى .. هتتحول
البلاد من بلاد مستهلكة لبلاد منتجة .. هيكون فى
إستغلال لكافة ثروات البلاد .. تعالى بأه نشوف
اليابان اللى حطينا فيها ٨٥ مليون مصرى ..
ميغة .. بقت ميغة .. مفيش داعى نوصف انتو
عارفين .. عشان كده تجد إن العقل البشرى هو
الذى يصنع حياته .. فإذا كانت دول الخليج
تحظى بالبتروول و تجد بعض المدن الخليجية

تضاهي مدن كبرى الدول المتحضرة .. إلا أنها
فى النهاية دول متخلفة لأن العنصر البشرى
متخلف .. وهذه الحضارة التى تراها هى
حضارة زائفة مجرد صورة إشتروها بفلوس
البتروول من الغرب .. لم تصنع عقولهم هذه
الصورة .. كانت هذه هى وجهة نظرى التى
أردت أن أبرزها فى روايتى سحر الشرق .

لم أحدد زمن معين للرواية وأخترت الفانتازيا ،
حتى لا أجهد نفسى بمراجعة قرائتى التاريخية
وآلا أكون ملتزم بدقة تاريخية ، لكنى حاولت
بقدر المستطاع .. وحتى لا تطول الرواية فى
وصف الأماكن والملابس والمشاهد ، أستعنت
بالصور وحاولت قدر إستطاعتى توظيفها
لصالح الرواية حتى أختزل الوصف المسترسل
للأماكن .. ولأنها فانتازيا ، فستجد الصور من
أزمنة وعصور مختلفة بل من أماكن جغرافية
مختلفة .

جاءت الإسقاطات السياسية على ثلاثة محاور

الأول هو السلطة وأخترت لها الرئيس وابنه
وثلاثة وزراء ، أرى من وجهة نظرى
الشخصية وإطلاعاتى على واقعنا ، أنهم من
يتحكمون فعلا فى شئون البلاد ، فالداخلية التى
تعبت بأمن المواطنين بقانون الطوارئ والجيش
الذى يستنزف الميزانية الكبيرة من أجل حداته
حتى لا يحدث لنا ما حدث فى ٦٧ ، والوزير
المتحكم فى إقتصاد البلاد ، وظهرت فى الخلفية
شخصيات أخرى حسبما قادنى سياق الاحداث ..
أما باقى الوزراء بما فيهم رئيس الوزراء فهم
توظيف إدارى .. هذا رأى شخصى قد نتفق وقد
نختلف .

الثانى هو المعارضة وأخترت لها الشخصيات
التى أوردتها فى الراوية لأنهم الأكثر تأثيرا
وشهرة ، سواء بالبرامج الفضائية التى يقدمونها
أو الظهور المتكرر فى برامج التوك شو .. كذلك
أدرك وجود كثيرين ربما لديهم من الآراء ما هو
أفضل لكنهم ليسوا مشهورين ، كذلك لا أنكر أن
الإخوان المسلمين هم الأكثر تأثيرا فى الشارع ،
ليس لأنهم يحظون بالأغلبية ، لكن لأن أتباعهم
هم الأكثر إيجابية .. ولدى منهم أصدقاء كثيرون

.. أكن لهم الإحترام الوفير ، لكنى أختلف معهم
فى الكثير .. قمت بتصوير المعارضة فى
الرواية كما رأيتهم أنا .. مجرد رأى شخصى قد
نتفق وقد نختلف .. كلام كلام كلام ومفيش حلول
.. هجوم على السلطة بلا طرح حلول حقيقية
للإصلاح .. كما إجتمع الجمع إنفض وكما أتوا
ولوا مدبرين .. هكذا كنت أصفهم دائما فى
روايتى .

الثالث هو الشعب الذى لم يتحرك ضد الفساد
بالثورة من منطلق وعيه الفكرى ، بل مدفوعا
كالقطيع وراء المأمون إما جاهلا وإما طامعا فى
إعادة توزيع الثروات وإما متحمسا دون إدراك
فعلى للأمور مثل محمود الذى أستغله المأمون ..
ولو سأل واحد ممن ساروا فى الثورة خلف
المأمون عن ماهية الثورة وهل هى من ستصلح
الأحوال ، ربما لأدرك الحقيقة .. هكذا يمكنك أن
تقود مجموعة من المتحمسين بخطبة ثورية أو
دينية كما يفعل الإخوان مع الشباب بسلاح الدين
.. أو أن تسوق قطيعا للإدلاء بأصواتهم لمرشح
مقابل المال ، فالأمر سهل وميسور .. لذا لم
يصنع المأمون الثورة من العدم .. بل من أحوال

البلاد الفاسدة وسذاجة الشعب بما فيهم
المعارضة وحرك الأمور ليدفعها إلى الثورة ..
لذا لم تأتى الثورة بجديد مثلما حدث فى ثورة
يوليو مجرد تغير فى السلطة وإعادة توزيع
الثروات من الأغنياء إلى الفقراء ، وبعدها عاد
الوضع لما هو عليه بل أسوأ .. قلة تملك كل شئ
وغالبية لا تملك من ذلك شئ .. لأن المشكلة
الحقيقة هى فى عقلية وتفكير الشعب .

هكذا أرى الأمور من وجهة نظرى وقد نتفق وقد
نختلف .. لكن لو كانت الرواية هكذا لن تكن
لترضينى ، فلا بد من إرضاء أكبر عدد من
الأذواق ، فأخترت ثلاثة خطوط قصصية
لتمتزج بما أوضحته سالفاً
الخط الأول وهو القصة الرومانسية بين الأميرة
والصعلوق والعازول ، أنا لم أدعى إبتكارها بل
قلت قصة الصعلوق والأميرة يالها من قصة
قديمة .. ليست المشكلة أن تستخدم تيمة قصة
قديمة تناولتها مئات الروايات ، ولكن أسلوب
التناول هو الذى يحدد ذلك .. فحرصت بكل
جهدى أن أبنى القصة بأسلوب جديد ومختلف

يجمع بين الرومانسية والمتعة والتشويق وفق
تسلسل الأحداث .. هل قرأ أحدكم من قبل عن
أميرة أحببت صعلوقا لأنه بادلها لطمه على خدها
، قفزت هذه الفكرة الى ذهني وأنا أكتب المشهد
، واعجبتي ، فطبيعة شخصية الأميرة التي
رسمتها جعلتني أصدق المشهد تماما .. كذلك
هي لم تحب الصعلوق إلا لأنه صعلوق تحول
بالنسبة لها إلى نافذة على عالم كانت تقرأه
فصارت تحياه ، ونسجت خطوط القصة مستمتعا
بها.. كذلك النهاية أراها جديدة ، فكما كانت تقول
الأميرة للصعلوق (إحيا معي ساعتنا الحالية ولا
تفكر في ساعتنا المقبلة) .. قامت الثورة ولم يعد
هناك صعلوق وأميرة .

الخط الثاني هو عبلة بائعة اللبن وابن الأعيان
التاجر أحمد بن زيدون .. تشعر في الخلفية
بمؤثرات رومانسية لكنها تتوارى خلف إحساس
الشفقة الذي ينتابك تجاه الإثنين بالتبادل .. أشفقت
أولا على أحمد ثم وجد نفسي أشفق على عبلة
بعدما حدث لها من أم أحمد .. ثم أشفقت بشدة
على أحمد بعدما فعلت عبلة به مافعلت .. وجدت

نفسى أترنح بين الإثنين ، لا أدرى من الظالم
ومن المظلوم ، وأعجبتنى هذه التيمة جدا ،
وصدقونى لا أدرى كيف صار أحمد بائع لبن ..
ولكنى وجدت نفسى أشفق عليه بشدة فعوضته
بصفية التى لم تكن فى حسابى لكنها قفزت إلى
ذهنى ونسجتها

الخط الثالث هو صناعة السائل الغامض ..
صحيح أننى متأثر براوية العطر للكاتب باتريك
زوسكيند ، لكنى لم أقتبس تيمتها بل أردت
الإيحاء بذلك ، فقط لأجعل القارئ ينساق وراء
توقع معين فيتفاجأ بآخر .. نادية هى التى
أوهمت هارون بصناعة العطر وكانت تعرف
أنه ليس عطر فلم تكن تعرف هى حتى ماهية
السائل .. وفى رواية العطر يصنع القاتل العطر
من أجساد الفاتنات باهرى الجمال ، إنما هنا
تداخلت حكاية الخطايا السبع الكاثوليكية القديمة
فى الموضوع لإضفاء جو من الغموض
والتشويق على غرار أفلام الساسبنس بالقتل
التسلسلى .. حتى يستمتع بها القارئ .